وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر "بسكرة"

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قطب شتمة-



قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

دور ميخائيل غورباتشوف في سقوط الاتحاد السوفييتي 1985م/ 1991م

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

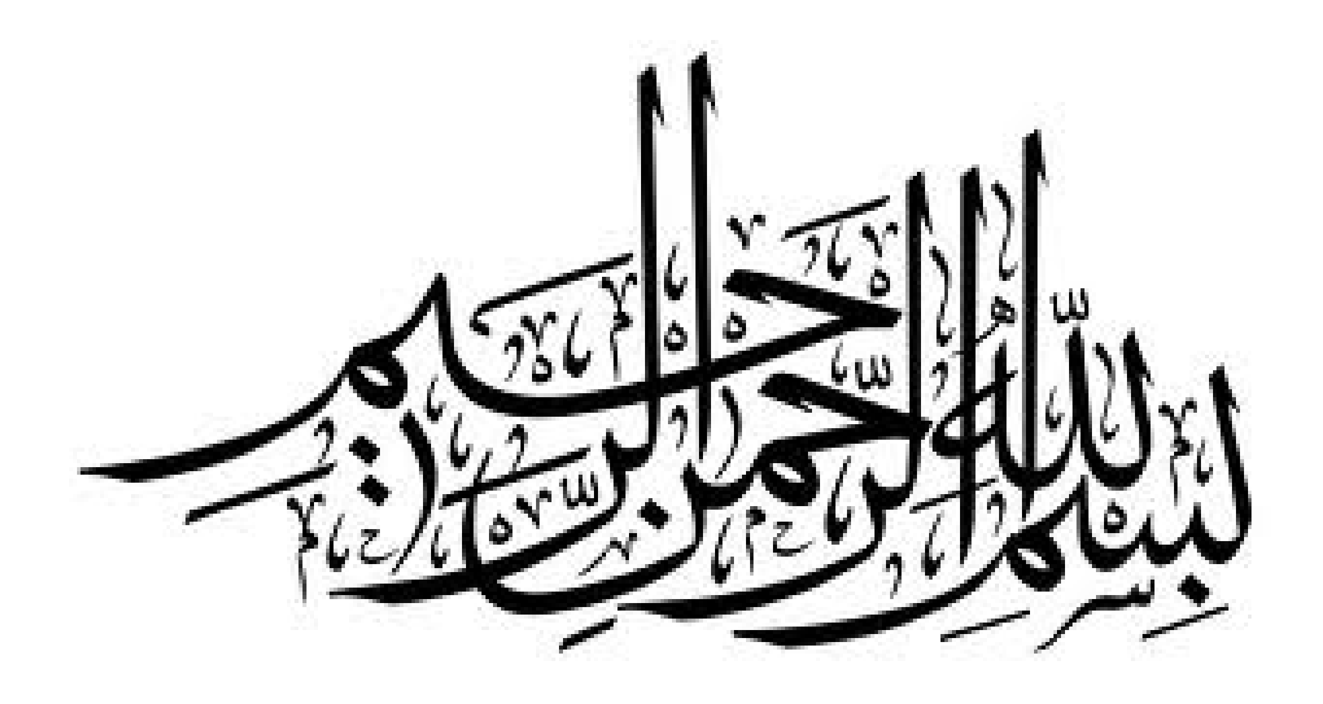
إعداد الطالبة:

زليخة معلم.

إشراف الأستاذ:

نصر الدين مصمودي.

السنة الجامعية: 2015/2014م.


بسم الله الرحمن الرحيم

"لقد بدأنا عملية إعادة بناء هامة. ونحن نعيد صياغة مواقفنا وتفكيرنا وكل طريقتنا في الحياة"

"ميخائيل غورباتشوف"

ممدوح نصار ،أحمد وهبان:التاريخ الدبلوماسي.

الإهــداء

إلـى كل من آمن بأن العلم مرآة لإنارة الشعوب وتطورها .

شكر وعرفان.

سبحان الذي سخر لنا الأرض ذلولا وجعل لنا بعد العسر يسرا

تتشكر الباحثة بعد إعانة المولى عز وجل على تذليل هذا العمل

إلى من حملتني على هون بعد هون" أمي" الحنون، وإلى مثلي الأعلى في الحياة" أبي" العزيز.

إلى إخوتي :"نظيرة" و"مسعودة" و"هناء"وفاطمة الزهراء"، وأخي الوحيد وسندي في الحياة"ساعد"،ومدللتي العائلة البراعم *"تنهينان" و"أسينات"*

إلى أساتذتي الذين لم يبخلوا بمد يد المساعدة العلمية، وأخصهم بالذكر الأستاذ المشرف "نصر الدين مصمودي".

وكل من كان له دور في انجاز العمل.وهم كآتي طقم قسم العلوم السياسية وعلى رأسهم الأستاذ القدير *"فؤاد جدو"* ورئيس القسم والأستاذة *"زنودة منى"* والأستاذ *"بن صغير عبد الله"* وعمال المكتبة الداخلية وتخصهم الباحثة بالذكر "ميلود حشاني".

وأستاذ التاريخ المعاصر من دولة العراق الشقيق *"نعيم العساف"* والأستاذة *"سعيدة عدوان"* من كلية العلوم الدقيقة بجامعة محمد خيضر بسكرة . والطلبة الزملاء الذين حرصوا على اطلاع الباحثة بكل جديد في الموضوع.

وترجو الباحثة من الله أن لتكون قد نسيت أحدا، لذلك تلتمس ألف عذر على إجحاف حق الاعتراف بالجميل

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات.

المختصر	المعنى
(د م)	بدون مكان
(د ن)	بدون ناشر
(د س)	بدون سنة
kGB	جهاز المخابرات السوفيتية
Ibid	المرجع السابق

مقدمة

نشأت الدولة الروسية على إثر توسع مدينة كييف، لتضم الأقاليم المجاورة لها نتيجة التحالفات القبلية الإقليمية حتى أصبحت دولة اتحادية تضم عدة جمهوريات وأقاليم تحت لواءها ككيان موحدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ...والتي وصلت حدودها إلى غاية المحيط الهادي.

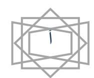
ونظرا للموقع الإستراتيجي الهام للاتحاد السوفييتي الذي يتميز به، فقد كان له دور في كل الأحداث والحروب التي دارت رحاها على الأراضي الأوروبية فكان عضوا أساسيا في دول الوفاق أثناء الحرب العالمية الأولى إلى غاية إعلان الثورة البلشفية، وفي الحلف أثناء الحرب العالمية الثانية ومشاركته في عقد وإبرام العديد من المعاهدات والمؤتمرات مع الدول الغربية.

شكل انهيار إمبراطورية روسيا القيصرية وقيام الاتحاد السوفييتي منعرجا حاسما في النظام العالمي، كما أدت ثورة البلاشفة سنة 1917م إلى ظهور منظومة عالمية جديدة بمبادئها المختلفة وأفكارها التي طرحتها للعالم بتوجه يناقض النمط الرأسمالي.

وهكذا انقسمت المنظومة العالمية إلى قسمين شيوعية اشتراكية تدعو إلى تطبيق العدالة والمساواة الاجتماعية والملكية العامة لوسائل الإنتاج، تزعمها الاتحاد السوفييتي، وإلى منظومة رأسمالية ليبرالية التي تقوم على اقتصاد السوق والمبادرة الفردية انتهجتها الدول الأوروبية الاستعمارية القديمة بالإضافة للولايات المتحدة الأمريكية.

ومن نتائج الحرب العالمية الثانية على الصعيد الدولي تغير موازين القوى بتراجع نجم قوى الاستعمار القديم وصعود قوى جديدة تمثلت في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة من جهة، ومن جهة ثانية تغير صورة العالم من أقطاب النسق المتعدد إلى النسق الثنائي تختلف فيه كل قطبية عن الأخرى عقائديا وفكريا.

وحطمت الحرب العالمية الثانية البنيات التحتية للعديد من الدول الأوروبية فالاتحاد السوفييتي مثلا خرج بتضحيات مادية وبشرية مثقلة، ونجح في بسط سيطرته وفرض إيديولوجيته الشيوعية على رقعة شاسعة من أوروبا وآسيا جعلت منه مركزا لصنع القرار الدولي، وتزامن ذلك باستفادة الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب اقتصاديا، فكان ما وجهت أنظارها إليه هو بسط سيطرتها على عدد كبير من دول أوروبا والحفاظ على الإيديولوجية الرأسمالية فيها.



وذلك ما جعل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية يدخلان في صراع دام حوالي نصف القرن ما بين (1945–1991م) متخذا شكلا سياسيا تمثل في سعي كل طرف منهما للهيمنة على العالم واقتصاد الآخر، واتخذ أحيانا شكلا عسكريا عن طريق إدارة الحروب والأزمات الدولية، وحتى في السباق نحو التسلح، وفي أحيان أخرى اتخذ بعدا إيديولوجيا ما بين العقيدة الشيوعية والعقيدة الليبرالية، باستخدام كل واحد منهما مجموعة من الوسائل كانشاءه الأحلاف العسكرية والمنظمات الاقتصادية، وتقديم المساعدات للدول الضعيفة... وغيرها من أشكال الدعم المادي والمعنوي.

وأثناء الصراع بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي الذي اصطلح عليه "بالحرب الباردة "حاول الطرفان إبعاد توتر الحرب عن مراكزهما، إلا أن ذلك لم يمنع حدوث اضطرابات داخلية. فالاتحاد السوفييتي عرف منذ نهاية العقد الأخير من القرن العشرين تطورا على مستوى الحزب الشيوعي السوفييتي وتدهورا اقتصاديا واجتماعيا أدى بوصول "ميخائيل غورباتشوف" إلى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي، والذي يعد أصغر أعضاء المكتب السياسي سنا بداية من 1985م ليباشر عندها عملية الإصلاح التي عرفت البيروسترويكا والغلاسنوست. لغاية سقوط الاتحاد السوفييتي سنة 1991م وتفكك جمهورياته.

أهداف الدراسة:

– التوصل لمعرفة الكيفية التي مكنت "غورباشوف" لبلوغه لسدة الحكم رغم الشروط التي كان يضعها النظام السوفييتي والتي يستحيل معها وصول أي عضو في سنه بالحزب الشيوعي لهذه المكانة عدا المؤسسين الأوائل"ستالين ولينين"، ودليل ذلك تتبع مسار الزعماء السوفييت الذين وصلوا للسلطة قبل "ميخائيل غورباتشوف".

– معرفة أسباب فشل السياسة الإصلاحية في إنقاذ المعسكر الشيوعي من التفكك. بالرغم من البرامج والمخططات التي وضعها "غورباتشوف" لهذا الغرض.

– معرفة الانعكاسات التي خلفتها السياسة الإصلاحية من تحولات داخلية بالجمهوريات

السوفييتية والتحولات الخارجية المنطوية تحت لواء النظام الاشتراكي أو حتى الدول الليبرالية الغربية.

أسباب اختيار الموضوع:

تتداخل مجموعة من العوامل التي تدفع بالباحث لاختيار موضوع بحثه سوءا كانت نابعة عن ميوله ورغباته الشخصية أو ما تتطلبه الحركة العلمية من تراكمية المعرفة واستمرارها، وتتلخص أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

- شغف الباحث لدراسة المواضيع ذات البعد السياسي والتأثير العالمي، فإن التحول السياسي الذي وقع في الاتحاد السوفييتي كان له أثره الكبير على التحول في باقي دول العالم المنطوية تحت إيديولوجيته.

- أن العالم الثالث قد تضرر أكثر من الاتحاد السوفييتي كانعكاس عن السقوط؛ فروسيا حاليا تتمتع بمكانة ونفوذ كبيرين في العالم يظهر في التمتع بحق الفيتو بمجلس الأمن، وحتى أن دول أوروبا الشرقية التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي عرفت هي الأخرى تحولا ديمقراطيا انتهى باستقرار سياسي عرفته المنطقة بعد انضمام معظم دولها للاتحاد الأوروبي.

- الرغبة في معرفة الانعكاسات الإيجابية والسلبية المترتبة عن سياسة "غورباتشوف" القاضية بالانفتاح نحو الغرب على الاتحاد السوفييتي داخليا وخارجيا.

- إيجاد الأسباب العميقة المتعلقة بسقوط الاتحاد رغم عملية إعادة البناء والإصلاح التي انتهجها "غورباتشوف" وبذلك كشف العلاقة بين عملية إعادة البناء والانهيار.

- معرفة آثار السقوط وبعده على التوازن والنظام الدولي .

الإشكالية:

ذهبت العديد من المراكز الخاصة بالأبحاث العلمية التي تناولت الأسباب الجوهرية لسقوط الاتحاد السوفييتي رغم عملية الإصلاح لبعث الحيوية فيه من جديد، وبما أن الموضوع الدراسة يحتوي على متغيرين يحاول الباحث الربط فيما بينهما من خلال طرحا لإشكال الآتي:

إلى أي مدى ساهمت السياسة الإصلاحية لميخائيل غورباتشوف في تفكك الاتحاد السوفييتي؟

وتندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من **التساؤلات الفرعية:**

1- من هو ميخائيل غورباتشوف؟

2- ما هي السياسة الإصلاحية التي انتهجها ميخائيل غورباتشوف؟.

3- ما هي انعكاسات السياسة الإصلاحية على الاتحاد السوفييتي داخليا وخارجيا؟

منهجية البحث:

لكل موضوع خصوصيته التي تفرض عليه إتباع إجراءات منهجية معينة توظف في منهج الدراسة، وحسب موضوع الباحث الموسوم "بدور غورباتشوف في تفكك الاتحاد السوفييتي 1985م/1991م". فإنه اعتمد المزاوجة بين منهجين للدراسة وهما المنهج التاريخي ومنهج دراسة الحالة ويتضح الاعتماد على المنهج الأول في طبيعة الموضوع التاريخية فانطلق الباحث من سرد وتطور الأحداث وفق التسلسل الكرونولوجي والزمني، واعتمد أيضا على هذا المنهج في وصف الحوادث والجذور التاريخية للنظام السياسي والاقتصادي منذ نشأة الاتحاد السوفييتي، وإعطاء بعض التحليلات والاستنتاجات لسد الثغرات المعرفية أو لتوضيح الأفكار والأحداث الذي يبرز أكثر في تحليل الاقتباسات وإعطاء التعارف المختلفة، أما المنهج الثاني فإن الموضوع يعتبر حلقة من سلسلة أسباب وتداعيات انهيار الاتحاد السوفييتي ما يوضح أن دور "غورباتشوف" ما هو إلا أحد المسببات التي أدت إلى السقوط ذلك ما جعل الباحث يعتمد على منهج دراسة الحالة ويأخذ الموضوع كأنموذج أسباب تفكك الدولة السوفييتية وتراجع مكانتها عن الساحة الدولية ككيان سياسي.

التوصيف النظري للخطة:

العنوان يضم متغيرين للدراسة الأول الاتحاد السوفييتي و الثاني سياسة "غورباتشوف" وعلى هذا الأساس فقد تم تقسيم الموضوع إلى خطة تضم ثلاثة فصول كل فصل يحتوي

على مبحثين أو أكثر و تندرج تحت المبحث ثلاثة أو أربعة مطالب.

الفصل الأول يتناول بالدراسة التعريف بالاتحاد السوفييتي وميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة، فقد خصص المبحث الأول لمعطيات حول الاتحاد السوفييتي من موقع جيو سياسي

والذي تدخل أهميته في معرفة كيف تشكل الاتحاد واتسعت رقعته الجغرافية بضمه للجمهوريات المجاورة له، ما جعل منه دولة متعددة الجمهوريات وبالتالي القوميات والتي أخذت عنوان التركيبة السوسيولوجية، وهذا التعدد يسيطر عليه الحزب الشيوعي سياسيا واقتصاديا وحتى عسكريا وقد ضمت هاته العناصر في طبيعة النظام السوفييتي، أما المبحث الثاني من الفصل نفسه فقد عنون بميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة، فتطرق لشخصية "ميخائيل غورباتشوف" من مولده بمدينة "ستافربول" وما كان يحيط بها من أحداث و ظروف عكست على التوجه الفكري والسياسي لشخصية الدراسة وضم أيضا هذا المبحث النشاط السياسي لـ"غورباتشوف" قبل وصوله لقيادة الاتحاد السوفييتي منذ مارس 1985م بداية من نضاله في الحقوق والدفاع عنها إلى الانخراط بالحزب الشيوعي وتدرجه في المناصب وما لعبته العلاقة الحميمة بين الزعماء السوفييت الكبار مثل: "بريجنيف" و"أندروبوف"...في رعاية و بناء الشخصية السياسية لـ"لميخائيل غورباتشوف".

أما الفصل الثاني فهو بعنوان الاتحاد السوفييتي في ظل حكم ميخائيل غورباتشوف، إلا أن هذا الفصل قسم إلى ثلاث مباحث لعدة اعتبارات أهمها اعطاء القدر الكافي لشرح الموضوع وتناوله من جوانب متعددة وثانيا أنه لا يمكن حذف أي عنصر من العناصر المتطرق لها لأهميتها في الموضوع، لذلك كان المبحث الأول حول وصول "غورباتشوف" للاتحاد السوفييتي من كيف اختير رئيسا من طرف المكتب السياسي للحزب ثم التحدث عن الأوضاع التي سادت الاتحاد قبيل وصول "غورباتشوف" إلى السلطة ما جعله يعطي تصورات لأزمة الاتحاد ثم كيف واجهها بإقرار سياسة الإصلاح، فيما يشمل المبحث الثاني الذي درس السياسة الداخلية الإصلاحية من تعريف حسب فكر "غورباتشوف" ومستوياتها التي انطلقت من إقرار سياستي إعادة البناء والمكاشفة، كما تناول معوقات السياسة الداخلية لكن المبحث الثالث قد خصص للسياسة الخارجية ضمن إطار الإصلاح من تعريف وموقف سياسة "غورباتشوف" اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية في إطار الحرب الباردة وما عقد بينهما من لقاءات، ثم السياسة تجاه دول شرق أوروبا والتي تم فصلها عن باقي الدول الاشتراكية لأهميتها البالغة في توجيه السياسة الخارجية للدولة السوفييتية، سواء في عهد "غورباتشوف" أو قبل مجيئه وآخر مطلب تطرق للسياسة اتجاه دول العالم الثالث بؤرة التوتر بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي والصين الشيوعية وهي أيضا من أبرز الدول المشكلة للمعسكر الشيوعي.

وأخيرا الفصل الثالث بعنوان انعكاسات سياسة ميخائيل غورباتشوف على الاتحاد السوفييتي داخليا وخارجيا، ويتفرع من هذا الفصل مبحثين الأول عن التحولات الداخلية من انقسام الحزب الشيوعي والانقلاب على الرئيس مع تفاقم الأزمة الاقتصادية التي أدت إلى القلق الجماهيري ونقمته على سوء الأوضاع فطالب بالانفصال عن الاتحاد ليشكل اتحاد الدول المستقلة، أما التحولات الخارجية فقد لمست إعلان السقوط وتوتر علاقات الاتحاد الخارجية وأخيرا انهيار المعسكر الشرقي وقيام جمهورية روسيا المتحدة.

البيبليوغرافيا:

اعتمد الباحث على مجموعة معتبرة من المصادر، والمراجع العلمية المتنوعة، وما بين الكتب، والدوريات العلمية، والرسائل الجامعية، والمقالات عن النشريات اليومية باللغة العربية واللغة الأجنبية، ومن أهم المراجع التي اعتمد عليها الباحث بشكل كبير تمثلت في مجلة التايم الأمريكية التي قدمت سيرة ذاتية عن "ميخائيل غورباتشوف" و"روبرت جيه ماكمان" الذي يعطينا نظرة مختصرة عن تطور العلاقة ما بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ومراحلها وانهيار الاتحاد السوفييتي في إطار الحرب الباردة، وكذا كتاب "ميخائيل غورباتشوف" "البيروسترويكا" ويوضح مرتكزات البيروسترويكا وموقف الجماهير السوفييتية منها، فيما تحدث "أرنست ماندل" عن الاتحاد السوفييتي أثناء حكم "ميخائيل غورباتشوف" من خلال الربط بين الاتحاد السوفييتي وحكم غورباتشوف ،...وغيرها من الكتب بما فيها مجلة السياسة الدولية بأجزائها، وقد أخصت في كل عدد لها جانبا من الدراسة لهذا للاتحاد السوفييتيي وخاصة الفترة التي حكم فيها "غورباتشوف" .

صعوبات الدراسة:

– إن دراسة مثل هذه المواضيع خاصة الإيديولوجية الشيوعية صعب وشائك، و هذا لا يتعلق بتوفر أو قلة المادة العلمية، وإنما يكمن في فهم الإيديولوجية والتوغل في أفكار الشيوعية الحقة وبالتالي فهم الخلل الذي لمس مؤسساتها.

– على حد إطلاع الباحث فإن الدراسات السابقة التي تناولت سقوط الاتحاد السوفييتي لم تفصل في الدوافع الكامنة لاتحاد الجمهوريات السوفييتية بين روسيا ودول أوروبا الشرقية والجمهوريات الإسلامية في آسيا.

– سكوت العديد من الدراسات على حد إطلاع الباحث عن العلاقة بين "غورباتشوف" وبين سقوط الاتحاد السوفييتي رغم محاولته الإصلاح.

– تناقض واختلاف طرح الباحثين ومراكز الدراسات في حصر تداعيات الانهيار بين الاستفادة الأمريكية من ذلك في إطار النظام العالمي الجديد وما عبر عنه "فوكوياما" بنهاية التاريخ فيما يعتبر الآخر انكسار للاتحاد السوفييتي وانهزامه أمام خصمه الغربي.

الفصل الأول: التعريف بالإتحاد السوفييتي و ميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة.

المبحث الأول: معطيات حول الإتحاد السوفييتي.

المطلب الأول: الموقع الجيو سياسي للإتحاد السوفييتي

المطلب الثاني: التركيبة السوسيولوجية للإتحاد السوفييتي.

المطلب الثالث: طبيعة نظام الإتحاد السوفييتي.

المبحث الثاني: ميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة.

المطلب الأول: بيئة نشأة ميخائيل غورباتشوف.

المطلب الثاني: التعليم و التوجه الإيديولوجي لميخائيل غورباتشوف.

المطلب الثالث: النشاط السياسي لميخائيل غورباتشوف قبل وصوله لسلطة.

المبحث الأول: معطيات حول الاتحاد السوفييتي

الاتحاد السوفييتي هو الاسم المختصر لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، وقد نشأ ذلك الاتحاد بين مجموعة من القوميات التي تقطن نفس الرقعة الجغرافية، بعد نجاح ثورة البلاشفة ليشكل أكبر اتحاد فيدرالي يضم خمسة عشر(15) جمهورية سوفيتية اشتراكية، واعتمد على النظام الاشتراكي الاقتصادي الذي يقوم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، والنظام السياسي الشيوعي القائم على الأحادية الحزبية، كما اعتمد على الجيش الأحمر لتحقيق الأمن الداخلي وحماية الحدود الخارجية.

المطلب الأول: الموقع الجيو سياسي للإتحاد السوفييتي

اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية أكبر بلد في العالم من حيث المساحة، فهو يمتد من بحر البلطيق إلى المحيط الهادي على طول ثلاثة آلاف(3000) ميل من الشمال إلى الجنوب، ومن القطب الشمالي غربا إلى البحر الأسود جنوبا*، وحدوده متاخمة لكل من النرويج، وفنلندا، تشيكوسلوفاكيا، وهنغاريا، ورمانيا، أما حدوده في جزءه الجنوبي فهي تحاذي كل من تركيا، وإيران، وأفغانستان، والصين، ومنغوليا ، وكوريا بقارة آسيا[1]. وتبلغ مساحة الاتحاد السوفييتي الشاسعة حوالي22,274,293 كلم^2؛ إذ يبلغ طول حدوده ستون ألف (60000)كلم^2، وهو بتلك المساحة يضم خمسة عشر (15) جمهورية، يمكن تقسيمها إلى مجموعات جيوسياسية[2] وهي:

1/ دول إقليم القوقاز

القوقاز إقليم جبلي يقع بين البحر الأسود في الغرب، وبحر القزوين في الشرق، ويتقاسم هذا الإقليم أربعة(04) دول وهي: روسيا، وجورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان، وهذه الدول بدورها تقسم جغرافيا إلى شمالية، والتي تعرف بجبال القفقاز، الذي يضم روسيا الاتحادية والتي تشمل عدة

---

[1]عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ط$_2$ ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1985، ج$_1$، ص31.

*أنظر خريطة الملحق رقم 01 ،ص 140.

[2] نذير الجزماتي، الموسوعة الجغرافية السياسية المختصرة، ط$_1$، دار العراب، 2010، ص07.

جمهوريات تتمتع بالحكم ذاتي، وهي: كداغستان، وأنغوشيا، والشيشان، وأوسيتيا الشمالية، فيما يضم جزءه الجنوبي جورجيا، وأوسيتيا الجنوبية، وأبخازيا، وأرمينيا، وأذربيجان، ويعرف باسم بترانس القوقاز، ويقع هذا الإقليم فلكيا بين خطي طول 40°و50° شرقا، وبين دائرتي عرض42°و43°شمالا[1].

وتحتل منطقة القوقاز مكانا مهما لأنها تعد من أهم مراكز التحركات السياسية والاقتصادية والبشرية منذ أقدم العصور، إذ قامت بنقل الحضارات مابين الشرق والغرب بالإضافة إلى تنوع مواردها الطبيعية وذلك ما جعلها منطقة صراع[2].

2/ الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى:

تقع الجمهوريات الإسلامية السوفييتية بآسيا الوسطى*، إذ يحدها شرقا بحر القزوين، و حدودها لا تشمل كل من جورجيا، وأذربيجان، وشمال تركيا، وإيران غرب القزوين، وأكبر مساحة في طول حدودها الشرقية تتاخم الصين عبر جبال تيان شان في قيزغيزستان، وجانبا من طاجيكستان، ثم تتجه نحو الصحراء بالقرم، أي نحو الجنوب الشرقي من بحيرة خوارزم، والصحراء الشرقية لبحر الخزر التي تشمل 80% من تركمانستان، أما فلكيا تقع تلك المساحة الجغرافية بين خطي طول 48° و88° شرقا، وبين خطي عرض 36°و55°شمالا[3]. وكانت المنطقة تتمتع بمكانة مهمة، تتمثل في المعبر التجاري الذي نقل الحضارة الإسلامية نحو الغرب. وهي أيضا هدفا مهما للروس بعد تخلصهم من الغزو المغولي، بتهجير الآلاف من الفلاحين الروس نحوها حتى بداية القرن19م، أين اعتمدت روسيا على التدخل العسكري بالمنطقة، وبعد ثورة 1917م عمد "لينين فلاديمير" (Lénine Vladimir)لاحتواء المنطقة ودمجها ضمن الاتحاد بالقوة، لأن الإسلام شكل عائقا أمام الاتحاد، فقام بتقسيم المنطقة إلى وحدات

---

[1] جواد صندل روسيا وجورجيا النفط والجيواستراتيجية منظور جغرافي سياسي، مجلة ديالي، ع41 ، 2009، ص 07.

[2] علي محمد كشث، الصراع الداخلي في منطقة القفقاز الشركسية1991–2007، رسالة شهادة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2009، ص03.

* انظر الملحق رقم 02 ، ص 140.

[3] أحمد عادل كمال، الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، ط1، دار السلام، القاهرة،2009، ص ص 03،04.

سياسية مستقلة تضم ست(06) جمهوريات وهي: كازاخستان، وأوزباكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان، تركمانستان، وأذربيجان[1] ، وقد ظلت المنطقة لفترة طويلة تعرف باسم "تركستان" ، وبعد انضمامها للاتحاد السوفييتي أطلق عليها تسمية "منطقة آسيا الوسطى"، وما يميز المنطقة ديناميكية الحدود، فهي تتسع وتضيق لمعايير سياسية[2].

3/ دول البلطيق

تضم المنطقة ثلاث جمهوريات وهي: استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا؛ إذ تبلغ مساحتها 175كلم^2،أي بنسبة 1%من مساحة الاتحاد السوفييتي الإجمالية[3]، وكانت منطقة البلطيق مكانا لصيد حيوان الرنة قبل عشرة آلاف (10000) سنة؛ فاستونيا كانت محط أنظار الألمان منذ القرن 13م، ثم الدانمركيون الذين بنو العاصمة تالين، أما الروس فتمثلت مطامعهم في الوصول إلى المنافذ البحرية عبر البلطيق، وغيرهم من الدول الأوروبية التي لها مصالح بالمنطقة[4]، وعندما قامت السياسة السوفييتية مابين 1939م و1940م على نزعة توسيع الحدود على حساب بولندا، وفنلندا، ورومانيا، وجمهوريات البلطيق، وبعد الحرب العالمية الثانية انتهج "ستالين" أساليب بوليسية قمعية للدعاية للوفاق الداخلي بالاعتماد على الأممية الشيوعية، ولفرض الوفاق بجمهوريات أوروبا الشرقية ذات الأنظمة الشيوعية[5].

4/ الجمهوريات الديمقراطية بأوروبا الشرقية*

تضم الدول الواقعة ما بين روسيا الاتحادية شرقا وبحر البلطيق شمالا، وتنحصر بين إيطاليا وألمانيا الغربية غربا وبين اليونان والبحر الأدرياتيكي والأيوني جنوبا. والمنطقة تشمل دول

---

[1] نوار محمد ربيع الخيري، الأهمية الإستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بين الأوضاع الداخلية والاهتمامات الدولية، المتاحة على الرابط، www.iasj.net ، تمت الزيارة يوم06/02/2005.

[2] حنان أبو سكين، بين الصراع والتعاون:التنافس الدولي في آسيا الوسطى، المركز العربي للبحوث، جويلية2014، المتاحة على الرابط www.acrseg.org، تمت الزيارة يوم2015/02/06، على الساعة، 11:01.

[3] خليل حسين، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، ط$_1$، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009، ص231.

[4] مسعود خوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار رواد النهضة ، بيروت، لبنان، (د س)، ج$_1$ ، ص323.

[5] عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص32.

* أنظر الخريطة الملحق، رقم03 ، ص 141.

أوروبا الشرقية ذات الأنظمة الشيوعية باستثناء يوغسلافيا التي تم إقصاءها بعد تمردها على السوفييت سنة 1948م[1]. وتعززت سيطرت الروس على شرق أوروبا بعد قهرهم للجيوش الألمانية هناك، وذلك ما جاء به مؤتمر بوتسدام[2] ، وهي تشمل كل من: بولونيا، وألمانيا الشرقية في الشمال، ورومانيا، وبلغاريا، وهنغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، يوغسلافيا، ونادى الاتحاد السوفييتي بالتضامن مع الشعب السلافي بأوروبا؛ فاستخدم رئيس الوزراء البريطاني مصطلح "الستار الحديدي" الذي يحد منطقة شرق أوروبا الشيوعية عن غربها الليبرالي[3] .

وكان للسوفييت نزعة توسعية على حساب آسيا التي ضمت معظم دول جنوب شرق آسيا في الهند الصينية، و شرق آسيا حتى كوريا الشمالية والصين الشعبية[4].

5/ كوريا الشمالية

تمثل الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الكورية، إذ تبلغ مساحتها حوالي 120538كلم^2 باستثناء المنطقة منزوعة السلاح[5]، فيحدها شمالا جمهورية الصين الشعبية ومن الغرب بحر الصين الشرقية، والبحر الأصفر، ومن الجنوب كوريا الجنوبية، ومن الشرق الاتحاد السوفييتي، ويفصلها عن كوريا الجنوبية خط 38°. ونتيجة لموقعها المهم أصبحت محط أنظار وتكالب القوى المجاورة لها، فما بين القرن1م والقرن2م قسمت البلاد إلى ثلاث ممالك، وكانت المملكة الأولى كوكوريو أكثر عرضة لغزوات الهان بالصين، وقد استطاعت رد ذلك لتتوسع وتأسس العاصمة الحالية لكوريا الشمالية، وللمنطقة أثرها الاقتصادي والثقافي على اليابان، بالإضافة إلى أنها محط أنظار المغول والتتار الذي حال دون وحدة الممالك الثلاث لعد قرون، وكان أيضا لروسيا القيصرية مطلب فيها للسيطرة على ميناء "بورت آرثر"

---

[1] عبد الوهاب الكيالي،ج3 ، المرجع السابق، ص32.

[2] جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرر، ط3 ، دار الشروق، بيروت ، لبنان، 1983، ص303.

[3] عبد الرحمن حميدة، جغرافية أوروبا الشرقية والإتحاد السوفيتي، ط1 ، دار الفكر، دمشق ، 1984، ص24.

[4] جمال حمدان، المرجع السابق، ص304.

[5] مصطفى أحمد أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان، الموسوعة الجغرافية، ط1 ، دار العلوم، القاهرة، ج1، 2004، ص59.

لتتوسع نحو آسيا[1].

/6 الصين الشعبية

تقع في شرق آسيا يحدها من الشمال الاتحاد السوفييتي، ومنغوليا، ومن الشمال الشرقي الاتحاد السوفييتي وكوريا الشمالية، ومن الشرق والجنوبي الشرقي المحيط الأطلسي، أما من الجنوب الهند الصينية(الفتنام، واللاووس)، وبورما، وفي الجنوب الغربي الهند والنيبال، ومن الغرب باكستان وأفغانستان، ومن الشمال الغربي الاتحاد السوفييتي. وتقدر مساحتها بـ: 9561758كلم^2، وبلغت أوج قوتها في 440م وأصبحت أقوى دولة في آسيا الشرقية[2]، وكان للدول الأوروبية وعلى رأسها روسيا والبرتغال مصالح تجارية بالصين بداية من القرن 18م، فاحتلت روسيا جزئها الغربي، بينما احتلت البرتغال الجنوب وفي مرحلة لاحقة عرفت المنطقة أخطر أنواع الاستعمار وهو الاستعمار البريطاني، والتي عرف عند المؤرخين بحرب الأفيون، كما كانت اليابان أيضا تسعى لفرض سيطرتها على الصين[3].

هيأت مبادئ العدالة والمساواة التي جاءت بها الثورة البلشفية، وأوضاع الحرب العالمية الثانية واجتياح جيوش هتلر العديد من الدول الأوروبية، الأرضية الخصبة لسيطرة الاتحاد السوفييتي على شرق أوروبا بنزعة استعمارية توسعية، وبهدف نشر الشيوعية خارجه.

كانت دعوة الاتحاد السوفييتي للدول المجاورة له تتخطى الدافع القومي المتمثل في اندماج العنصر السلافي، ففي منطقة البلطيق مثلا فبالرغم من صغر مساحتها إلا أنها مثلت مكسبا إقليميا للحصول على معبر تجاري نحو شمال القارة، أما الجمهوريات الإسلامية فكانت تهدف من ورائها إلى الانفتاح على الدول الشيوعية بشرق آسيا، خاصة الصين ومنها إلى كوريا، كما أنها هدفت للسيطرة على بحر القزوين رغم الاختلاف الإثني واللغوي عن العنصر السلافي. وبعد انعقاد مؤتمرات الحرب خاصة بوتسدام الذي رسم الحدود الخاضعة للنفوذ السوفييتي والتي

---

[1] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج5 ، المرجع السابق، ص ص202،203.

[2] عبد الوهاب الكيالي، ج3، المرجع السابق، ص683.

[3] عبد الوهاب الكيالي، ج3، المرجع نفسه، ص ص691،693.

كان آخرها الستار الحديدي اكتملت معالم المعسكر الشرقي الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفييتي ليدخل في حرب إيديولوجية عقائدية مع الولايات المتحدة التي قادت المعسكر الغربي الليبرالي.

المطلب الثاني: التركيبة السوسيولوجية للإتحاد السوفييتي.

1/ اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية:

انعقد المؤتمر الأول للعموم السوفييتي في 30ديسمبر1922 م، ليدرس تكوين إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية التي ضمت بداية روسيا وأوكرانيا[1]، حيث كان الإتحاد الروسي يشمل 2491 وحدة إدارية وتلك الوحدات تقسم إلى خمس (05) مستويات إدارية كبرى وهي:

أ- الجمهوريات: و يبلغ عددها واحد و عشرون(21) جمهورية[2] تتمتع بالحكم الذاتي، وقد عرفها الدستور السوفييتي في المادة 82 بأنها "دولة اشتراكية سوفيتية داخلة ضمن الجمهورية المتحدة وهي تبت في المشاكل الداخلية ضمن صلاحيتها بصورة مستقلة خارج نطاق حقوق الاتحاد السوفييتي والجمهورية المتحدة".

ب- المقاطعات ذات الحكم الذاتي: وهي وحدة إقليمية لا تتمتع بنفس مزايا الدولة[3] وهي سياسيا تقع ضمن جمهورية متحدة الإقليم، ويبلغ عددها عشرة (10) مقاطعات.

ج- إقليم الحكم الذاتي: وهو خاص بالعرق اليهودي الذي استقر بأقصى الشرق الروسي المحاذي للحدود الصينية.

د- الأقاليم: وعددها 49 إقليم.

---

[1] عبد الحميد زوزو،تاريخ أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية 1945/1914م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص177.

[2] عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز،(د ن) ، القاهرة، 2004، ص ص10،09.

[3] علي محمد كشث، المرجع السابق، ص43.

هـ- المناطق: وعددها 06 مناطق[1].

و- المدن ذات الاستقلال الفيدرالي: وهما مدينة موسكو ومدينة سان بطرسبرج ومن الناحية النظرية فقد تمّ تشكل الجمهوريات، و الوحدات لاعتبارات إثنية لغوية، أما باقي الوحدات بنيت على أساس تنظيمي إقليمي[2].

وضم بلاد ما وراء القوقاز التي تشمل جورجيا، وأذربيجان، وأرمينيا وكذا بيلاروسيا سنة 1924م، ليتسع بعد ذلك عدد الجمهوريات المشكلة له إلى سبعة(07) جمهوريات سنة[3] 1933م، ثم إلى إحدى عشر(11) جمهورية سنة 1936م إلى أن بلغ عددها أخيرا خمسة عشر(15) جمهورية متحدة اشتراكية ضمن اتحاد دولة سوفيتية بحقوق متساوية وهي روسيا، وأوكرانيا، وروسيا البيضاء، والجمهورية الأزبكية الكازاخستانية، وجورجيا، وأذربيجان، و ليتوانيا، ومولدا فيا، ولاتفيا، وأرمينيا، وتركمانستان، واستونيا، وفنلندا[4].

2/ التركيبة الإثنية-العرقية في الاتحاد السوفييتي:

الاتحاد السوفييتي دولة متعددة القوميات، فهو يضم أكثر من مائة(100) قومية وتسعة وثمانون(89) لغة رسمية، وقد أخذت مسألة تعدد القوميات جانبا من اهتمام الدولة السوفييتية بهدف التوصل إلى الوحدة، ونبذ الاختلاف خاصة وأن التنوع والاختلاف كبير جدا[5] وذلك ما جاءت به المادة (70) من الدستور السوفييتي: "اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو دولة متعددة القوميات، فيدرالية متحدة، مؤلفة بموجب المبدأ الفيدرالي الاشتراكي على أثر التقرير الذاتي الحر للقوميات والمشاركة الحرة التي وافقت عليها الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في الحقوق"[6] أهم اللغات السلافية: اللغة الروسية الرسمية؛ إذ ينطق بها نحو 104

---

1 عاطف معتمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص10.

2 عاطف معتمد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص10.

3 Vincent geuysse, cent question et réponses sur l'u r s s ,p,04.www.communisme-bolchevisme.net. 12/02/2015

4 Vincent geuysse, ibid, p04.

5 عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص251.

6 عبد الرحمن حميدة، المرجع نفسه، ص254.

مليون نسمة وأغلبهم من الروس، وباقي القوميات تؤخذ على أنها لغات ثانوية بعد الروسية وهي: اللغة الأوكرانية والبيلروسية... ، وتنحدر جميعها من الأصول الآتية:

1- الهندوأوروبية: وهي أهم المجموعات وتضم حوالي 73% من السكان وتتفرع إلى الروسية، والأوكرانية، البيلروسية ثم تأتي الليتوانية والمولدافية، وهما عنصرين قريبين من السلافية لغة و ثقافة[1].

2- الكارتفالية: وتتفرع إلى مجموعتين إثنو-لغويتين يتمثلان في المجموعة الجورجية المنتشرة جغرافيا في جميع أراضي جورجيا، ويطلق عليهم اسم الجورجيون باستثناء بعض[2] المناطق، كالأبخاز التي يقطنها 70 ألف أبجازي، و 200 ألف جورجي، إلا أن العنصر الروسي[3] يمثل الأغلبية الساحقة فهو يضم 100 ألف روسي، ويوجد أيضا 50 ألف أرميني وغيرهم من العرقيات السلافية الواقعة شمال بلاد القوقاز على الحدود الساحلية للبحر الأسود[4] ،و الأوسييت الجنوبيين الواقعيين في جزء من منحدرات جبال القوقاز الكبرى، وفي شمال جورجيا[5] وغير مكان من جورجيا كالجنوب الذي تطغى عليه القومية الأذرية والأرمينية. يبلغ عدد الأفراد المنتمين لها حوالي 4 ملايين نسمة. أما المجموعة الثانية فهي تشمل العرقية اللازمة بالجنوب الغربي لجورجيا، و أقصى شمال تركيا المحاذي لساحل البحر الأسود.

3-القوقازية الشمالية: وهي أيضا تتفرع إلى مجموعتين كبيرتين:

المجموعة الأولى: الناخو داغستانية وهي تضم:

- العنصر الشيشاني المنتشر في معظم الجمهورية.

- العنصر الآفاري: في القسم الجنوبي من وسط داغستان وأقصى شمال أذربيجان.

---

[1] مسعود خوند، المرجع السابق، ص194.

[2] عاطف معتمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص16.

[3] نذير الجزماتي، المرجع السابق، ص05

[4] عاطف معتمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص17.

[5] نذير الجزماتي، المرجع السابق، ص05.



– العنصر أندوتسيز: المتواجد في أقصى غرب داغستان المتاخم لشيشان و جورجيا.

–العنصر ليزجيني: يتمركز في جنوب جمهورية داغستان و شمال أذربيجان.

– العنصر الدار جيني: جنوب وسط داغستان.

– العنصر الأنغوشي: يتواجد غرب الشيشان[1].

وقد أبعدوا من أراضيهم نحو سيبريا وإلى آسيا الوسطى أثناء الحرب العالمية الثانية، وعندما استقر الوضع عادوا لمسقط رأسهم فوجدوا أن القوم الأوسيتي استولى على أراضيهم وبيوتهم في منطقة بريفوردني التي ألحقت إلى وأوسيتيا سنة 1944 م[2].

المجموعة الثانية: الأديغة–الأبخاز.

– العنصر القبر دني: ببلغاريا في النصف الشمالي من الجمهورية.

– العنصر الأدويغي: يتواجدون بالنصف الشمالي لجمهورية بلغاريا

– العنصر الأبخازي: يستقر بأبخازيا الواقعة تحت الحكم الجورجي.

– العنصر الشركسي: يقطن جزء من جمهورية كارتشييف شيركيسيا[3].

4–الألتابية: تحتل المجموعة التركية الصدارة فيها والإثنية الأرمينية لها وضع خاص، وتضم كذلك الأوزيك، والقيرغيز، والأذريين، والقازاخ، والتركمان، والتتار، بالإضافة إلى اللتشوفاش والبشكير.

5–الأورالية: تضم الشعوب المنحدرة من أصل فيني، وتلك الأقوام لم تقطن الأورال فهي تتمركز بالمناطق الغربية باتجاه البلطيق وتعرف تشتتا لكثرة هجراتها وحسب إحصاءات 1989م فإنه بلغ عددهم حوالي 286717000 نسمة[4].

---

[1] نذير الجزماتي، المرجع السابق، ص56.

[2] عاطف معتمد عبد الحميد،المرجع السابق، ص ص17،16.

[3] عاطف معتمد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص17

[4] مسعود خوند، المرجع السابق، ص 194.

ويتميز الاتحاد السوفييتي عرقيا ما بين قسمة الأوروبي الذي تتفوق فيه المجموعة السلافية وفي مقدمتها الروسية، أما باقي القوميات فقد عانت من المطاردات نحو السفح الغربي لجبال الأورال أو باتجاه وادي الفولغا الأوسط، وذلك أدى لالتطام الوضع نتيجة تجاور المسلمين مع المسحيين من الجهة الإثنية، ومن الجهة العرقية ما بين الروس المزارعين والتتاريين الرعويين. ولقد مثل الروس الأغلبية الساكنة في جمهوريات الاتحاد مثل، كازاخستان ذلك ماجعله يتفوق على باقي القوميات ويسيطر على مراكز صنع القرار فيها خاصة تحديد مصير باقي القوميات، بالرغم ما يقوم به مجلس القوميات في الدفاع عن مصالح وانشغالات المجموعات العرقية. وأدت هيمنة الروس على مقاليد الحكم بالحزب الشيوعي المركزي، والأحزاب الشيوعية الحاكمة بالجمهوريات الاتحادية الاشتراكية إلى إقصاء العناصر الوطنية وبالتالي ظهور مشكلة القوميات[1].

5-**الأتراك الغذية:** يتمركزون حول بحيرة بلماش إلى غاية شمال بحيرة خوارزم وتلك القوميات تضم حاليا قرغيزستان وكازاخستان، وهم شعب ذو أصل مغولي مسلم.

6-**الصفد والأزويك:** من أصل مغولي يطلق عليهم اسم القبيلة الذهبية المنحدرين من نهر كايم إلى وادي فزعامة إلى نهري سيجون وجيحون (سرداريا، و أموداريا، و طاجيكستان).

7-**الأتراك البلغار:** يسكنون شمال القزوين والبحر الأسود ما يعرف بأوكرانيا.

8-**الأتراك الخزر:** بجنوب بحر القزوين،والبحر الأسود بمنطقة القوقاز الجنوبي ما يعرف بأذربيجان.

9-**التركمان:** شعب مسلم ناطق باللغة التركية، ويقطن أراضي تركمانستان[2].

وقد حدث تلاطم في تلك المنطقة الآسيوية نتيجة اختلاط الأقوام النازحة من إيران المتمثلة في الطاجيك مع فلاحي الغوطات الأوزيك من جهة، ومن جهة ثانية بين قوم القيرغيز البدويين

[1] عبد الرحمن حميدة ، المرجع السابق، ص253.

[2] أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص08.



و الكازاخ. أما سيبيريا فشهدت انعزالا؛ بحيث يعيش فيها عدد كبير من العرقيات ذات تجمعات صغيرة[1].

إن ضم الجمهوريات المجاورة لروسيا ضمن اتحاد اشتراكي لم يكن على أساس قومي فقط، بل تعدى ذلك؛ حيث يوجد مائة وثمانون(180)قومية مختلفة عن العنصر السلافي، والتي يسيطر عليها العنصر الروسي، فالعديد من الجمهوريات تم ترحيل سكانها الأصليين إلى أماكن أخرى وإحلال الروس مكانهم ليشكلوا بذلك الأغلبية الساحقة، وبالتالي يسهل عليهم السيطرة على مقاليد الحكم متجاوزين السيادة الوطنية لتلك القوميات؛ وذلك يعني أن الاتحاد كان مبني على أساس القومي، ما جعل منه بلد فيدرالي لوجود دستور خاص بكل قومية داخل حدودها السياسية وبذلك يسهل على الدولة إدارة الأقاليم والوحدات السياسية، خاصة وأن النص القانوني يلغي الدور التعسفي الذي قام "لينين" و" جوزيف ستالين"(Joseph Staline) من بعده في الدول الأوروبية والآسيوية المجاورة لحدود روسيا لتتحد معها وهو بذلك يعطي للإتحاد صفة الطوعية وعدم الإكراه.

المطلب الثالث: طبيعة النظام السوفييتي.

1/ سياسيا:

اعتمد الاتحاد السوفييتي الفيدرالي على النظام الشمولي الذي يسيطر فيه الحزب الشيوعي على مقاليد الحكم منذ ثورة 1917م، وقد اتخذ من الإيديولوجية الماركسية –اللينينية مبدأ يقوم عليه[2] واعتمد على القوة لحكم المجتمع السوفييتي وتحديد اتجاهاته، وهو بذلك يكون حزب طلائعي يعبر من خلاله الشعب عن احتياجاته الأساسية ويحظى بالثقة الشعبية الكامل[3]، أي أن مهمة الحزب هي الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة. ويعود تاريخ تأسيسه سنة 1903م على يد "فلاديمير لينين" أثناء انعقاد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي

---

[1] عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص253.

[2] ممدوح منصور، أحمد وهبان، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى1815/ 1991م، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص168.

[3] محمد بكر إبراهيم، أباطرة التاريخ كيف سقطوا،ج2 ، مركز الراية ، مصر، ط1 2003، ص05.

الروسي، و ارتبط الحزب باسم مؤسسه، وسار على نهجه لأزيد من نصف القرن محققا بذلك عدة انتصارات وإخفاقات، إلا أنه ظل قائما عليها[1] .أما اعتماد الدولة على الحزب الواحد فكان إثر الصراع بين حزب الكاديت الدستوري والشيوعيين*[2].

وتقر الدساتير السوفييتية بالدور القيادي للحزب الشيوعي كما جاء في المادة 126:"إن أنشط المواطنين وأوعاهم في الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين والمثقفين الكادحين يتحدون طوعا في الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي هو طليعة الشغيلة في نضالهم من أجل إنشاء المجتمع الشيوعي، والذي هو أيضا النواة القائدة لجميع منظمات الشغيلة الاجتماعية منها والتابعة للدولة"[3].

وقد عرف الاتحاد السوفييتي منذ الثورة البلشفية أربعة دساتير وهي دستور 1918م، ودستور1924، وهما على الفترة اللينينية، ودستور1936م على عهد ستالين، وأخيرا دستور 1977م على الفترة البريجنيفية، وتلك الدساتير في عمومها تنطلق بالإعلان عن الحقوق المستمدة من أفكار الإعلانات الليبرالية الكلاسيكية ولكنها في جوهرها مختلف من حيث المبادئ الاشتراكية المرتبطة بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وإلغاء الاستغلال الرأسمالي والعمل على إلغاء الطبقية، وغيرها من المبادئ التي ترتكز عليها تلك الدساتير، ولقد كان

---

[1] موسكو، الإتحاد السوفيتي اليوم وغدا،(د ت ر)، مكتبة الكسندرينا، موسكو،ص76.

[2] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،ص175.

*ارتمت الدولة السوفيتية في أحضان الحزب الواحد نتيجة الصراع الذي شهده الإتحاد السوفيتي مابين حزب الكاديت المعروفين بالدستوريين الديمقراطيين، وكان على رأسهم المؤرخ "ميليوكوف" بحيث أن هذا التيار ليبرالي إصلاحي يقوم على السلطة البرلمانية، أما التيار الثاني الذي مثله الثوريون الاشتراكيون ويطلق عليهم اسم الأيس–أير وهي منظمة فلاحية فوضوية تنادي بمصادرة الأملاك الكبرى لصالح الجماهير ، وقد انقسم هذا التيار فظهر منه حزب البلاشفة(الأغلبية) والذي مثله لينين، وظهر المناشفة (الأقلية) والذي مثله ترو تسكي الذين التحقوا بالكاديت، حيث أنه لم يكن لهم اهتمام بقضايا الشغيلة، أما البلاشفة فقد حرصوا على نجاح الثورة واهتموا بإعداد الجماهير لدحض العصيان وكسبهم في صفهم بعد تخليهم عن الأحزاب البرجوازية، وهكذا أصبح الشيوعيون يمثلون الحزب الحاكم الوحيد بعد استبعاد نفوذ الاشتراكيون اليساريين من الحكومة فزالت معهم أوجه الطبقية والتعدد السياسي وبقيت إلا طبقة واحدة وهي الطبقة العاملة.(عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص175) ينظر أيضا: موسكو، الاتحاد السوفيتي اليوم وغدا، ص ص77 ،78.

[3]موسكو، المرجع السابق، ص78.

دستور 1918 م يقوم على تضييق مجال الاقتراع*، وعلى التنظيم الهرمي للسلطات وكانت بداية تطبيق ذلك الدستور بروسيا الفيدرالية ثم أصبح يطبق[1] على غيرها من الجمهوريات الاشتراكية كروسيا البيضاء في فيفري1919 م، وأوكرانيا في مارس1919م، وأذربيجان في ماي1921م، ثم طبق في أرمينيا وجورجيا في فيفري1922 م. وكان يضم 25000 ناخب في المدن فيما يضم الريف 125000 ساكن[2].

أما دستور1924 م فقد تم تأسيسه بعد انعقاد المؤتمر الثاني في 21 جانفي 1924 م الذي اتخذ من الأممية البروليتارية** مبدأ يقوم عليه الدستور الجديد ومما يتفق عليه دستور 1924 م مع باقي الدساتير اللاحقة على إن السوفيت الأعلى ينتخب من بين عدد النواب جهازا دائما يعمل باسم هيئة الرئاسة للسوفيت الأعلى إذ تتكون هذه الهيئة من الرئيس ونائب أول الرئيس ومجموعة من النواب[3].

ويعتبر دستور 1936 م من أهم ما أنجزه"ستالين" وأهم الدساتير السوفييتية وأطولها عمرا، وقد ركز من خلال نصوصه القانونية على ضرورة المساواة بين الجمهوريات ذات البعد القومي، ويعتبر ذلك الدستور مكمل لدستور 1924 م رغم ماجاء فيه من بعض التعديلات[4].

وفي 07أكتوبر1977 م ظهر دستور جديد مكمل لدستور 1936 م، إلا في بعض الجوانب فقد استبدل مفهوم الدولة الدكتاتورية البروليتارية إلى دولة الشعب كله منذ 1961 م. وذالك

---

[1] فورجيه، المرجع السابق، ص436.

* يقتصر فقط على الذين يكسبون قوت عيشهم من العمل الإنتاجي ولا يستغلون عمل الآخرين، وكذا يسمح للجنود والقوات البحرية المشاركة في إجراء الاقتراع ، فيما تقصى باقي فئات المجتمع التي تمد جذورها لعهد القيصرية(موريس دي موريس دي فورجيه، (ت ر)، جورج سعد، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1992، ص436.

[2] موريس دي فورجيه، المرجع السابق، ص436.

** وهي الطبقة العمالية الأجيرة في المجتمع الرأسمالي ولا تمتلك وسائل الإنتاج ويسيطر مالكي وسائل الإنتاج على جهد وقوة عملها(نذير الجزماتي، المرجع السابق، ص، 79.)

[3] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص177.

[4] عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، تاريخ أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، (د س)، ص525.

يعني أن الاتحاد السوفييتي قد توصل إلى الوحدة الاجتماعية، والسياسية، والإيديولوجية وتعتبر الطبقة العاملة العنصر المحرك فيه،وتحقق ذلك بعد نجاح تطبيق المهام الديكتاتورية فأصبحت الدولة السوفييتية دولة الشعب بأكمله، وركز ذلك الدستور على أولوية الحزب على الدولة والمجتمع المحكوم به القائم على مبدأ المركزية الديمقراطية[1].

ويتكون الحزب الشيوعي السوفييتي من مجموعة أجهزة قيادية* داخل الجمهورية الفيدرالية أقرتها الدساتير السوفييتية وهي:

1- مجلس السوفييت الأعلى: و هو أعلى هيئة قيادية في الدولة، وينتخب باقتراع عام لمدة أربع (04)سنوات، ففي مارس1954 م تم انتخاب الهيئة التشريعية لهذا المجلس بألف وثلاث مائة وأربعة وسبعون (1347) صوتا من بينهم ثلاثة مائة وثمانية عشر(318) عاملا، ومائتان وعشرون(220) مزارعا، وباقي الناخبين من الطبقة المثقفة التي تضم الكتّاب و العلماء و المهندسين و الأطباء و المعلمين و حتى العسكريين[2]، وقسم مهام ذلك الجهاز إلى مجلسين متساويين في الحقوق و هما مجلس الاتحاد ومجلس القوميات[3].

أ- مجلس سوفييت القوميات: يمثل الدول الأعضاء البالغ عددهم اثنان وثلاثون(32) نائبا لكل جمهورية فيدرالية، وإحدى عشرة(11) نائبا عن كل جمهورية مستقلة، وخمس (05)نواب لكل منطقة مستقلة أي ما يعادل سبعة مائة وخمسون(750) نائبا.

ب- مجلس سوفييت الاتحاد: وهو يضم نواب منتخبين ممثلين عن الدوائر، وعدد النواب فيه يساوي عدد نواب مجلس القوميات.

ويحظى هذين المجلسين بنفس الامتيازات حتى أن دوراتهما تعقدان في آن واحد، فكما هو

[1] موريس دي فورجيه، المرجع السابق، ص441.

* انظر ملحق رقم 04 ص142.

[2] Vincent geuysse, ibid ,p04,05.

[3] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص204.

مقرر قانونيا تنطلق الاجتماعات بشكل فردي لتحديد برنامج العمل، وباقي الاجتماعات بحضورهما، ومن مهام هذا المجلس الموازنة على القوانين، كما يملكان صلاحية المسألة والاستجواب بمجلس الوزراء عن طريق لجان متخصصة في ذلك، إضافة إلى الجمع بين السلطات؛ فهو يمثل التشريع والتنفيذ بشكل عملي لأنه قلما يعقد دوراته ما جعل سلطته هشة ولا يجتمع إلا ليقر على القرارات التي يتخذها البريدزيديوم. وقد تضمن الدستور حالة الخلاف بين المجلسين، حيث تعين لجنة تعمل على التقريب فيما بينهما وإن حدث أن أخفقت تلك اللجنة فيعمد إلى حل مجلس السوفييت الأعلى لتقام بعدها انتخابات جديدة كما جاء في دستور 1936، أما دستور 1977م فإنه يلجأ لحل المسألة إلى الدورة التالية لمجلس السوفييت الأعلى، أو أنه يطرحها على الاستفتاء[1]، ومن المهام المخولة له وضع الخطط للاقتصاد الوطني وإعداد الميزانية العامة لمسائل الحرب والسلم، و مراقبة تنفيذ الدستور، يدرس أيضا ملف طلب العضوية للجمهوريات الجديدة داخل الاتحاد كما أنه يصادق على تعديلات الهياكل الإدارية والإقليمية كما أنه يمثل الاتحاد السوفييتي في المحافل الدولية والسياسية الخارجية[2].

2- البريزديوم: جهاز فريد من نوعه في الأنظمة الفيدرالية، فهو يتشكل من رئيس ونائب رئيس أول، وخمسة عشر(15)نائبا عن الرئيس، وسكرتيرا، وواحد وعشرون(21) عضوا منتخبين من طرف مجلس السوفييت الأعلى، واستحدث منصب نائب رئيس أول حتى يتمكن الرئيس من خلاله بتفويض شخص يعينه، ويوكله الصلاحيات التي يشاء، وتم هذا التعديل بتعيين "ليونيد بريجنيف" بهذا المنصب بعدما كان سكرتيرا عاما للحزب. ويتمتع ذلك المجلس بالمهام التي يؤديها أي رئيس دولة: من حق العفو ومنح الأوسمة، والألقاب التشريفية، وتعيين السفراء والدبلوماسيين، وكذلك تحضير دورات مجلس السوفييت الأعلى والمشاركة في تعيين الوزراء وعزلهم، وغيرها من مسؤوليات الرئيس، وهو ينوب أيضا مجلس السوفيت الأعلى في حالة غيابه، ما يبرز المكانة المهمة التي يحظى بها ذلك الجهاز[3].

3- مجلس الوزراء: ويعرف بمجلس "قوميسير الشعب" ويشرف على تعيينه مجلس البرلمان

---

[1] موريس دي فورجيه، المرجع السابق، ص ص444،443.

[2] Vincent geuysse, ibid,p 05.

[3] موريس دي فورجيه، المرجع السابق، ص444.



وهو يضم رئيس وثمان(08) وكلاء، وعدد كبير من الوزراء[1] ، وهو أول حكومة سوفيتية، وهو أيضا الهيئة التنفيذية والإدارية العليا، وهو المسؤول أمام مجلس السوفييت الأعلى من حيث التعيين، والاستقالة، والمحاسبة. ومن مهامه الإشراف على جميع المسائل الإدارية التي لا تدخل ضمن مسؤوليات المجلس الأعلى، وكذا له حق النقض للقرارات التي يصدرها مجلس الوزراء والقرارات الإدارية الوزارية، ومختلف اللجان التابعة له في الهيكل التنظيمي[2] .

والحزب الشيوعي السوفييتي ديناميكي الأعضاء* فبعد نسبة 1917 سجلت عضوية الحزب 240000 عضو ليرتفع بعد ذلك إلى مليون عضو في 1926، ويستمر في الزيادة بنحو 2.5 مليون مع نسبة1933م، ثم ليبدأ بالتراجع إلى 1.9 مليون في نهاية الحرب العالمية الثانية ويشهد زيادة بعد ذلك في ظرف سنة واحدة إلى 4 ملايين، ويعود سبب ذلك التقدم والتراجع في العضوية لزيادة ونقصان عدد جمهوريات الاتحاد السوفييتي، فكل جمهورية فيدرالية لها ممثلين ينبون في الحزب الأساسي فبانسحاب تلك الجمهورية أو إتحادها يزيد أو ينقص عدد الأعضاء وهذا من جهة ومن جهة ثانية الاعتماد على التطهير بطرد عدد معين من الأعضاء، وفي إطار هذا فقد تم تسريح نحو 260500 من أصل 732500 ما بين سنتي 1922م–1924م و خفض كذلك إلى 1920000 من أصل 55500000 ما بين سنتي 1934م– 1938 م لغاية إلغاء تلك العملية نهائيا بحلول سنة 1939 م[3]

وتخضع جميع أحزاب الجمهوريات الفيدرالية إلى الحزب المركزي والذي يضم ثلاثة(03) أجهزة وهي: اللجنة المركزية، والمكتب السياسي، والسكريتاريا العامة، ويلحق بالأجهزة جمعية تشبه البرلمان دائمة العضوية في الحزب (200 عضو، وأكثر من 150 طالب انتساب)، ويمثل المكتب السياسي السلطة الفعلية وهو يتكون من (20 عضوا وطالب انتساب واحد مفترض من اللجنة المركزية)، أما السكرتارية العامة فهي تضم (12 عضوا من بينهم السكرتير العام ولجنة المراقبة)، وتخضع قيادة الحزب رسميا للجمع بين القيادة الجماعية الممثلة في جهاز المكتب

---

[1] عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، المرجع السابق، ص526.

[2] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، م1 ، المرجع السابق، ص37.

* انظر ملحق رقم 05 ص143.

[3] موريس دي فورجيه، المرجع السابق، ص ص447،446.

السياسي والقيادة الفردية الممثلة في منصب السكرتير العام الذي يشرف على جميع أجهزة الحزب، ويملك كل وسائل القوة التي تجعل منه ديكتاتوريا، وكان "ستالين" خير مثال لذلك وبعد وفاته أخذت القيادة جهودا كبيرة لتعزيز القيادة الجماعية، وذلك من أهم أسباب تنحية "نيكيتا خورتشوف" (Nikita.s.Khroutchev) سنة 1964م من منصبه[1].

وفي مجال السياسة الخارجية فقد قامت عقب نجاح الثورة البلشفية على نبذ النزاعات القومية التوسعية والإمبريالية[2] من خلال الاعتماد على الثورات التي قامت في البلدان الغربية الصناعية خاصة في ألمانيا، والمجر، وبلغاريا التي زرعت الأمل في إبقاء النظام السوفييتي، وعندما أحبطت آمالهم وجهوا نظرهم لعقد اتفاقيات ومعاهدات مع الدول المتاخمة لها كفنلندا، واستونيا، ولاتفيا، وليتوانيا... ومد أواصر الصداقة مع كل من تركيا، وإيران، وأفغانستان سنة 1921 م[3].

كما اعتمد السوفييت على بعض التسويات الاقتصادية لتشجيع التعاون التجاري مع الدول الأوروبية في مؤتمر "جنوا" سنة 1922 م لكن تلك المبادرة فشلت فأعادت موسكو المحاولة باتفاق "ربالو" مع ألمانيا ما أثار حفيظة الدول الغربية في مقدمتها بريطانيا وفرنسا لأن أي تقارب بين ألمانيا وروسيا، واحتمال إنظمام ايطاليا يضر بمصالح الحلفاء في مؤتمر "فرساي". وقد أمدت روسيا برلين بمادة الحبوب بعد احتلال فرنسا لمنطقة "الرور"، أين وجدت النازية مخرجا من مؤتمر الصلح و قراراته السياسية والاقتصادية. وهدفت موسكو من خلال ربط علاقات التعاون الاقتصادي والعلاقات الدبلوماسية مع الدول الأوروبية لكسب الاعتراف الدولي لها الذي سار على نحو بطيء، إلا أنه تم ذلك فعلا، فقد اعترفت بريطانيا بعد اتفاقية تجارية ربطتها مع روسيا وتلتها الاعترافات للعديد من الدول في مقدمتها الفاشية الإيطالية ثم فرنسا، واليابان... كما أن الاتحاد السوفييتي أقام علاقات خارجية مع دول البلطيق بحلف "وارسو"[4].

---

[1] عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، المرجع السابق، ص528.

[2] فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة، التاريخ الأوروبي الحديث 1815–1939م، ط1، وزارة التعليم العلي والبحث العلمي، العراق، 1982، ص248.

[3] عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، المرجع السابق، ص528.

[4] فاضل حسين، كاظم هاشم نعمه، المرجع السابق، ص ص248،247.

أما علاقة الاتحاد السوفييتي بالولايات المتحدة الأمريكية اتسمت بالعدوان لتحالف الاتحاد السوفييتي مع الخطر النازي منذ 1933م. و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية استمر التوتر في العلاقة، لما عرف بالحرب الباردة واختلاف وجهات النظر والمصالح فيما بينهما والتناقض بين العقيدتين الشيوعية والرأسمالية، واتسم الوضع بظهور أزمات كادت أن تفجر حربا عسكرية دامية رغم أنه كان بينهما تحالف مشترك لضرب الخطر المشترك الممثل في النازية الفاشية[1]. وفي أواخر الخمسينات دخل الصراع أحرج مراحله ببروز التهديد النووي الذي مثلته الأزمات الدولية وخاصة أزمة "برلين الثانية"، وأزمة "الصواريخ الكوبية"[2].

ودخلت العلاقة نهاية الستينات بينهما مرحلة الوفاق بين الرئيس السوفييتي "بريجنيف" والرؤساء " رتشارد نيكسون"(R.Nixon)، و"جيرالد رودلف فورد"(Gerald Rudolph Ford)، و"جيمي كارتر"(Gimy Carter) وسعت القوتان من خلال ذلك لكبح روح التنافس، وتقليل تهديد المواجهة النووية بعقد اتفاقيات الحد من التسلح، وتوسعت العلاقة لتشمل الروابط التجارية في مجال نقل التكنولوجيا والمشاركة العلمية في إطار الحرب الباردة. وبنهاية عقد السبعينات استفحلت المشكلات التي أنهت فترة الوفاق[3].

2- الجيش السوفييتي:

الجيش السوفييتي جيش شعبي لأنه يتشكل من ممثلي الطبقات الكادحة، ويتمثل دوره في الدفاع عن مصالح تلك الطبقات. وليس هناك فرق بين الرئيس والجندي والضابط فكلهم محاربون لهم مصالح وأهداف مشتركة[4] ، ويستمد قوته من وحدة عناصره، ومن وحدة الشعب كما أقرتها المبادئ اللينينية- الماركسية. ويتمثل عمل الهيئات المسلحة في قيادة الحزب الشيوعي ومختلف تنظيماته في الدفاع عن حصانة وأمن البلاد ضد أي غازي إمبريالي، فهو يعمل في إطار الدفاع عن وحدة وسلامة جميع الأراضي السوفييتية (خاصة في سنوات الحرب) أما في أوقات السلم فيتطلع إلى تدعيم القوات المسلحة وتطوير إمكانات الجيش والأسطول

---

[1]ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص249.

[2] روبرت جيه ماكمان ، (ت ر) محمد فتحي خضر، الحرب الباردة، ط$_1$ دار الهنداوي، 2014، مصر، ص82.

[3] روبرت جيه ماكمان، المرجع نفسه، ص119.

[4] موسكو، المرجع السابق، ص71.

الدفاعية فهو من يصيغ الإستراتيجية العسكرية للدولة، وإضافة على ذلك فهو يقوم بصياغة المبادئ العسكرية ويسهر على تنفيذها، فيما تتولى اللجنة المركزية للحزب وضع المبادئ العليا الموجهة في ميدان العلوم والفنون المسلحة.وتشرف تلك الهيئات على تجهيز المحاربين وتعمل في إطار ربط الجيش بالشعب، وتحدد اللجنة الاتجاه العام لصنع العتاد الحربي وترقية ترسانته المسلحة، وكذا إعداد ميزانية الجيش، ذلك ما جعل الجيش يتمتع بأحدث المعدات التقنية بين الدول الكبرى في تلك الفترة. فالكوادر العسكرية كلهم من المهندسين والتقنيين المتخصصين، ومن بين أولويات الحزب في المجال العسكري الاهتمام بالهيكلة التنظيمية للوحدات التي تضم الجيش والأسطول[1].

وتتشكل القوات المسلحة من الصواريخ الإستراتيجية في مجال الطيران والقوات البرية وقوات الدفاع الجوي وأخيرا القوات البحرية ويقسم كل نوع إلى عدة فروع؛ فالقوات البرية تقسم إلى المشاة الميكانيكية وإلى المدرعات والمدفعية، كما يعتمد ذلك الجهاز أيضا على تقسيم الأراضي إلى وحدات عسكرية تحيط بها أساطيل منصوبة على جميع المنافذ البحرية. ويربط الاتحاد الجمهوريات والدول السائرة في فلكه بحلف وارسو[2]، حيث تتعاون الدول الأعضاء فيه على نبذ استخدام القوة في تسوية نزاعاتها الدولية، وتعزيز سياسية التحاور في حالة وقوع هجوم خارجي ضد أي دولة عضو به، وقد جاء الحلف بقرارات توسيع نطاق التعاون بين تلك الدول في المجال الاقتصادي، والثقافي من خلال ما نصت عليه المواد الأولى من معاهدة الحلف. ويتمتع بجهاز عسكري خاص به ومستقل عن قوات الدول الأعضاء تستند فيه القيادة العسكرية الموحدة إلى جنرال روسي والتي تضم عدد من وزراء الدفاع، وعدد من الضباط، والقادة، والمعاونين، والاتحاد السوفييتي يمتلك حوالي

3500 رأس نووي وضعت تحت تصرف حلف"الصداقة والتعاون"[3].

3- طبيعة النظام الاقتصادي السوفييتي:

---

[1] محمد بكر إبراهيم، المرجع السابق، ص5،6،7.

[2] محمد عزيز شكري، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978، ص57.

[3] محمد عزيز شكري،المرجع نفسه، ص ص 59،61.

لقد طبق "لينين" المبادئ الاشتراكية بحزم فعمد إلى السيطرة على جميع وسائل الإنتاج لصالح النظام وإقرار الملكية الجماعية، فتراجعت معدلات الإنتاج الصناعي ونكران المزارعين للنظام الجديد بعد إستلاء الحكومة على محاصيل الحبوب التي ينتجونها ما جعلهم يمتنعون على إنتاج، لذلك تراجع "لينين" عن سياسته التحفيزية[1]، التي عرفت "بالخطة الاقتصادية" لإعادة الثقة بالاقتصاد السوفييتي وإعادة إنعاشه، وقد كانت تلك اللحظة محاولة لاقتحام الرأسمالية بالعودة لاقتصاد القيصرية، فعمد "لينين" عن مبدأ الضريبة العينية بدل أخذ فائض الإنتاج من المزارعين وأصبح المزارع حر التصرف في الفائض ليخلق متنفسا للاقتصاد ويستعيد حيويته[2]. ويكون توزيع الإنتاج المادي وفقا لمبدأ كل يأخذ حسب عمله أي أن يتلقى العامل أجرا من السلع التي ينتج وفقا لكمية ونوعية عمله فيعمل الفلاح دون امتلاك الأراضي والعامل يعمل بالمصانع والمعامل دون امتلاك رأسمال، وقد كانت تلك الخطوات الأولى في بناء المجتمع الاشتراكي[3].

ففي المجال الزراعي قام النظام الاقتصادي على تنظيمين:

أ/الكولخوز: وهو جمعية تعاونية بين الفلاحين تقوم بزرع نوع واحد من المحاصيل الذي تختاره الحكومة، ويقسم الإنتاجها بين الدولة والباقي يوزع بين المزارعين[4]. وكل أدوات الإنتاج من الأرض وآلات العمل، وحيوانات الجر وغذائها وسكنات الفلاحين ذات ملكية مشتركة والفلاح العامل بها يمتلك قطعة أرض صغيرة مجاورة لمسكنه، وبعض الماشية

والأدوات الزراعية الصغيرة. ويدير الإستثمار جهاز إداري متكون من مجلس عام يمثل الهيئة العليا، وظيفته المصادقة على المشاريع، وطريقة إنجازها، واختيار نوع المحاصيل، ونوع الحيوانات المستخدمة في الجر، ويدرس أيضا ميزانية الإنتاج ويصادق عليها. لتحقيق الرفاهية في مستوى معيشي لأعضاه، وله أعضاء يسهرون على إدارة كافة المسائل[5].

---

[1] خليل حسين، المرجع السابق، ص206.

[2] فاضل حسين،كاظم هاشم، المرجع السابق، ص ص248،247.

[3] Vincent geuysse, ibid, p04.

[4] عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، المرجع السابق، ص527.

[5] موسكو، المرجع السابق، ص183.

ب/ السوفخوزات: وهو مشروع تابع للدولة يقوم على استغلال الأراضي التي يمتلكها كل الشعب بوسائل وآلات ملك للدولة، وذلك ما يجعل منها مشاريع اشتراكية بين ملكية الأرض للفلاح، وبين ملكية أدوات الإنتاج للدولة، وقد نشأت تلك الاستثمارات مع ثورة 1917 م في إقطاعات الملاكين العقاريين القدماء التي كانت تابعة للدولة القيصرية. وهي استثمارات كبيرة تستغل أكثر من 1/4من المساحات المزروعة، وهي مزودة بأحدث المعدات الزراعية التي تسمح بمكننة الزراعة. ومن الأنواع الزراعية المتواجدة فيها: الحبوب واللحوم والحليب والقطن والصوف...وغيرها من المنتجات الغذائية، بالإضافة إلى تربية المواشي فهي تحتل مكانة كبيرة في الاستثمار[1].

وفي مجال الصناعة عمد "ستالين" إلى تحويل الاتحاد السوفييتي من بلد زراعي إلى بلد صناعي تحضيرا لبناء الاشتراكية في بلد واحد. فقد تم وضع خطط تنموية خماسية، فجاء المخطط الخماسي الأول بداية من 1919 م الذي دشن 1500 منشأة متنوعة الأحجام وبذلك ارتفع معدل الإنتاج إلى 170% واحتلت الصناعة 70% من الدخل القومي الإجمالي، بعدما كانت تساهم بـ48%. أما المخطط الخماسي الثاني فقد جاء بعد نجاح المخطط الأول وهدف إلى التخلص من الآثار التراكبية الرأسمالية بداية من سنة 1934 م، كما ركز على الصناعات الثقيلة[2]، التي حظيت بالأولوية في الاستثمارات فوق منابع المواد الأولية، أو بجانبها لتفادي تكلفة النقل العالية، واستحدث ذلك النوع من الصناعة ضمن الاتساع المساحي للأراضي. وتتفرع الصناعة إلى ثلاث أنواع كبرى وهي:

أ/ صناعة الحديد: بلغ إنتاجها 151 مليون طن في 1978 م وهي بهذه المرتبة تحتل الصدارة قبل الولايات المتحدة واليابان، ويعود هذا التطور إلى قوة الإدارة والتسيير في وضع المشاريع التنموية من جهة، ومن جهة ثانية إلى ضخامة الثروة الأولية خاصة بعد استغلال منطقة الشذوذ المغناطيسي "كورسك" مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فيما دفعت الثروة الوطنية ووفرتها إلى تطوير الصناعات الغير حديدية، وفي ذلك الشأن بنيت معامل لتحويل

---

[1] موسكو، المرجع نفسه، ص182.

[2] فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص251.

الفلزات [1]، أما الكيمياء الثقيلة فلم تلق اهتماما من قبل المنظرين خاصة وأنها جد معقدة فكانت الانطلاقة بالصناعة البيتروكيماوية في منطقة الأورال فقط[2].

ب/الصناعة التحويلية: اهتم السوفييت أيضا بهذه الصناعة التي ترتكز على الأدوات الميكانيكية الضخمة والمكامن الصناعية،وصناعة السيارات وحتى النسيجية ... تتمركز تلك الصناعات في نفس مناطق انتشار الصناعات الثقيلة حول موسكو.[3]

و لقد كان الاقتصاد السوفييتي يقوم على الموازنة في توجهاته الاقتصادية من خلال :

– الحفاظ على التوازن الإستراتيجي في إطار الحرب الباردة مع الند الآخر. خاصة في مجال التسلح وتصاعد تكلفته لما عرف بحرب النجوم.

– توفير ميزانية المشاريع الاستثمارية لتطوير الاقتصاد.

– رفع بالمستوى المعيشي ما يماثل الشعوب في الدول الغربية، وكذا محاولة لبلوغ المستوى الذي نادت به الماركسية في جلب الرفاهية والعدالة الاجتماعية، وهو التحدي الأكبر الذي فشل السوفييت في بلوغه.وقد سجلت الإحصائيات معدلات النمو الاقتصادي في فترة ما بين منتصف السبعينات والنصف الأول من الثمانينات، فمعدل النمو الفردي انخفض إلى 2,2% ما بين 1981م– 1985 م بعدما شهد نوع من الاعتدال بـ4,3% ما بين 1976م–1980م،والفارق الشاسع ما بين نسبة الصادرات التي تمثل 60% من مواد الطاقة والخشب...وبين الواردات التي زادت في اقتناء المواد الاستهلاكية الغذائية في الميزان التجاري. وذلك الفارق رفع من نسبة الديون الخارجية فقد بلغ 11 مليار دولار في 1984 م، وبعد مرور سنة واحدة ارتفع إلى5,15 مليار دولار، أما معدل النمو الاقتصادي بلغ في

النصف الأول من الثمانينات صفر [1].

---

[1] عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص307.

[2] عبد الرحمن حميدة، المرجع نفسه، ص ص303،302.

[3] عبد الرحمن حميدة، المرجع نفسه، ص307.

ومنذ ثورة أكتوبر1917م انصب اهتمام السوفييت على إنشاء البنية التحتية للصناعة العسكرية وغير العسكرية وتأمين الميزانية اللازمة للتصنيع وكذا تقديم المساعدات الاقتصادية و العسكرية للحلفاء ودعم حركات التحرر. ورغم توفر الثروات الطبيعية إلا أن ارتفاع معدل المتطلبات فاق قدرات السياسة الخارجية[2].

أعطى الاتحاد السوفييتي تنظيما شموليا، لكل من النظام السياسي، والاقتصادي، والعسكري الذي اعتبر أداة لتحقيق تطلعات الشعوب، إلا أنه أغفل حق الشعب في اختيار ممثليه الذين ينبون عنه في إدارة الدولة ومؤسساتها ومواردها .حيث اقتصر الانتخاب كحق وواجب على النواب بالحزب الشيوعي، وكما يعاب على ذلك النظام، هو ضمه القصري للأقاليم والمناطق المجاورة لروسيا، وأن كل السلطات قد جمعت في شخص الحزب وقيادته فمن أعلى جهاز إلى أدناه كلها بيد الحزب الشيوعي. أما الجيش وقواته المسلحة كانت مهمتها الأولى حفظ الأمن وردع المناهضين للحزب. وفيما يخص الاقتصاد فالزراعة قامت على المشاريع الاستثمارية التعاونية التي فرضت على الشعب الخضوع لنمط معيشي معين، كما اهتم بالصناعة الثقيلة بمختلف أنواعها. وما كان يطمح له النظام هو بلوغ الرفاهية وتحقيق العيش الكريم لكافة الأفراد والشرائح.

المبحث الثاني: ميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة

نشأ ميخائيل غورباتشوف في إحدى المدن الروسية، وعاش حياة بسيطة ثم نتقل إلى موسكو لمواصلة دراسته الجامعية بمجال الحقوق، وهناك انخرط بالحزب الشيوعي بالعاصمة السوفييتية "موسكو" . وتقلد عدة مناصب لغاية وصوله للسلطة سنة1985م.

المطلب الأول: بيئة نشأة ميخائيل غورباتشوف.

1/مولد ميخائيل غورباتشوف:

[1] موسى محمد آل الطويرش، العالم المعاصر بين الحربين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة1914–1991، ط3، دار إينانا،لبنان، 2013، ص ص246،245.

[2] خليل حسين ، المرجع السابق،ص228.

ولد "ميخائيل غورباتشوف سيرجيفيش" (Mikhail Sergeï Andreïevitch Gorbatchev) في 02مارس1931 م بقرية "برايفولنوى" الريفية التي تبعد عن مركز مدينة ستافربول الواقعة بإقليم القوقاز بحوالي 170 كلم[1]، وكانت سنة ميلاده بعد خمسة عشر سنة من قيام الثورة البلشفية سنة 1917م، واتسمت الفترة التي ولد فيها بانتهاج "ستالين" سياسة القمع والاضطهاد أكثر مما كان عليه في الثورة على عهد لينين[2] .وهو ابن "سيرجيفيش غورباتشوف" (Sergei Andreïevitch Gorbatchev) (1909–1976م)، وأمه" ماريا باتتلفيفنا" (Maria Panteleïevna) (1911–1993 م). وقد امتهن والده حرفة الزراعة، وكانت عائلته متوسطة المستوى المعيشي من الشريحة المتوسطة الجديدة؛ فأبوه "سيرجي" كان سائق شاحنة في إحدى الكولخوزات[3].

يقع المنزل الذي ولد فيه "ميخائيل غورباتشوف" و التابع لعائلته في شارع ثانوي خارج القرية بطابق واحد وهو لا يتميز بشيء عن باقي ديار القرية من حوله، فهو يحتوي على ثلاثة غرف ومطبخ صغير، تحيط به حديقة عبارة عن محمية وارتداد لجدار خارجي لتوفير الهواء والإضاءة[4].

وتعود أصول "ميخائيل" للعمل الفلاحي فجداه من جهة أبيه كانا يعملان في أحد الكولخوزات الاستثمارية، ثم أصبح جده مناضل في الحزب البلشفي وله أيضا دور قيادي مع

الحكومة في عملية تنظيم الزراعة السوفييتية أواخر سنوات العشرين وبدايات الثلاثينيات من القرن 20م، حتى أنه أنتخب رئيسا للزراعة الجماعية لإنتاج القمح قبل ولادة "غورباتشوف"[5].

---

[1] بلخيرة محمد، التحولات السياسية في الإتحاد السوفيتي وأثرها على الدول العربية الوطنية، مذكرة شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2009، ص90.

[2] حلمي القمص يعقوب، رحلة إلى قلب الإلحاد، ج1 ،ثمار الإلحاد، كنيسة القديسين، الإسكندرية، (د س)، ص 190.

[3] أرنست ماندل،(ت ر)، بولا ألخوري، الإتحاد السوفيتي في ظل غورباتشوف، ط1، دار الواحة، لبنان، 1991، ص ص106،107.

[4] محررو مجلة التايم الأمريكية، (ت ر)، دار الطلاس، السيرة الذاتية لميخائيل غورباتشوف، دار الطلاس، (د م)، 1990، ص40.

[5] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق ص45.

2/ نشأة ميخائيل غورباتشوف:

عرف أسلاف "ميخائيل" على أنهم من سلالة الفلاحين الصغار الروس و المعتمدين على الأرض في قوت يومهم رغم تهديد الجفاف بالحدوث في مدينة "ستافربول" بشكل مستمر، وكان جد وجدة "غورباتشوف" دور كبير تربيته أثناء الحرب العالمية الثانية، فقبل الإصلاحات الزراعية، وبعد تحرير العبيد التي أقامها رئيس الوزراء "مستوليين" سنة 1906م، حيث قدمت هذه الإصلاحات الكثير فقد أجازت الاستقلال بملكية الأرض من قبل الفلاحين ضمن تجمعات قروية، وانتقال الأراضي بعد دمج المشاعة منها بين الفلاحين[1]، وقد نجحت هذه السياسة في خلق طبقة جديدة تضم المزارعين الذين اجتهدوا كثيرا حتى أصبحوا أغنياء، وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة1914م شهدت روسيا القيصرية تطورا اجتماعيا واقتصاديا، وبعد مضي الثورة البلشفية ووفاة "لينين" ومع قيام الحرب الأهلية في روسيا ما بين (1818-1921م) والتي دار رحاها بين القوات الحمراء المؤيدة للشيوعية وبين المعارضين البيض البلاشفة، و أثناء هذه السيطرة على كل المنطقة التي تقدر مساحتها 31 ألف ميل مربع. وقد كان لأسرة "غورباتشوف" دور في كل هذه الأحداث من خلال تأييدهم للبلاشفة، ورغم أن والده في تلك الفترة كان غير قادر على إدراك حقيقة الوضع إلا أنه أصبح في فترات شبابه مؤيدا نظام "ستالين" الجديد ما بين (1929- 1931م). وقد تزامن مولد "غورباتشوف" مع قيام "ستالين" في بداية الثلاثينات بعمليات التطهير[2].

وفي سنة 1937م، وتبعا لسياسة الإكراه والتعسف التي لم يسلم منها أي مزارع، فنجد "غورباتشوف أندريه" لم يسلم من تلك الإجراءات، وفي ذلك يروي "ميخائيل" في إحدى المقابلات بصحيفة روسية، إذ يحاور الصحفي يقول له :"هل تعلم أن جدي سجن سنة 1937م وأن عائلتي اعتبرت عدوة للشعب" [3]، ولقد شاهد "غورباتشوف" وهو طفل صغير * كل مظاهر القهر من جراء عمليات التطهير وما خلفته من خراب في أحياء السكانية والمزارع البائسة وقد

---

[1] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع نفسه، ص40.

[2] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع نفسه، ص ص45،46.

[3] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص90.

*أنظر الملحق رقم06، ص 391.

كتب "كوستيرين" عن بعض الحالات بقوله:"على الطريق المهجور المؤدي إلى ستافربول، قابلت فلاحا يحمل حقيبة ظهرية... سألته إلى أين تسافر أيها الرفيق؟ "فرد عليه الرجل:"إلى السجن، فالشرطي في المنطقة لم يتمكن من مرافقتي" لذا كان يرافق نفسه وهذا يعكس سوء الوضع في أن الناس مع كل ذاك القمع والمجاعة يختارون السجن كأحسن حل لهم.[1]

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939م كان "غورباتشوف" لم يتجاوز العشر سنوات من عمره، وشاهد في هذه السن المبكرة الحرب التي دارت رحاها بين الجيوش السوفييتية في مدينة "ستافربول"، وكان يلاحظ كيف كان الجنود الروس المدافعون ينهزمون والحزن يعبئ وجوههم والكآبة تملأ نفوسهم نتيجة انكسارهم أمام الغزاة الألمان وكان يسمع صوت الإنفجارات الصادرة من المدافع الثقيلة، ويعاين السهام النارية وهي تحلق في السماء...و غيرها من العمليات. كمعركة "ستالينجراد" وما خلفته من ضحايا روسيين. ولقد تركت هذه الأحداث ذكريات أليمة بصمت بقوة في نفسية "ميخائيل غورباتشوف"[2].

ولقد نشأ "غورباتشوف" في كنف أسرة متوسطة المستوى و الذي يعرف "بالشريحة الوسطى الجديدة" الناشئة في التصنيع الاشتراكي ومن أصول عمالية، وهذا الوسط جعله يتميز عن باقي الزعماء السوفييت قبله الذين نشئوا في رحم الرأسمالية مثل: "لينين"، و"شقودلوق" (Chodellouk)، و"ليون تروتسكي" (L. Trotsky)، و"بوخارين"(Boukharine)، و"جوزيف ستالين"، و"مولوتوف"(Romanov). إلا أن ما ميز طفولته الصدمات النفسية التي تلقاها واحدة تلو الأخرى، فقد عانى والده من البيروقراطية واستغلالها له كسائق شاحنة في محاولة لإظهاره كابروليتاري رغم مزاولته العمل،.وبعد الفترة الستالينية لم يعرف "غورباتشوف" في فترة شبابه – سنوات العشرينات– أي نضال عمالي والثورة ولا الحرب الأهلية ولا الحرب العالمية، فهو أول زعيم يصل لسدة الحكم لم تمر عليه أقوى الحروب العالمية والأهلية بعد الفترة الستالينية، وخلال السنوات الأولى من دراسته قام السوفييت بإخلاء العديد من المناطق بعد الاحتلال النازي لها وهذا مايطرح السؤال فلمدة تفوق خمسة (05) أشهر اختفى فيها ميخائيل غورباتشوف والمصادر السوفييتية تتحفظ عن ما إذا كان قد أبعد لمنطقة منعزلة مثل ماحدث مع باقي

[1]محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق، ص55.

[2]حلمي يعقوب القمص، المرجع السابق، ص191.

أقرانه.. وكما أنه عان من حرمان الوالدين فأبوه كان في جبهة القتال بمنطقة الكاربات، والدته تركه لمدة معينة لكن اختفاءها غير واضح ماجعله يمكث بعض الوقت مع جديه. وكان جداه على الدين المسيحي رغم انتسابهما للحزب الشيوعي، ويتذكر "غورباتشوف" أثناء مكوثه عندهما أنه كان لهما أيقونات في منزلهما، لكنهما بسبب الخوف من الدولة أخفوها وراء صورتي "لينين" و"ستالين" وأنهما تعودا الذهاب للكنيسة وقد اصطحباه مرة إليها. أما والده فلا توجد أدلة على اعتناقه المسيحية، ويختلف الأمر بالنسبة لأمه "ماريا " فإنها كانت على المذهب الأورثودوكسي إذ واظبت على زيارة كنيسة بالقرب من منزلها لغاية وفاتها سنة 1993م[1].

وبعد ما وضعت الحرب أوزارها عاد "سيرجي" والد "غورباتشوف" لدياره ليواصل حياته قبل التحاقه بجبهات القتال كسائق شاحنة في إحدى المزارع . وكان "غورباتشوف" يقضي ساعات طويلة رفقة والده في الحقول كتعويض لسنوات الحرمان في طفولته ومن شدة الاشتياق، ولما بلغ سن الرابعة عشر14 من عمره كان فتى قادرا على قيادة حصاده فأصبح يساعد والده على انجاز عمله و كان العمل شاقا و صعبا للغاية، ضف إلى ذلك قسوة الطبيعة فكان يغطي نفسه من شدة البرد وهو يقود الحصادة بعد عودته من الدراسة في العطل الصيفية [2] .

البيئة التي نشأ فيها "غورباتشوف" لا تتميز بشيء عن باقي الأطفال في مدينته ، فكل الناس عانوا من الجوع والحرمان والتهجير، فما جرى على عائلة غورباتشوف جرى أيضا على باقي العائلات. حتى أن مستوى عائلته لا يتميز عنهم بشيء فجميع سكان القرية يمتهنون الزراعة ، ويعملون في تعاونيات الكولخوزات.

لقد كانت الفترة التي نشأ فيها "غورباتشوف" من أقسى وأحرج الفترات، في عمر الاتحاد السوفييتي ، فأثرت فيه تلك المظاهر وتركت في نفسيته ألما وأثرا سلبيا .

وقد تكون السلطات السوفييتية سكتت عن تحديد مكان إقامة "غورباتشوف" ، أثناء عمليات التهجير في المنطقة لأن مدينة ستافربول قد تعرضت للاحتلال النازي، وتلك حالة اعتيادية

---

[1] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق، ص ص64،65.

[2] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع نفسه، ص ص67،68.

فأثناء الحروب تعزل جماعات، وتعتقل، أو تسجن أخرى، ويهجرون إلى مناطق نائية لا حياة فيها.

وشخص مثل "ميخائيل غورباتشوف" وفي سنه يحتاج جدا لدفئ الأسرة حتى يشعر بالأمان والحماية فمن جهة والده فقد عان من الحرمان اتجاهه، ثم غابت أمه ليعيش مع جديه من جهة ومن جهة ثانية أن أي شخص في سنه يكون شديد الملاحظة، والتأثر بالأوضاع المحيطة به فابالاضافة لقسوة الطبيعة من البرودة والثلوج، ومن مرارة العيش والفقر، ومن الظلم والحرمان والانعزال والخوف من الحرب، فسيكبر لديه مع الأيام شعور معاد للظروف التي عاشها ويحاول دوما إخفاء ذلك الجزء من حياته الذي يعتبره مظلما، "غورباتشوف" كان حسب ما يلاحظ أنه شخص كتوم لا يفصح كثيرا عن ما بداخله.

كل تلك الظروف صنعت شخصية "ميخائيل غورباتشوف" التي حاولت الهروب من الواقع بمحاولة تغييره.

المطلب الثاني: تعليم وتوجهات ميخائيل غورباتشوف:

1/ تعليم ميخائيل غورباتشوف:

تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة القرية مع مجموعة من الأطفال أبناء الفلاحين وأهم العلوم التي تلقاها كالأدب وبعض ومواضيع الرياضيات...وفي هذه الأثناء أدخل "ستالين" وقادة الحزب الشيوعي البلاد في حالة من الجنون جراء عمليات التجسس والتدمير والخراب الذي خلفته عمليات التطهير ما بين (1936–1938م)، فأطفال المدارس كان لهم من هذا، فقد سيطر عليهم هاجس داخلي باستئصال أعداء الشعب من بيئتهم[1]، أما "غورباتشوف" الذي يبلغ (06) ستة سنوات من عمره سنة 1938م، فقد ألقي القبض عليه من قبل السلطات بحجة عضويته في منظمة مقاومة للثورة و"ستالين" ورغم قيامه الدفاع عن نفسه لإبعاد التهم عليه إلا أنه تعرض للضرب الشديد حتى أن ذراعه كسرت من جراء الضغط عليه في الباب، وعذبوه فقد

[1] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق، ص59.



أجلسوه على مقعد ساخن وألبسوه بالقوة معطف من جلد الغنم مبلل، وبعد ما تأكدوا من براءته أطلقوا سراحه[1].

...وبعد السنوات الأولى من تعليمه انتقل من القرية لمكان آخر يبعد عنها بـ 9 أميال لإتمام تعليمه الثانوي. وقد كان "ميخائيل غورباتشوف" يقطع يوميا معظم مسافة الطريق راجلا وسبب هذا التصرف خفي.فهل يعود هذا لعدم توفر وسائل النقل سواء التقليدية أو الحديثة؟، أو لصعوبة التنقل ما دامت المنطقة محتلة من قبل النازية ؟ والتي تعاني ظروفا قاسية قد عرقلت مسار الدراسة لـ "غورباتشوف" ويذكر أنه في إحدى المرات بعد مضي (05) خمس سنوات من تعليمه بتلك المنطقة انقطع عن الدراسة لمدة ثلاثة أشهر بسبب الفقر فقد عجزت والدته أثناء سفر أبيه للجبهة عن شراء حذاء له، حتى كتب والده "سيرجي" لأمه "ماريا" رسالة يأمرها ببيع ما هو ثمين من أجل اقتناء حذاء "لميخائيل" لالتحاق بالدراسة مع رفاقه. ورغم الظروف القاسية إلا أن غورباتشوف كان متفوقا في الدراسة فحصل على جائزة مدرسية[2].

وعندما بلغ التاسعة عشر (19) من عمره سافر "ميخائيل" لموسكو على متن قطار في أيلول 1950م وقد كانت رحلة السفر طويلة ومضجرة وكان "غورباتشوف" أثناء سفره يحمل حقيبة بها بعض اللوازم الشخصية ويرتدي معطفا وقبعة قوقازية، تاركا عائلته من ورائه ، وقيادة الكومسمول وعندما وصل للعاصمة بمحطة كورسك فلم يكن أحد ينتظره ربما لأنه لم يرتدي الوشاح الأحمر الدال على القيمة، إلا أنه نزل بمحطة القطار مدركا التحديات التي

ستواجهه في موسكو[3].

وكانت أسباب سفره لمواصلة دراسته الجامعية أنه اختير من بين شباب قريته لإرساله كطالب حقوق إلى جامعة موسكو[4]. وتوجه إلى كلية الحقوق لكنه لم يفضل ذلك التخصص كما عبر بقوله :"قبلت في كلية الحقوق في الوقت الذي كنت أتمنى فيه الانتساب إلى كلية العلوم

[1] حلمي القمص يعقوب، المرجع السابق، ص ص191،190.

[2] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق، ص 60.

[3] محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع نفسه، ص77.

[4] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص103.

الفيزيائية " كما أنه كان مهتما بالرياضيات والتاريخ وحتى الأدب. ويعود سبب التحاقه بالحقوق ليس رغبة منه، فهو لم يفضل مجال القانون والحقوق، ويعتقد أن مجموع تحصيله الدراسي غير كاف للالتحاق بإحدى التخصصات التي يحبها أو أن هناك أسباب أخرى لعدم رضاه عن ذلك خاصة وأن دور رجال القانون في تلك الفترة يقتصر في تقديم المبررات على تجاوزات الحزب والنظام من عمليات التطهير والقمع، خاصة مع تواجد "أندريه فيشنسكي" في تلك الفترة، ورغم أنه رقي إلى منصب وزير الخارجية لفترة محدودة وممثلا دبلوماسيا للاتحاد السوفييتي بهيئة الأمم المتحدة إلا أن ظله بقي مخيما على الحقوقيين ونشاطهم. وكان جميع خرجي كلية الحقوق يوجهون إلى مكاتب الإدعاء أو فروع الأمن؛ كجهاز المخابرات بعد تقليص وزارة الداخلية ورغم ما تمنحه تلك المكاتب من مغريات إلا أن الطلاب كانوا ينفرون منها لسمعتها السيئة، خاصة في سنوات الخمسينات فلم يزد عددهم عن 45 ألف من أصل مليون ومائتي ألف طالب وشهد ذلك العدد تراجعا إلى 36 ألف رغم تضاعف العدد الإجمالي لطلاب الجامعة لأن القانون لم يكن له دورا مهما[1]. ويعتقد أيضا أن تكون مؤهلات عائلته المادية حال دون التحاقه بكلية العلاقات الدولية.وكان ينتقل يوميا من محل إقامته في ناحية سوكولينكي بشمال الشرقي لموسكو، ويقضي راحته في القراءة والمطالعة[2].

ودرس أيضا في مجال الزراعة بمعهد الهندسة الزراعية، وتخصص في المشاكل

الزراعية مابين 1964م و1974م[3]. وتخرج من شعبة القانون بجامعة الدولة بموسكو سنة 1955 فيما تخرج من المعهد الزراعي في ستافربول سنة 1967م[4].

2/التوجه الإيديولوجي لميخائيل غورباتشوف:

نشأ في خضم جيل يميل إلى التعاطي مع المشكلات داخل المجتمع من موقع منجذب نحو المجتمع الاستهلاكي، وهو من الجيل المتعلم تعليما عاليا وله نظرة تكنوقراطية، ومتأثر بوسائل

---

1 محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق، ص ص78،79.

2 محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع نفسه، ص ص80،81.

3 www.mounsiour-biographie.com,21/12/2014,14:00 .

4 ميخائيل غورباتشوف،(ت ر)، حمدي عبد الجواد، البيروسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1990، ص 320.

الإعلام الحديثة وفي مقدمتها التلفزة باتحاد السوفييتي، وكان "غورباشوف" من الذين أدركوا تأثير هذا الجهاز على الناس وإمكانية استخدام هذه الورقة بيد الحزب على ما كان يبثه ذلك الجهاز من مشاهد مملة للناس، وقد رسخت لديه رحلاته خارج الاتحاد السوفييتي قناعة بضرورة التغيير. فأصبح أول خبير للعلاقات العامة. والشخصية التليفزيونية الأولى في تاريخ الزعماء البيروقراطيين السوفييت، وسياسي محنك كما يصفه "ديق موراركا"، هذا ما يميزه عن أبناء جيله المشمئز من الفترة الستالينية من حيث تصفياتها و شراستها التسلطية ومداخليها الضخمة المحققة من أرباح اقتصادية إذ أنه كان ينظر لهذا بأنه إسراف لا فائدة منه ويطمح في تثبيت العمال بواظائفم. وبعد انقضاء عقد من الآمال ما بين سنتي (1953–1963م) فنظر بتاريخ السوفييتي الذي يزداد بانعدام الحركية و المساوئ التي طغت على حقبة التطهير الدموي، إلا أن هذا الجيل يحمل فكرا للتغيير خفيا و بطريقة تدرجية، و"غورباتشوف" من هذا يتخطى جيله في الذكاء والطموح[1]. وقد كان لزوجته آيسا التي تعرف بها أثناء دراسته الجامعية في موسكو دور في توجهه الإيديولوجي الراديكالي النازع إلى تغيير البنية الحزبية السياسة والالتزام بالتحول داخل وخارج الاتحاد السوفييتي[2].

3/ موقف ميخائيل غورباتشوف من الشيوعية :

وقد لمح غورباتشوف للشيوعية على أنها مجرد أساطير إيديولوجية[3]، وعبر في كتابه البيروسترويكا عن النظام في عهد "ستالين" ب:" مرحلة عبادة الفرد" ورغم ذلك الوصف إلا انه يبرر لستالين بعض تصرفاته في ظروف الحرب الدافعة لذلك، ونجد أنه عندما تقلد كرسي الرئاسة أفصح عن موقفه من سياسة "ستالين" بقوله " أن ستالين انحرف " أي أن "ستالين" حاد عن المبادئ الاشتراكية التي وضعها "لينين"، وعندما عقد اجتماعا للجمعية المركزية تناول فيه الحديث بالخصوص عن مساوئ "ستالين" وتجاوزاته حيث أن أحد الحاضرين بعث له بورقة

---

[1] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص ص 107،108.

[2] محمد بوذنية، أحداث العالم في القرن العشرين 1980–1989م، مطبعة لابراس ، تونس، (د س)، ص202.

[3] ياسر حسين، 24 شخصية سياسية هزت البشرية،ط2 ، مركز الراية ، القاهرة ، 2000، ص103.

تحمل السؤال التالي " أين كنت يوم كان "ستالين" يصنع هذه الأمور " إلا أن السائل لم يفصح عن نفسه فأراد "غورباتشوف" معرفة الشخص الذي طرح السؤال فلم يرفع أحد يده من بين الحاضرين فأجابه "غورباتشوف" ب: " كنت أنا في أيام ستالين كما أنت الآن في أيامي "[1].

ومما يتضح أن "ميخائيل غورباتشوف" لا يؤمن بواقعية المبادئ الشيوعية فهو يعتبرها مجرد خرفات، ومن ضرب الخيال، ولا ترقى لمستوى الواقعية وذلك لأن المبادئ التي نادت بها الاشتراكية كتحقيق الرفاهية للفرد السوفييتي كانت مجرد حبر على ورق، فالشيوعية التي جاءت عن طريق الثورة بدلا أن تحقق الرفاهية والعدالة نجدها كرست الظلم والطبقية بتفضيل قومية على قومية أخرى، وخاصة الروسية التي اعتبرت فوق كل تنوع اثني- لغوي. فالديمقراطية الشيوعية عملت من أجل كم الأفواه المناهضين لها ولهذا نجد أن "غربا تشوف" رد على سائله كنت مثل ما كنت أنت اليوم أي أن "ستالين" ودكتاتوريته منعت دون الرأي الأخر لأنه كان قمعيا أكثر مما يتخيله العقل البشري لهذا لم يتجرأ لا "غورباتشوف" ولا غيره على محاسبة أو مخالفة ما قام به "ستالين" ورغم معرفتهم طبيعة أسلوبه فالمسئول أو القائد مهما كان صغيرا أو كبيرا في مركزه فعليه التنفيذ فقط فلا يسمح له بالحديث. ورغم ذلك كله إلا أن تبرير "غورباتشوف" لبعض تجاوزات "ستالين" دليل على أنه يتوافق معه في بعض المسائل الحربية ما يوضح أن "غورباتشوف" ذو نزعة استعمارية.

المطلب الثالث: النشاط السياسي لميخائيل غورباتشوف قبل توليه السلطة :

كان دخول "غورباتشوف" لعالم الشغل مبكرا جدا فعن السن 15 سنة تسلم قيادة حصاده.[2] ثم أصبح مسئولا ميكانيكيا ما بين 1946م و1950م، إلا أن نشاطه في مجال السياسة كانت بدايته سنة 1952 م عندما شغل منصب مسؤول منظمة الشباب في مدينته،[3] وشغل ذات المنصب بفرع الحقوق بجامعة موسكو قبل أن يتخرج منها[4]، وكان الانخراط الفعلي للنضال

---

[1] سفر الحوالي، الشيوعية بين السقوط وإعادة البناء، جريدة الصوتيات، المتاحة على الخط المباشر، oudio.islam web.net، تمت الزيارة يوم 2015/02/19، على الساعة10:21.

[2] ميخائيل غورباتشوف، المرجع السابق، ص320.

[3] مسعود خوند، المرجع السابق، ص81.

[4] عبد الوهاب الكيالي، ج4، المرجع السابق، ص372.

السياسي مع الانخراط بالحزب الشيوعي سنة 1953 م والذي تزامن مع وفاة "ستالين"[1]، وبعد تخرجه من كلية الحقوق عاد إلى مسقط رأسه ليباشر جميع المناصب القيادية هناك ، فقد كان السكرتير الأول للمدينة ، ثم للحزب في نفس المدينة، وأصبح بعدها نائبا عاما في نفس المدة الزمنية[2].

وكان أول نشاط يقوم به خارج الأراضي السوفييتية بألمانيا الشرقية بعد الحرب العالمية وفي الوقت ذاته قام "يوري أندروبوف" (youri Andropov)، و"جورجي جوكوف" بالهجوم على الثورة المجرية وقتل الآلاف من المجريين المناهضين للسوفييت، فقد عملوا على دعم التواجد السوفييتي هناك عسكريا وللأنظمة الموالية له ولتدعيم ما قاموا به أقام جدارا عازلا شطر برلين إلى قسمين، شرقي شيوعي، وغربي رأسمالي. ما أدى إلى نفور الأوروبيين من تلك السياسة.وشارك أيضا في المؤتمر 22 للحزب الشيوعي المنعقد سنة 1961م بموسكو، حيث ترأسه "نيكيتا خروشوف" وناقش فيه الخطة الطوباوية القاضية بتجاوز قوة الولايات المتحدة[3]. وكان لسنة 1971م دافعا لنيله العضوية الكاملة باللجنة المركزية، حيث استقر بمركزه ذلك لمدة ثمان (08) سنوات حتى استدعي إلى موسكو ليتولى إدارة الشؤون الزراعية في السكرتارية المركزية، بعد "لفيدور كولاكوف"[4].

وقد كان نشيطا في أداء مهامه حتى حظي بثقة القيادة في اللجنة المركزية البريجنيييفية بموسكو أما جهاز المخابرات فكان يقوده "يوري أندروبوف" الذي كان مطلعا على حقيقة الوضع السيئ في الاتحاد السوفييتي مقارنة بالتفوق الأمريكي خاصة في المجال الاقتصادي والتكنولوجي وحتى في مجال التسليح لهذا جمع حوله القيادات الشابة المحبة للوطن والتي لم يصبها التعفن كما يعبر هو " الإنقاذ ما يمكن انقاضه" و"غورباتشوف" كان من بين هؤلاء الشبان، ومنذ ذلك الوقت دخل "غورباتشوف" تحت رعاية رئيس المخابرات حتى أنه دفع به إلى مناصب قيادية فكان "أندروبوف" من أدخله اللجنة المركزية ثم المكتب السياسي وبذلك أصبح

---

[1] حلمي القمص يعقوب، المرجع السابق، ص191.

[2] عبد الوهاب الكيالي، ج4، المرجع السابق، ص372.

[3] Steve shelok honov,Mikhail Gorbatchev biographie ,Moscou ,6, Avalable at. web :www.imdb.com,visited Day :02/03/2015 ,h 10 :06.

[4] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج4، المرجع السابق، ص372.

"غورباتشوف" واحدا من اثنا عشر (12) رجلا الذين يسيطرون على مقاليد الحكم في الدولة[1].وتعود أواصر العلاقة بين" غورباتشوف" وأهم القادة السوفييت إلى اجتماعه بكل من "بسلوسلوق"، و"بريجنييف ليونيد" " أندروبوف أثناء الاستحمام بحمام المياه المعدنية في كيسلودسك الواقع[2] باستافربول، وهنا تظهر قدرة ميخائيل في إخفاء علاقته المتينة بهؤلاء ، فمثلا فقد كان يخفي علاقته بـ"بريجنييف" رغم أنه كان يبدو في نظر العديد من أعضاء الحزب كرجل "بريجنييف"، وبعد وفاة "كولاكوف" الذي هو الآخر ربطته علاقة مع غورباتشوف، فقد سانده في تولي منصب مسؤول الزراعة في اللجنة المركزية وحتى في 1971م سانده ليبلغ المكتب السياسي، وهو من اختاره قبل ذلك سنة 1966م ليكون السكرتير الأول للحزب، وعندما توفي "كولاكوف" خلفه "غورباتشوف" كمسؤول للزراعة باللجنة المركزية. وكان "غورباتشوف" دائما قريب من مسرح الأحداث خاصة أزمتي النظام الأولى على عهد "خروشوف" التي انتهت بانتهاج سياسة التعايش السلمي، فأدخل الرئيس تعديلات على المناصب والتماثيل من جهة، ومن جهة ثانية تأكيده للمعارضة التي نظمت بإستارافربول، ومن جهة ثالثة تدعيمه انقلاب بـ "سوسلوق" على "بريجنيف". كل تلك العوامل المتضافرة، وغيرها من المواقف ساعدته ليرتقي للجنة المركزية. أما الأزمة الثانية كانت عندما فشل إصلاح "ابياتوقو" في استخدام موسع للجرارات الزراعية، ورغم ماحققته من نجاحات أولية إلا أنه تخلى عنها في سنة 1987م، ورضخ للقرارات التسلطية للجنة المركزية ونقدها رغم حكمه النقدي على وجه الاحتمال وكان هذا التصرف كافيا ليرتقي به إلى الأعلى[3]. وفي 1980 نال العضوية الكاملة في المكتب السياسي، ثم عهد إليه اندربوف بسياسة البلاد الاقتصادية وبقى في منصبه حتى وفاة الرئيس قسطنطين تشيرنينكو[4].

وغير قادة الاتحاد السوفييتي الشيوعيين فقد كان لغورباتشوف علاقة مع شخصيات فاعلة في المجال الدولي فقد كان يحظى بإعجاب "مارغريت تاتشر"(Margaret Thatcher) رئيسة

---

[1]حلمي القمص يعقوب، المرجع السابق، ص ص192،191.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص105.

[3] أرنست ماندل، المرجع نفسه، ص ص107،106،105.

[4] عبد الفتاح أبو عيشة ، موسوعة القادة السياسيين العرب والأجانب، ط$_1$، دار أسامة، عمان، الأردن، 2002، ص20.

الوزراء البريطانية ويشهد لها التاريخ على الطريقة التي قدمت فيها غورباتشوف للعالم عندما زار لندن لأول مرة في ديسمبر 1984م فصرحت عن موقفها بقولها: "أخطأ الذين ظنوا في ما بعد أنني تخليت عن مساري الأصلي بالنسبة إلى الاتحاد السوفييتي لأنني معجبة جدا بـ"غورباتشوف" (ثبات المبدأ)، لقد التقطت عينان "غورباتشوف" (الفراسة) لأنني كنت أبحث عن شخص مثله وكنت واثقة من أن شخصا مثله يمكن أم يكون مجرد حتى ضمن الهيكل الشمولي، لأنني أؤمن بأن روحية الفرد لا يمكن أن تتسحق في الكرملين بمقدار ما لم تتسحق في الكولاك " فأثناء لقاءها معه قالت " وعندما نهض مودعا أملت في أنني كنت أحادث الزعيم السوفييتي المقبل، لأنني كما قلت للصحافة فيما بعد، اكتشفت رجلا يمكنني التعامل معه"[1].

وخلال عهد "تشيرنينكو" ظهر "غورباتشوف" في موقع الخليفة الأرجح حظا فتولى رئاسة لجنة الشؤون الخارجية وصار يدير عمليا اجتماعات المكتب السياسي أوالسكريتاريا في غياب الأمين العام كما تولى مسؤولية الشؤون الأيديولوجية[2].

ولقد كان دخول "غورباتشوف" لعالم الشغل بداية كفاح من أجل الحياة والعيش الكريم، فهو كان يساعد والده في قيادة حصاده ليتمكنا معا من تغطية نفقات عائلتهما فلا ليس من السهل على فتى في سنه وهو لا يتعدى 14 سنة قيادة اله بذلك الحجم .إلا أن التحاقه بالنضال السياسي فقد جاء متأخر يخالف سيرة الزعماء فما قام به من نشاط قبل وبعد التحاقه بالحزب الشيوعي كان عبارة عن مهام واجب تنفيذها أوكلت إليه، أما نضاله النابع من الإدارة الشخصية فكانت إرهاصاته مع دعوة "أندروبوف"، "وبريجنيف" الشباب للقيام بإصلاحات، فما عاشه "غورباتشوف" وعان منه في صغره كفاح كبير من أجل البقاء فنحن لا يشهد له مشاركة في ثورة أو انتفاضة أو تجنيد في صفوف القتال، أو قيامه بإصلاحات قبل وصوله للسلطة سنة 1985م. ما يجعل رصيد "غورباتشوف" النضالي ضعيف جدا لا يرقى به إلى تلك المناصب القيادية التي وصل إليها.

[1] تركي الحمد، ويبقى التاريخ مفتوحا أبرز عشرين شخصية سياسية في القرن العشرين، دار الساقي، بيروت ، لبنان ، ط1 2002، ص ص 103 ،104.

[2] عبد الوهاب الكيالي، ج 4، المرجع السابق، ص372.

خلاصة:

الاتحاد السوفييتي اعتمد على سياسة القوة في تطبيق القوانين التي وضعها مؤسسيه الأوائل (لينين وستالين)، التي أرغمت الشعب على الخضوع لأمور تناقض الفطرة الإنسانية، ما أدى إلى ظهور أزمة على الصعيد السياسي والاقتصادي وتنامي الوعي الوطني لدى القوميات.

وتميز شخصية "غورباتشوف" منذ ولادته ولغاية وصوله للسلطة بالهدوء والتصرف بذكاء وحكمة مع حرص شديد فلم تكن حوله أثارات خاصة بعد إقامته علاقات ودية مع العديد من القادة السوفييت خاصة المنفتحين منهم، وبهذه الطريقة نال رضا وإعجاب قادة الحزب والمخابرات فكانوا كلما ارتفعوا في المناصب رقي "غورباتشوف" معهم، أي أنه كان يرتقي في المناصب بارتقاء الكوادر في سلطة الدولة (بالاعتماد على السيرة الذاتية التي أعدتها مجلة التايم حول "غورباتشوف").

الفصل الثاني: الاتحاد السوفييتي في ظل حكم ميخائيل غورباتشوف.

المبحث الأول: وصول ميخائيل غورباتشوف لسدة الحكم

المطلب الأول : اختيار ميخائيل غورباتشوف رئيسا للاتحاد السوفييتي

المطلب الثاني: تصورات ميخائيل غورباتشوف لازمة الاتحاد السوفييتي

المطلب الثالث: مواجهة ميخائيل غورباتشوف لازمة الاتحاد السوفييتي

المبحث الثاني: السياسية الداخلية الإصلاحية

المطلب الأول :تعريف السياسة الداخلية الإصلاحية

المطلب الثاني: مستويات السياسة الداخلية الإصلاحية

المطلب الثالث: معوقات السياسية الداخلية الإصلاحية

المبحث الثالث:السياسة الخارجية الإصلاحية

المطلب الأول:تعريف السياسة الخارجية الإصلاحية

المطلب الثاني:مؤتمرات القمة السوفيتية الأمريكية

المطلب الثالث:السياسة الخارجية تجاه دول شرق أوروبا

المطلب الرابع: السياسة الخارجية تجاه دول العالم الثالث والصين

المبحث الأول: وصول ميخائيل غورباتشوف لسدة الحكم.

وصل "ميخائيل غورباتشوف" إلى السلطة في الوقت الذي كان فيه الإتحاد السوفيتي يعاني من اضطرابات داخلية وضغوطات خارجية، ما أدى بالرئيس الجديد للتفكير في إيجاد حل لتلك الأزمة بعد تحديد مسبباتها وذلك بإقرار سياسة إصلاحية يحاول من خلالها إصلاح الأوضاع العامة وإبراز المجتمع السوفييتي في أحسن صورة كما جاء في المبادئ المؤسسة للدولة الاتحادية.

المطلب الأول: اختيار ميخائيل غورباتشوف رئيسا للاتحاد السوفييتي

" تنطبق القاعدة العامة التي مفادها أن الفرد مهما كانت مزاياه لا يتألق ما لم تتح له ظروف خاصة، وأنه يحظى ذاته على نحو خاص من الظروف الاستثنائية، والتي يجد نفسه قد أقحم فيها فجأة... على "غورباتشوف" في وصوله للسلطة والذي نجد أن سيرته قد بدأت روتينية تتحول لتكتسي طابعا مشهديا"[1].

و تزامن اختيار "غورباتشوف"* أمينا عاما للحزب سنة 1985 م، مع تزايد المخاوف من استفحال أزمة النقص في الموارد الغذائية، والتي قد صرح عنها منذ بداية الثمانينات واستمرت رغم تطبيق المخطط التنموي الزراعي الجديد لسنة1982م[2]، بالإضافة إلى "أن التطورات التي حصلت على مستوى الحزب الشيوعي السوفييتي خلال هذه المدة دفعت إلى وصول الزعيم السوفييتي الجديد" ميخائيل غورباتشوف" إلى دفة السلطة"[3].

وجاء نتيجة تنحية واستبعاد كافة الأعضاء القدامى الذين شكلوا قوة حزبية وشعبية في الجمهوريات السوفييتية، كا" فلاديمير تشربيتسكي"(Vladimir Tcherbitsky)، وهو الأمين العام للحزب الشيوعي بأوكرانيا، و"رومانوف"السكرتير الأول للحزب الشيوعي بمدينة سنات بطرسبرغ–لينيغرد سابقا–، وحتى "حيدر عاليف" وهو السكرتير العام للحزب الشيوعي

[1] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص94.

* أنظر الملحق رقم 07،ص144.

[2] عبد الفتاح أبو عيشة، المرجع السابق، ص91.

[3] علي عودة العقابي،العلاقات الدولية دراسة تحليلية في الأصول والنشأة،(د ن): بغداد، 2010، ص92.

الأذربيجاني[1]، و"فيتالي فوروتنيكوف"(Vitaly Forutinkov) وهو إداري حيادي في الحكومة اليوغسلافية، وكذلك استبعد "دينمو كخمدكوينيف"(Dinamo éteint Koniev) رئيس الحزب الكازاخستاني؛ حيث طرد وأدين بالحكم الفاسد، فيما انتقد " تشربيتسكي" لعدة مرات[2]، أما "رومانوف" وهو الموقع الذي يمثل –بشكل غير صريح إلى حد بعيد– المؤسسة الصناعية العسكرية في الاتحاد السوفييتي فجاءت تنحيته من مهده بعد الإشاعات التي انتشرت من حوله، والمتمثلة في إدمانه على مادة الكحول، وكذا تورطه بأعمال الفساد فيما جاءت أيضا تنحية "فيكتور غوليتش"؛ والذي يمتلك مركز التأثير لكونه بالعاصمة، وقد بدأ لفترة من الزمن أكثر جدية، لكن عشية الاجتماع الحاسم للمكتب السياسي الذي كان سيقرر انتخاب الأمين العام تم توزيع ملفا يتضمن معلومات متماسكة، ومقنعة حول أعضاء المكتب السياسي، فتحدث عن الفساد الواسع في قمة جهاز الحزب، والبلدية بموسكو، وهو ملف مصدرهKGB". لقد أدان الملف التسامح من أكبر الرجال "البريجنفيين"، فهو لا يتهم "غوريشن" شخصيا رغم أنه تم إثبات إدمان ابنه على الكحول، وضمن هذه الشروط أصبح انتصار غورباتشوف مؤكدا قبل إجراء الاقتراع[3]، وبالإضافة لغياب العناصر المنافسة، فإن تشييع جثمان "قسطنطين تشيرنينكو" كان مليئا بالمناورات السياسية، حيث عمل "غورباشوف" بشكل فعال كسكرتير ثان خلال معظم فترة مرض "تشيرنينكو" وكان العنصر الكفء بشكل ملحوظ في المكتب السياسي خلال المناقشات العلنية التي سبقت انتخابات مجلس السوفييت الأعلى في 23 فيفري 1985م، لكن ذلك لم يكن كافيا لتسلمه السلطة[4].

ويكشف "أوليغ غوردييفسكي"* في كتاب له صدر عام 1990م، بالاستناد إلى مجموعة من الوثائق الرسمية على أن جهاز المخابرات السوفييتية من أوصل "غورباتشوف" إلى السلطة ومازال يدعمه رغم معارضته للإيديولوجية الديمقراطية التي جاء بها "غورباتشوف" إلا أنها

---

[1] خالد ممدوح العزي، غورباتشوف : عشرين عاما على انهيار الإمبراطورية السوفيتية أوت 1991، جريدة رمان الوصل الإلكترونية، 1011/08/26، على الساعة 00:00.

[2] محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص201.

[3] أرنست ماندل، المرجع نفسه، ص ص114،115.

[4] محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص ص200،201.

*عضو بالمخابرات السوفيتية برتبة كولونيل انتقل إلى الغرب سنة 1985م وهو صاحب كتاب تاريخ المخابرات السوفيتية من الداخل(فتحي يكن ، منى حداد، البيروسترويكا من منظور إسلامي، ط1، دار الهدى، الجزائر، 1991، ص18.)

عملت من أجل وصوله لسدة الحكم[1]، ورغم وجود منافسين له بالمكتب السياسي والأمانة العامة، فقد تحالفت المخابرات مع الرجال التكنوقراطيين الذين يغلب في صفوفهم الليبراليين، وكذلك مجموعة من الحلفاء الظرفيين مثل "ليغاتشيف"، و"ريجكوف" فقد كان دعمهم له مشروطا[2]، كما أن رئيس المخابرات "فيكتور"شبريكلوف" والذي يعد مرشحا قويا ذلك لعلاقته المتينة بـ"أندروبوف"، ما يوضح الصفقة بينه وبين "غورباتشوف" الذي احتفظ بتأييد رئيس المخابرات، فيما أنه كان يحتمل "كريغوري رومانوف" الذي رشح "غوريشن" خلال الإجتماع الليلي كان سيصوت لأي شخص غير منافسه الرئيسي على السلطة خلال الأشهر الأخيرة من حياة "تشيرنينكو"، فمن الصعب أن نجد من يصوت لصالح "رومانوف"والمعروف بقسوته كونه زعيما للحزب في لينينغراد[3].

وفي اليوم الموالي لتشييع جثمان جنازة الرئيس الراحل "قسطنطين تشيرنينكو"، عقد المكتب السياسي اجتماعا مستعجلا تمت فعالياته لمدة يومين من عقده، وكان ذلك الاجتماع أحد العناصر الفاعلة في تنصيب "غورباتشوف"، فقد أكد ثلث أعضاء اللجنة المركزية للحزب البالغ عددهم ثلاث مائة (300) عضوا لترشيح "غورباتشوف" في اجتماعهم، فكان لهذه النتيجة تأثيرها فيما بعد، رغم أن[4] أعضاء اللجنة المركزية قد نشأوا على تقاليد "بريجنيف" ودعمهم لمرشح "KGB" لم يكن مؤكد، وقد كان ذلك واضحا من خلال الإعلان الرسمي الذي تضمن أن الاختيار جرى بروح واحدة بدل الإجماع أو التصويت الفردي، ورغم أن الشيوعية ترفض الإجراءات التنافسية، حيث يكون التصويت لأعضاء معينين وعادة ما يكون بالإجماع فإذا "كان هناك تصويت فمن المؤكد أن هناك الكثير من الأصوات امتنعت أو حتى صوتت ضد "غورباتشوف"[5]. فمن الواضح أن الاجتماع الروحي لم يتوصل إليه بسهولة، والذي يبدو أن ذلك ما أمال الكفة لمصلحة "غورباتشوف"[6].

[1] فتحي يكن ، منى حداد، المرجع نفسه، ص18.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص114.

[3] محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص ص202،203.

[4]أرنست ماندل، المرجع السابق، ص ص114،115.

[5] محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص ص201،203.

[6]محررو مجلة التايم، المرجع نفسه، ص ص203،204.

إن الخطاب البارز الذي ألقاه وزير الخارجية بأعصاب باردة"غروميكو"[1]؛ والذي يعتبر من أعضاء المكتب السياسي، ومن أعرق الشخصيات التي حافظت على استمرارية السلطة، عبر في خطابه عن الميزات الشخصية والقيادية لـ "غورباتشوف"[2]، ممتدحا بذلك مساره النضالي داخل الحزب، وحتى سماته الشخصية من ذكاء و ثقافة واسعة[3]،دون تلميح لآرائه السياسية فقال فيه " إن هذا الرجل يخفي وراء ابتسامته الجذابة أسنانا فولاذية " فكانت تحدو بمثابة ضمان للأعضاء المحافظين بأن الأحوال تسير قدما اتجاه التغيرات التدريجية ، وليس باتجاه التغيير الجذري أما "غورباتشوف"، الذي وجه عبارات الاحترام لجهاز المخابرات وأشار عن الدور القيادي للحزب، وأن له بعدا إضافيا مستقبلا بفعل التغييرات التي أصبح من اللازم إدخالها، وفي إطار محاربة الفساد والتبذير الذي ارتكبه أصحاب المراتب العليا في الحزب والدولة. فقد جرت في 16 ديسمبر من نفس السنة، إقالة أحد المقربين من"بريجنيف" وهو أحد أصحاب المواقع الكبرى في سلطة "دينمو خامدكونابيف" فقد تم استبداله بشخصية روسية قيادية وهو"غينادي كوليين"[4].

ولعدة اعتبارات اتفق أعضاء المكتب السياسي على مجموعة من الشروط الواجب توفرها لشخص المنصب أهمها ضرورة تفادي اختيار واحد من صنف الكهول، وقد كان "غروميكو" الذي أتى بالفكرة، يعتبر نفسه واحدا منهم؛ حيث أنه وضح متطلبات منصب الأمين العام ليدفع بالاتحاد السوفييتي لاجتياز عقبة القرن 21 م[5].

ورغم الشروط التي اجتمعت في شخص "غورباتشوف" ليفوز بكرسي الرئاسة " لم يحصل في مؤتمر النواب على ملايين الأصوات قط وظل في طور المشاريع، لإنشاء حزبه الاشتراكي الديمقراطي، ومحاولته أن يصبح رئيسا للدولة. فما عدا أنصار"غورباتشوف" تجمع موسكو على أنه لم يكن زعيما مؤهلا بالدرجة الكافية للرد اللائق على التحديات التي واجهها الاتحاد السوفييتي حينذاك سواء في الاقتصاد أو الثقافة أو العقيدة أو الشؤون الدولية، وحتى مجرد

---

[1] محررو مجلة التايم، المرجع نفسه، ص204.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص115.

[3] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص94.

[4] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص ص116،115.

[5] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص94.

العلاقات بين الناس"[1]. وفي1987م نشرت المجلة الأسبوعية بعض الأفكار والملاحظات للمؤرخ المسرحي "ميخائيل شاتروف"(M.charouv) عن عملية التغيير السياسي في الاتحاد السوفييتي، حيث أعطى وصفا للجو الذي أحيكت فيه الانتخابات بقوله: "آذار عام 1985 لم يكن هذا صراعا للسلطة وإنما صراع من أجل فكرة، من أجل ضرورة وإمكانية استئناف أو تجديد الديمقراطية للبلد، صراع من أجل العودة إلى أفكار أكتوبر أي الثورة البلشفية " وحتى أن توجيه النظر صوب الفساد بالعاصمة موسكو جعل من منافسي "غورباتشوف" يجادلون لمصلحة "غورتشن"، ولم تكن جثة الرئيس الراحل قد بردت [2]، بعدما" بدأ "غورباتشوف" مهرجانه المدهش على صعيد السياسة الخارجية: سلسلة من اللقاءات المتواصلة مع أصحاب المناصب الرفيعة الذين أتوا ليقدموا تعازيهم وغادروا متأثرين "[3]، وبيد أن"غورباتشوف" استحق الود الشخصي والتعاطف من جانب السياسيين الغربيين والمفكرين، وأصبح الأمين العام السوفييتي الذي يسمى في الغرب "بحنان غوربي" رمزا معروفا لدى السوفييت، مثل القمر الصناعي، والبالية، والتزحلق الإيقاعي على الجليد"[4]، وكشفت وثائق سرية أصدرتها دائرة المحفوظات الوطنية في لندن أن رئيسة الوزراء البريطانية "مارغريت تاتشر"، نجحت في إقناع واشنطن بضرورة وصول "ميخائيل غورباتشوف" إلى "كريملين"، حيث أنه كان المرشح الأقوى للفوز برئاسة "الكريملين" منذ 1984م[5]، وكان لها دور أيضا في ربط أواصر العلاقة ما بين "غورباتشوف" والرئيس الأمريكي "رونالد ريغان"، فقد أقنعت الرئيس الأمريكي بضرورة التقرب من "غورباتشوف" لأنه الشخص الأكثر حظا للفوز بزعامة "الكريملين"، وكانت رئيسة الوزراء دائما الراعي الرسمي للعلاقة ما بين السوفييت والأمريكان عن طريق هذين الشخصيتين، حتى أنها أطلقت على نفسها تعبير فحواه: "أنها جعلت من نفسها ممرضة لأولها ومربية للثاني " أي أنها ممرضة للرئيس الأمريكي الذي هرم وأصابته الشيخوخة، ومربية لـ"غورباتشوف" كونه شاب[6]. وجاءت زيارتها لموسكو أثناء تشييع جثمان الرئيس "تشيرنينكو"، وكان لهذه الزيارة بعدا سياسيا تمثل في معرفة

---

[1] نوفوستي ستيبان أورلوف، تراث الزعيم الأخير، ع2006.(بتصرف).

[2]محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص ص206،205،204.

[3] محررو مجلة التايم، المرجع نفسه، ص106.

[4] نوفوستي ستيبان أورلوف، المرجع السابق،

[5] كريستيان موري،غورباتشوف في مواجهة تاتشر... الاتحاد السوفيتي فتن المرأة الحديدية، مجلة العرب، ع9428، س36، 04/01/2014.

[6] محمد حسين هيكل، الزلزال السوفيتي، ط2، دار الشروق، بيروت، 1990، ص28.

المستجدات في موسكو ودراسة الوضع حول إمكانية وصول "ميخائيل غورباتشوف" للسلطة[1]، وفي تلك الأثناء كان "جورج بوش" ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في موكب التشييع غادر بعد لقائه مع الزعيم السوفييتي الذي استمر لمدة خمسة وثمانين(85) دقيقة يحمل الآمال الكبيرة قائلا " بأننا نستطيع أن نحرز تقدما في جنيف، وإننا نستطيع أن نصل إلى تخفيض كلي للتوترات"، وحتى أن الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران"(F.mittrannd) وجد الهدوء في شخصيته،أما الرئيس الكندي"بريان مولوني" قال:"أن غورباتشوف يتمتع بالقوة"[2]، و"اختار الحزب... غورباتشوف الشاب... الذي يوحي بالثقة للخارج ويستطيع بالتأكيد معالجة مشكلة الاتحاد الأولى؛ وهي مشكلة الإنتاج الزراعي... وينبغي الوثوق بهذا الشاب الذي كان يتحدث دوما عن وجوب اتخاذ خطوات تثبيته، وعن المنعطف الذي سيؤدي إلى دخول الجيل الجديد أبواب الكريملين"، وبعد ذلك أوكل الشؤون الخارجية "لشيفارنادزه" الجورجي، و"غراموف"، و"موراكوفسكي"، و"تيخونوف" وثلاثتهم من معاوني "غورباتشوف" في استافربول وقد كلفهم بمناصب قيادية، فضلا عن "فرولوف" من براغ الذي حل في الأمانة العامة للحزب، مما ينبئ عن تغيير في العمق، ولأجل إعادة أعضاء حكومته اتخذ "غورباتشوف" الأسلوب الأمريكي في الإعلان عنهم على شاشة التليفزيون[3].

المطلب الثاني:تصورات ميخائيل غورباتشوف لأزمة الاتحاد السوفييتي:

1/أوضاع الإتحاد السوفييتي قبيل وصول ميخائيل غورباتشوف:

أ/ الأوضاع الداخلية:

– **الأوضاع الاقتصادية:** يعد الاتحاد السوفييتي في مقدمة البلدان التي تزخر بالثروات

الطبيعية كالنفط والغاز والذهب والفحم والحديد... وغيرهم من الثروات والموارد[4]، إلا أنه في أواخر سنوات السبعينيات وبداية الثمانينات عرف اقتصادا متردیا وزراعة مدمرة فإنتاج الحبوب

---

[1] عبد اللطيف جابر، الغرب متفاؤول من قدوم غورباتشوف، الشرق الأوسط، لندن، 2015.

[2] محررو مجلة التايم، المرجع السابق، ص106.

[3]بيار ميكال، المرجع السابق، ص ص566،565.

[4] محمود عبد الرحمن، تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2010، ص101.

هبط إلى مائتان وأربعون(240) طن سنة 1978م[1]، مما اضطر الاتحاد السوفييتي إلى استيراد كميات كبيرة من الحبوب من الولايات المتحدة، وكندا، واستراليا، وبالتالي تضرر الميزان التجاري. وذلك ما أكدته مجموعة من الدراسات حول الوضع الاقتصادي للاتحاد السوفييتي والتي لمست الجوانب الآتية:

- الدخل الفردي: الذي انخفض من 3.4% خلال المخطط الخماسي (1976 –1980) إلى 2.2%خلال المخطط الخماسي التالي (1981–1985)م

- الميزان التجاري: انخفاض نسبة الصادرات وزيادة الديون الخارجية حيث بلغ عدد الديون سنة 1984 م أكثر من 11 مليار، ليرتفع إلى 5،15 مليار دولار عام 1985 م.

- النمو الاقتصادي: بلغ معدل النمو ما بين 1981– 1985 م صفر(0) وتدهورت الزراعة، أما النمو الصناعي: فانخفض مع 1985 م إلى 3% مقارنة بـ 1984 م، حيث كان (5،4%)[2].

"ولقد بدأت أسباب هذه الأزمة الاقتصادية السوفييتية منذ عقدين تقريبا، ولكن حدتها تفاقمت في الآونة الحاضرة في ظل معوقات الجهاز التخطيطي والإداري المركزي الجامد في البلاد خاصة مع النقص السريع في إنتاج مواد الطاقة وذلك مثل الفحم والبترول؛ الذي تدهور إنتاجه في مناطق باكووباطوم منذ أوائل الثمانينات"[3].

- **الأوضاع السياسية:**

أ - عهد "بريجنيف ليونيد إبليش": بعدما تم عزل "خوتشوف" ومجموعته قام "بريجنيف" بإصلاح كل الأخطاء السابقة في السياسة الخارجية، والاقتصادية خاصة الزراعة فقد طور سياسية الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي 1977 م ساهم في توطيد معالم دستور جديد الذي عرف باسمه[4]، واتسمت الأوضاع أواخر فترة حكمه بقلق جماهيري واسع من الوضع السيئ، وما كان من "بريجنيف" إلا أن قام بدعاية وترويج التفوق السوفييتي على الغرب في

[1] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، م1، المرجع السابق، ص43.

[2] عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص347

[3] أحمد نازلي معوض، إصلاحات غورباتشوف الداخلية والتغير في السياسة الخارجية، مجلة السياسة الدولية، ع89، مركز الأهرام ، القاهرة، مصر، 1987، ص ص72،71.

[4] عبد الوهاب الكيالي، ج1، المرجع السابق، ص538.

المجال العسكري والإيديولوجي مقابل ضعف القدرات الاقتصادية وضعف القيادة السياسية والحزبية بعد موته[1]. ومن جملة ما قام بتغييره أنه قام بالفصل بين وظائف رئيس الحكومة ومركز الأمين العام؛ ذلك ما يعني أنه ألغى انفراد القيادة في شخص واحد فقد كرس القيادة الجماعية، إلا أنه ما لبثت القيادة حتى بدأت تتصدع تدريجيا فقد عمد الأمين العام إلى إقصاء معاونيه واحدا بعد الآخر لتحقيق سيطرته على مؤسسات الدولة والحزب إلى غاية وفاته في 1982م، وكان نتيجة تصلبه ظهور الحركات الانفصالية التي اجتاحت دول شرق أوروبا في براغ منذ 1968م،[2] ورغم ذلك فقد كان صاحب الفرصة الأخيرة لإنقاض الاتحاد السوفييتي، من خلال محاولته إجراء إصلاحات، إلا أنه فشل دوليا في إيجاد مخرج لمشكل نزع السلاح، والانسحاب من أفغانستان، والتي تزامنت مع إصابته بالمرض الذي أدى إلى وفاته في فيفري 1984م.[3].

ب-عهد يوري أندروبوف: "Yuri V. Andropov" تولى "أندروبوف" منصب الأمين العام للحزب الشيوعي بعدما توفي "ليونيد بريجنيف"، ووجوده في هذا المنصب يعتبر انتصارا كبيرا للسوفييت لأنه ملأ فراغا كان يشغله الرئيس السابق، وقد اتبع الرئيس الجديد الأسلوب المجرى لتحقيق الاشتراكية لامتلاكه خبرة طويلة في المجال السياسي، فقد كان لمدة خمسة عشر(15) سنة على رأس جهاز المخابرات، "إلا أن اللينينية شوهت الأطراف في السلطة...والسياسة من خلال...الذرائع الإيديولوجية...حيث منع كل الآخرين أن يكون لهم رأي الفصل...التعصب وسوء إدارتها (الحزب)"[4]. وركز "ليونيد" على انخفاض معدلات

النمو كسبب للأزمة الاقتصادية والاجتماعية، وتراجعت إنتاجية العمل،وقلة التحديث التكنولوجي وقصور البحث العلمي وغيرهم من العوامل[5]، ورغم أنه كان منتبها على مايحدث من اضطرابات في الإتحاد السوفييتي غير أن المرض حال دون أخذ التدابير اللازمة.

---

[1] عبد التواب أحمد سعيد، تاريخ أوروبا المعاصر، ط1 دار الفكر، الأردن 2010، ص173.

[2] بلخيرة محمد،المرجع السابق، ص71.

[3] طارق الشيخ، حكام من عالم الغموض، الأهرام اليومي،ع2012،ص1 المتاحة على الرابط المباشر : http://digital.ahram.org

[4] Les ordinateurs de Youri andropov,Moscou,N :20/11/1982,44

[5] Coumba Moussavou ,L’effondrement de L’U R S S,2010 ,p02,ppt://hist-Geo .

ج-عهد قسطنطين تشيرنينكو: كانت فترة حكمه قصيرة دامت حوالي ثلاثة عشر(13) شهرا، إلا أن سياسته لم تتضح؛ لأن المدة التي قضاها في حكمه اتسمت بالمرض، إلا أنه عاد بالاتحاد السوفييتي لفترة ماقبل "أندروبوف" فقد انتهج "الدوغمائية" إلى مسرح الواقع السياسي من جديدن ويدل هذا التراجع على استمرارية تسلط النهج التقليدي داخل المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي[1].

ب/الأوضاع الخارجية:

شهدت السنوات الأخيرة للسبعينيات تصعيدا في السياسة الخارجية السوفيتية الأمريكية نتيجة مجموعة من الأحداث. فقد حلت سنة 1977م ،والأمريكيون يتنبؤون بضربة جيوسياسية ضد الغرب خاصة عندما أشار مكتب الأمين العام السياسي عن نشر صواريخ نووية جديدة متوسطة المدى من نوع أس–أس20، ما أقلق المراقبون الأمريكيون بالإضافة إلى مواطني أوروبا الغربية الذين كانت هذه الرؤوس النووية موجهة صوبهم، وكإجراء وقائي قامت واشنطن وحلفائها بالناتو التفكير في نشر صواريخ مضادة مماثلة للصواريخ السوفييتية بأوروبا[2]، وقد كان ذلك التدبير نتيجة الإحساس بالتهديد الذي ضرب ميزان القوة في أوروبا وانعكس على حساب الغرب منذ 12 ديسمبر 1989م[3]، وبموجب معاهدة "سالت (1)" الموقعة في 1979م للحد من إنتاج الأسلحة النووية والإستراتيجية، فقد تم وضع قيود كمية على إنتاج الصواريخ العابرة للقارات.[4].

-**التدخل بأفغانستان:** هيأ انقلاب 1978م الأرضية لاحتواء الروس أفغانستان والتدخل فيها، أما الأمريكيون فعملوا على دعم المقاومة ضد التدخل السوفييتي، وقد أحدث ذلك القطيعة بين القوتين[5]، وبعد استنجاد الانقلابيون الأفغان بالروس أصدرت موسكو بيانا جاء فيه: " إن الحكومة الأفغانية اعتبارا منها لاستمرار تحديات الأعداء الخارجين للحكومة الترابية الأفغانية ولاستقلال أفغانستان واعتمادا على اتفاقية الصداقة السوفييتية الأفغانية المبرمة يوم 5 ديسمبر 1978م طلبت من الإتحاد السوفييتي مساعدة فورية معنوية وعسكرية، واستجاب الاتحاد

[1] فتحي يكن،منى حداد، المرجع السابق، ص ص ،26،27.

[2] روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص،134.

[3] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص317.

[4] عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص73.

[5] عبد التواب أحمد سعيد، المرجع السابق، ص ص،165،166.

السوفييتي لهذه الرغبة [1] لهذا كان التدخل عسكريا بالسيطرة على الشؤون الداخلية ويعتبر ذلك التدخل الأول من نوعه في تاريخ العالم الثالث وخارجه عن طريق الحماية بحلف وارسو لمدة عشرون (20) عاما منذ 1955[2]م، فأرسل الإتحاد السوفييتي فوج من المشاة جوا إلى مطار كاريل قبل إعلان الغزو الفعلي ثم تبعته ثلاثة أفواج أخرى، وفي1980م تغلبت المقاومة على القوات الحكومية والسوفييتية وأكدتها خسائر جسيمة كل ذلك جعل القيادة السوفييتية تعيد النظر، فقد زار كل من رئيس المخابرات KGB"أندربوف"، وزير الدفاع[3]"استينوف" العاصمة الأفغانية كاربل لدراسة الوضع عن قرب، وجاء أثر ذلك تصريح "أندوربوف" على أن القوات السوفيتية أن لا تفكر بالعودة إلى قواعدها في الإتحاد السوفييتي قبل مضي عام أو عام و نصف"[4].أما الأمين العام التزم بإرسال المزيد من القوات إذا لزم الأمر، وساء الوضع بحدوث مظاهرات عنيفة بكاربل وغيرها من المدن، فما كان من السلطات السوفيتية هناك إلا إن تعلن حالة الطوارئ بحضر التجول، إلا أن المواطنين الأفغان لم يرضخوا للأمر الواقع فصعدوا فوق جدران المنازل يكبرون اسم الله " الله أكبر" وحدثت بعد ذلك اشتباكات ما بين عناصر المقاومة ووحدات الجيش السوفييتي والتي أسفرت عن مقتل أكثر من ثلاث مائة(300)شخص، واعتقال تسع مائة (900) أفغاني، وفي السنوات الثلاث الأخيرة زاد السوفييت من استخدامهم للمقاتلات والقاصفات والمميتات في ظروف وأحوال متباينة، وفي المقابل كانت المقاومة بانتظار المدد لغاية سنة 1985م.

– **الضغط الأمريكي:** ويشهد التاريخ على خطاب "مارغريت تاتشر" في الولايات المتحدة في 1981م، حيث قالت: "إننا مدعوون إلى إيجاد العزيمة الكافية لتجنب المخاطر التي تواجهنا من جراء طموحات السوفييت وتعاظم قدراتهم العسكرية، إن الحزم هو ما يتطلب منا اليوم"[5]. ولهذا أمر الأمريكان وعن حقد منهم على ابتكار برامج تسليحية مكلفة للغاية في إطار محاولتها التفوق على الإتحاد السوفييتي وجره للعبة السباق نحو التسلح على حساب الوضع الاقتصادي المتردي، مما أوصل البلاد إلى حالة إفلاس من جراء الهرولة لمواكبة برامج الولايات المتحدة التسليحية. وجاء ذلك المخطط بعد صدور مبدأ كارتر سنة 1980م الداعي لزيادة الإنفاق

---

[1] محمد بوذنية، المرجع السابق419.

[2]Gérard Bergeron,La guerre froide recommencé,Boréol Express ,p03

[3] إبراهيم عبد الطالب، الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الأخيرة، ط1، دار غيداء،عمان، 2009، ص ص111،110.

[4]إبراهيم عبد الطالب، المرجع نفسه، ص111.

[5] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص129.

العسكري الأمريكي الأمر الذي دعا السوفييت إلى الانجرار وراء هذا السباق خاصة عسكرة الفضاء وهكذا تستفيد الولايات المتحدة من هذا الموضوع بدعوى أن إنتاج الأسلحة ينشط الاقتصاد الأمريكي الذي يقوم على مبدأ الاقتصاد الحر إذ أنه يمتص البطالة ويزيد من تحريك عجلة الاقتصاد الأمريكي، فإنه في ذات الوقت يؤدي إلى زيادة في الأزمة الاقتصادية ذات التخطيط والإنفاق المركزي والذي يؤثر سلبا على ميزانية الدولة، كما أنها عملت على تعميق الأزمة السوفييتية من خلال تعميق تورطها في النزاعات الإقليمية فدعمت المقاومة الأفغانية ضد التواجد السوفييتي، كما دعمت حركات التمرد في إثيوبيا، وموزنبيق، وكمبوديا وغيرها من دول العالم الأمر الذي ساعد في استنزاف أكثر للقدرات العسكرية السوفييتية وبالتالي تعميق الأزمة الاقتصادية[1].

ونتج أيضا عن التدخل السوفييتي بأفغانستان توقيف الصادرات الأمريكية من المنتجات الزراعية خاصة الحبوب باتجاه الاتحاد السوفييتي، حيث توقف تصدير 13 مليون طن من الذرى الصفراء و4 ملايين طن من القمح و1.3 طن من الصويا وغيرهم من المنتجات الزراعية، ووضعت الولايات المتحدة مبادرة تضم مجموعة من الدول المسيطرة على تصدير الحبوب كاستراليا، وكندا، والأرجنتين، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية لمقاطعة تصدير الحبوب نحو الإتحاد السوفييتي، غير أنه في الأرجنتين كان للتجار الأحرار موقف مغاير عن الاتفاقية فقد تم تصدير 5 مليون طن من الحبوب سنة 1980 م وضعفه السنة الماضية نحو الإتحاد السوفييتي[2].

"وفي أواخر عام 1982م أعلن الأمريكيون صراحة أن هدفهم تدمير الاقتصاد السوفييتي وإجراء تغييرات أساسية في النظام السوفييتي بجهود علنية وسرية وإثارة العالم ضد النظام، ومن ذلك ما أثير حول المنشقين من معارضي النظام ... واستغلت الصحافة الغربية ... النزاعات الحرة شحن الجماهير بنشاط لأجل أكثر إنسانية ... تحرير الاقتصاد والمجتمع من المركزية في إدارات الدولة ... حملات الانفصال الجمهوريات عن موسكو"[3].

---

[1] موسى محمد آل طويرش، المرجع السابق، ص ص249،248.

[2] عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص348.

[3] عبد التواب أحمد سعيد، المرجع السابق، ص172.

– **الانتفاضة العمالية في بولندا:** شهدت بداية الثمانينات انتفاضة عمالية في بولندا، حيث طالب العمال بتطبيق الديمقراطية ما هدد النظام الشيوعي القائم فيها، فقام السوفييت بقمع المظاهرات و أثار ذلك استياء الولايات المتحدة خاصة بوصول "ريغان" للرئاسة والذي اتهم الرئيس الأسبق"جيمي كارتر" بالضعف في مواجهة السوفييت الذي لا يفهم إلا بالقوة على حد تعبيره إذ عزم على إتباع سياسة متشددة ضدهم[1] .

تعتبر الأزمة البولندية من أخطر الأزمات التي تهز أمن واستقرار شرق أوروبا نظرا للموقع الجغرافي الذي تحظى به بولندا لقربها من دول البلطيق وخاصة تضامنها التاريخي مع ليتوانيا وبذلك فان أي تغير أو حدث يحدث بها يؤثر بشكل مباشر في سكان الذين التحقوا مؤخر بالانضمام للاتحاد السوفييتي ولديهم قابلية لتلقي أفكار خارج الإتحاد لأنهم لم يقتنعوا بعد بالفكر الشيوعي الجديد كما أنه لم يسيطر على عقولهم لهذا كانت أذهانهم مهيأة لاستقبال أفكار جديدة فكان لتلك الأزمة أثرا على القرار السياسي بإنشاء نقابة مستقلة بعدما أدركت السلطة أنها أمام تمرد شعبي ،والتي أدت إلى تكوين حركة عمالية[2].

– **الدعاية ضد السوفييت:** قامت الدعاية الغربية على تشويه صورة السوفييت فقد وصف الرئيس الأمريكي "ريغان"الاتحاد السوفييتي" بإمبراطورية الشر" وتوالت الإعلانات التلفزيونية التي أذاعها "ريغان" خلال 1984 م جاء فيها " هذا دب في الغابة، يسهل على بعض الناس رؤيته، ولا يراه آخرون على الإطلاق، بعض الناس يقولون أنه أليف، ويقول آخرون أنه شرير وخطير، بما أنه ماض سبيل لمعرفة من المحق، أليس من الذكاء أن تكون قويا كالدب، تحسبا لوجود الدب بالفعل " وعرف هذا الإعلان بإحذروا الدب"[3].

2/تصورات ميخائيل غورباتشوف للأزمة:

منذ أن وصل ميخائيل غورباتشوف للسلطة لم يكتفي بما اكتفى به القادة السوفييت من قبله من إشارات مبدئية للأزمة الشيوعية، إنما عمد إلى تشخيصها تشخيصا دقيقا، كما أنه وضع

---

[1] ممدوح نصار ،أحمد وهبان، المرجع السابق، ص ص322،321.

[2] هيلين كارتر، الإتحاد السوفيتي والأزمة البولندية حدود المقبول، مجلة السياسة الدولية،ع63، مركز الأهرام،القاهرة، نصر، 1981، ص ص2278،226.

[3] روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص152.

إصبعه على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية المتوغلة في البلاد [1]. وقدم تقريرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي حدد فيه أبعاد أزمة الإتحاد السوفييتي الممثلة في:

أ- الأزمة الاقتصادية: ويلخص "ميخائيل غورباتشوف" الوضع فيقول:" في مرحلة معينة، وهو ما أصبح واضحا على وجه الخصوص في النصف الأخير من السبعينات، حدث شيء ما لا تفسير له لأول وهلة. لقد بدأت البلاد تفقد قوة اندفاعها، وتكرر الإخفاق الاقتصادي بدرجة أكبر، وبدأت الصعوبات تتراكم وتتدهور، والمشاكل التي لا تجد حلا تتضاعف... عند تحليل الوضع ...تدهورت معدلات نمو الدخل...و بداية الثمانينات انخفضت إلى مستوى قريب من الركود... بدأت تتسع... الفجوة في كفاءة الإنتاج... والتطور العلمي والتكنولوجي..."[2] وعبر عن ذلك "أن مشكلة الاتحاد السوفييتي الأساسية هي مشكلة اقتصادية بالدرجة الأولى[3]". ويضيف بتحديد العلاقة بين التنمية الاقتصادية والاستمرار في السباق نحو التسلح النووي والتقليدي، فيعكس ذلك التطور الكبير في مجال التسليح وبين التخلف الذي يعاني منه المجتمع في مختلف المجالات[4].

ب- الأزمة السياسية: اتسمت السياسة السوفييتية خلال السبعينات من القرن العشرين بالتدخل العسكري المباشر وغير المباشر في شؤون الدول، ما اتعب الميزانية، فقد تدخل في كل من دول الشرق وإفريقيا ، وأسيا ، وأمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى دعمها لدول شرق أوروبا وعدد من دول العالم الثالث، ونفقات نشر القوات السوفييتية في العديد من المناطق في العالم لتحقيق الرغبة في التفوق الإستراتيجي، فكانت نتائج الغزو لأفغانستان جد مك لفة[5].وفي حوار له مع مجلة بريسا النمساوية يقول "غورباتشوف":" قام النظام على الأساس الإداري القمعي، ولا يخلوا من التسلط، وسيطرة واحتكار الحزب، فعلى سبيل المثال: كان يتعين من أجل بناء دورة مياه عامة في ستافربول، في مركز المدينة، التوجه إلى طلب موافقة موسكو،ولذا النظام بالذات أفلس، ولكن ليس الإتحاد السوفيتي في ذاته."[6]

[1] فتحي يكن، منى حداد، المرجع السابق، ص 31.

[2] تركي الحمد ، المرجع السابق، ص 107.

[3] موسى محمد أل طويرش، المرجع السابق، ص 249.

[4] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص348.

[5] موسى محمد أل طويرش، المرجع السابق، ص 249.

[6] مؤلف مجهول،هل خان غورباتشوف لينين، مجلة الحياة، موسكو، ع11 مارس04:17،2014.

ويقول "غورباتشوف" في تقييمه للوضع بشكل عام: الأمر أن الفجوة قد اتسعت بين القول والفعل، وغابت مصارحة الشعب بحقائق، وانتهكت قوانين الاشتراكية التي تحمي مصالح المجتمع وحقوق المواطنين، وتفاقمت مظاهر البيروقراطية المركزية التي قمعت مبادرة الجماهير، وانتشرت السلبية واللامبالاة، واتسمت الانتخابات السياسية والنقابية بطابع شكلي واتسمت هيئات الحزب والدولة بالجمود البيروقراطي والفكري إزاء متطلبات التطور..."[1]. وتزايد التعسف البيروقراطي من خلال امتلاك البيروقراطيون تسهيلات باذخة للحصول على السلع الاستهلاكية الأجنبية وامتلاكها ووسائل العيش الكريم والرفاهية (منازل أنيقة، سيارات فاخرة، وخدمات خاصة كالمستشفيات والمدارس، ودخل شهري أضعاف ما يحصل عليه المواطن العادي، وعملت هذه الفئة أيضا على نهب الموارد الدولة على أعلى المستويات نتيجة غياب حلقات المراقبة الرسمية والشعبية فضلا عن مركزية السلطة والابتعاد عن الأساليب الديمقراطية في إدارة الدولة [2].

ج-التخلف التكنولوجي: نتج عنه رداءة نوعية العديد من المواد الإنتاجية ما جعل إنتاجها عبثيا وعدم التوازن في التخطيط الاقتصادي، كذلك الاستنزاف الزائد للطاقة ومواد الخام.

-اختلال الميزان التجاري مابين ارتفاع الواردات مقارنة بتدني الصادرات.

-تعمق الفجوة التكنولوجية بين التطور السوفيتي والتطور الأمريكي، ومثال ذلك نسبة استخدام الكومبيوتر عند السوفييت لا يتعدى 32%، بينما في الولايات المتحدة واليابان فهو يصل إلى 100% على مدار الساعة[3].

د-المجال الثقافي:فقد حدث تدهور شامل في مجالات الحياة الثقافية والعلمية نتيجة الفجوة التكنولوجية بين الشرق السوفيتي والغرب الأمريكي، فيما ارتفعت البطالة بشكل مخيف فوصلت سنة 1985م إلى 2 مليون عاطل عن العمل[4].

---

[1] طه عبد العليم طه، المرجع السابق، ص،67.

[2] هنري كسنجر، (ت ر) مالك فاضل البديري،الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، ط1، دار الأهلية،عمان ، الأردن، 1995،246.

[3]موسى محمد أل طويرش، المرجع السابق، ص 247.

[4]موسى محمد أل طويرش، المرجع نفسه، ص 247.

كما أن محددات "غورباتشوف" لم تلمس فقط الأوضاع الاقتصادية والإنتاجية و"إنما امتدت إلى القيم الإيديولوجية في المجتمع الذي اعتبر طوال تجربة استمرت سبعين عاما في البناء الاشتراكي أن العامل الإيديولوجي محرك أساسي في حركة التقدم بالقيم التي يبثها في المجتمع"، وقد سجل "غورباتشوف" وجود ظواهر متناقضة للقيم الإيديولوجية البناءة كتشجيع المديح والخنوع واستبعاد التفكير والأخلاق وكذلك الانفصال بين القول والعمل، وبدأ الفساد يتغلغل في الأخلاقيات العامة وارتفاع حالات الإدمان على الكحول والمحذرات وارتفاع معدلات الجرائم. وختم "غورباشوف" تصوره لأزمة الإتحاد بقوله:"كم كان الوضع خطيرا وكم كان التغيير الشامل ملحا"[1].

وتعتبر فترة حكم "بريجنيف" كبش فداء في تصريحات "غورباتشوف" العلنية، فأخذ من تلك الفترة أرضية ينطلق منها في تصوراته[2]،فقد أدى إلى هدر الموارد وتضخم أعباء الدولة فضلا عن حالة الاستياء والرفض الشعبي الكامل وحرصهم للمحافظة على مركزية النظام لحماية امتيازاتهم، وفي وجهة نظر أخرى فقد أعطى "رونالد ريغان" تشخيصا للأزمة بقوله:"من منطق السخرية...نشهد أزمة ثورية صاخبة، أزمة تتطاحن فيها حاجات النظام الاقتصادي مع حاجات النظام السياسي مباشرة، إلا أنها ليست في الغرب الحر ...، بل في مواطن الماركسية – اللينينية...ذات النظام السوفيتي الموغل في المركزية ...يوجه مصادره عاما أثر آخر لعملية صنع آلات هرمه. وهاهي الأزمة المستديمة للنمو الاقتصادي المتوافقة مع تنامي الإنتاج. العسكري،تثقل كاهل الشعب السوفيتي.فما نلمحه هيكل سياسي لم يعد يتوافق مع قاعدته الاقتصادية، ومجتمع تقف فيه القوى السياسية حجر عثرة بوجه القوى الإنتاجية[3]

المطلب الثالث:مواجهة ميخائيل غورباتشوف أزمة الإتحاد السوفيتي.

" إن الإصلاحات التي ينادي بها القادة السوفييت ليست جذرية أو راديكالية ولا ترادف الليبرالية كما يظن الكثيرون وكما يتضح من مباحثاتهم وتصريحاتهم الصحفية، ففي أحد أحاديث غورباتشوف ... أواخر عام 1985، انتقد الزعيم السوفييتي النمط اليوغسلافي الاشتراكي والثورة الصينية الاقتصادية، فقد حذر من البريق الخادع لهذه الأنماط والتي

---

[1] السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق،ص97.

[2] بروبرت ج كايزر، المرجع السابق، ص273.

[3] هنري كسنجر، المرجع السابق، ص246.(بتصرف)

يظن بعض القادة أوروبا الشرقية "[1]

وإن ما جرى في الاتحاد السوفييتي من عهد غورباتشوف من إصلاح قد بدء طريقه في التغيير منذ عهد "يوري أندروبوف"، لذلك لا يوجد اختلاف كبير في توصيف كلا الزعمين للأوضاع والأسباب التي تفرض حتمية التغيير لكن اختلافا ظاهرا يمكن إدراكه في تحديد كل منهما للحلقات التكتيكية التي تقود من حيث الأساس إلى ذات الهدف أي بلوغ ذاك المجتمع الاشتراكي المتقدم. وينظر لهذا الأخير الذي يؤمن الوفرة المادية والإنسان الجديد، فكل مطالب بتقديم قدر طاقته وينال كل حسب حاجته،وتتراجع فيه الإدارة البيروقراطية للدولة لصالح الإرادة الذاتية للجماهير، والثورة مهما تعددت حلقاتها لا تقدم شكلا نهائيا للمجتمع الإنساني تنعدم فيه التناقضات التي تمثل أساس التطور، لهذا فإن التطور الديالكتيكي اللانهائي للمجتمع الإنساني، وما أعلنه "غورباتشوف" يهدف في النهاية للثورة الاشتراكية، وفي إزاحة علاقات الإنتاج بحيث تتوفر الأسس المادية والثقافية لبناء مجتمع تتحقق فيه بشكل متزايد الديمقراطية الشعبية على حساب البيروقراطية[2].

وترتكز الإصلاحات التي نادى بها "ميخائيل غورباتشوف" على ثلاثة أنواع وهي: إصلاحات مهنية، وإصلاحات هيكلية وإصلاحات إدارية، بحيث أنه يهدف النوع الأول إلى تغيير المناهج القديمة، وتكون أداة التغيير فيه تعمل على إعادة موارد الدول، أما النوع الثاني فهو يهدف إلى تغيير الهيكل السياسي الاقتصادي بإعادة توزيع السلطات على الهيئات المحلية،.فيما يهدف النوع الثالث إلى إعادة عملية صنع القرار عن طريق إعادة تنظيم الإدارة رغم أن الهيكل السياسي والاقتصادي الراديكالي إلى حد بعيد وهذا له دلالات هامة بالنسبة لدول أوروبا الشرقية كون النظم الشيوعية فيها تتميز بأن الاعتبارات السياسية تأتي في الأولويات على الاقتصادية التي يتم تحديدها لتلائم الاعتبارات السياسية بالإضافة إلى أن الاقتصاد مبنى بحيث لا يسمح بأي تدخل خارجي للحد من السلطة السياسية للحزب رغم الأهمية التي يحظى بها الاقتصاد في مشاريع الدولة لذلك فإن إصلاح الاقتصاد يكون راديكالي بالمعنى العادي لكلمة إصلاح ويعتبر

[1] أماني محمود فهمي، تجربة دول شرق أوروبا ، مجلة السياسة الدولية،ع89، مركز الأهرام للدراسات الدولية،القاهرة، مصر،1987، ص94.

[2] طه عبد العليم طه، المرجع السابق، ص ص67،66.

أحد مستعصيات التحقق في مثل تلك الدول فما يسمح به الإصلاح السياسي ينعكس تلقائيا بالضرورة على النتائج الاقتصادية[1]

و"إن غورباتشوف قد تجاهل الأسلوب البلاغي التقليدي الذي ظل الزعماء السوفييتي تعاملون به الواحد تلو الآخر، فالمنهج السوفييتي كان دائم التمجيد المستمر في عظمة القوة السوفيتية وروعة انتصاراتها والتأكيد على إشراف المستقبل وتجاهل أية سلبيات و التقليل من شأن أية أنباء سيئة "[2] . وعندما سئل أحد المهندسين الرئيسيين لسياسة الإصلاح الاقتصادي لـ"غورباتشوف" نجده يقول: " إنه طابع الشمول الذي تتميز به الإصلاحات الجديدة فالاختلاف الرئيسي في التجربة الجديدة هو محاولة إشراك..."[3].

وإن إرادة التغيير جادة لدى الزعماء السوفييت الجدد وعلى رأسهم "غورباتشوف" والذي أعلن رغبته في بلوغ الإيديولوجية المتحضرة، ما يحول البلد من عملاق قوى العضلات إلى دولة لها مكانة بين الدول المتقدمة، و لن يتأتى ذلك إلا عن طريق التوفيق بين الإيديولوجية ومتطلبات الحياة العصرية ما يفترض استعداد النظام لتقديم الكثير من التنازلات لرسم صورة جديدة للاتحاد السوفييتي[4] خاصة عندما "أدرك بوضوح أن الاتحاد السوفييتي وكتلته من دول شرق أوروبا في مأزق بمنعطف من الطريق السياسي، ولا بد من تغير الوجهة والمسار..."[5] فانطلق في توجهه من الإصلاح الاقتصادي الذي لا يمكن أن يأتي بثماره إلا بالإصلاح السياسي من قمة الهرم الممثلة في الحزب الشيوعي[6]. واعتمد أيضا"...على الموازنة بين تيارين التيار الإصلاحي الذي يدعو إلى اتخاذ خطوات جذرية لإصلاح الواقع الاقتصادي (ولكن ليس إلى الحد الذي يؤدي إلى تفكيك الدولة) وبين العقائدي المحافظ على الأسلوب القديم في إدارة الدولة"[7]. وإيجاد قواسم مشتركة في فهم القضايا الدولية بين الشرق والغرب، على أساس أن هناك قضايا مشتركة تواجه العالم ومن لا يعي ذلك فمصيره الفناء". ومن الأسباب التي أدت به نحو الإصلاح حينما

---

[1]أماني محمود فهمي، المرجع السابق، ص94.

[2] أماني محمود فهمي، المرجع السابق، ص94.

[3] روبرت ج كايرز، المرجع السابق، ص272.

[4] السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص95.

[5]حسين خليل، المرجع السابق، ص ص225،224.

[6]فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين السياسة والدبلوماسية، الدار المصرية، القاهرة ، 2001، ص330.

[7] موسى محمد آل الطويرش، المرجع السابق، ص249.

وصل" إلى قمة السلطة أيقن أن السيارة لم تكن تتجه إلى حيث يعتقد من يجلس على عجلة القيادة ... فالعالم كله يتغير عدا الاتحاد السوفييتي الذي وضع نفسه في إطار إيديولوجي جامد لا يريد أن يتحرر منه... فالتطورات الاجتماعية غيرت طبيعة المجتمعات وعلاقاتها ببعضها البعض... فلماذا إذن يبقى الاتحاد السوفييتي على نفس الحال الذي كان عليه أيام "لينين" و" ستالين"، وإن عالم العشرينات حينما بدأت الثورة في روسيا ليس هو عالم الثمانينات أو التسعينات و الاتحاد السوفييتي اليوم هو "روسيا القيصرية" والتي حطمها " لينين" ورفاقه بعد الثورة".[1]

وفي 11 جويلية 1985م عقدت الدورة المكتملة للجنة المركزية برئاسة "ميخائيل غورباتشوف" ومجموعة من كوادر السياسية باستثناء "رومانوف" المنافس الرئيسي له، وأثناء الدورة قدم الرئيس تقريرا مفصلا عن وضع الاقتصاد. فدعا الحاضرين بضرورة فهم عمليات التغيير الجذرية والأخذ بها في أقرب وقت فقد ويعبر عن ذلك بقوله:" لم يعد لدينا متسع من الوقت"[2]، وبين أن المعالجة لا تتم بأساليب منعزلة أو بمعزل عن آليات النظم الأخرى الاقتصادية والسياسية أو بالإجراءات الجزئية كتلك التي اتبعها "اندربوف"، فالمواجهة الفعالة والشاملة لتلك الأزمة تتطلب إصلاحا اقتصاديا هيكليا وإصلاحات سياسية[3]

وما يمكن إيجازه أن مواجهة الرئيس السوفييتي الجديد للأزمة بإقراره سياسة الإصلاح والتي هي البرنامج السياسي الذي جاء به عند وصوله للسلطة ؛ إذ وصل إلى طرح نظرية جديدة أخرى لإدارة الإتحاد السوفييتي قوامها البيروسترويكا و الغلاسنوست[4].

المبحث الثاني:السياسة الداخلية الإصلاحية.

[1]أمين هويدي، المرجع السابق، ص ص،63،62.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص127.

[3] أرنست ماندل، المرجع نفسه، ص133.

[4] خليل حسين، المرجع السابق، ص224.

بعد تنصيب "غورباتشوف" على رأس الحزب والدولة وبعد تحديده لأسباب الأزمة وتقديم الحلول لها إلى إصلاحات داخلية عرفت البيروسترويكا الغلاسنوست وقد مست الاقتصاد، والمجتمع، والإدارة وحتى الأوضاع السياسية.

المطلب الأول: التعريف السياسة الإصلاحية الداخلية:

1/إقرار سياسة البيروسترويكا:

قبل التعرف على الإصلاحات التي جاءت بها سياسة البيروسترويكا يجب أولا التعرف على معنى هذه الكلمة لأجل فهم أبعادها و المعطيات التي تقودها.

تعريف البيروسترويكا:

– **لغة:** كلمة روسية perestroïka تعني بالترجمة للغة العربية إعادة البناء[1]*.وكذلك إعادة الهيكلة أو تجديد البنيات أو الإصلاح[2].

– **اصطلاحا:** فلها معان كثيرة وواسعة نأخذ منها: أن البيروسترويكا دخلت كمصطلح للقاموس السياسي منذ تولي "ميخائيل غورباتشوف" قيادة الأمانة العامة للجنة المركزية بالحزب الشيوعي السوفييتي في مارس 1985م، حيث تم إقرارها في أفريل 1985م كإستراتيجية للحزب والدولة في الداخل و الخارج[3]. و"البيروسترويكا تعني إزالة جذرية وحازمة للعقبات التي تعرقل التنمية الاجتماعية والاقتصادية كما أنها تعني التضحية بالفروع من أجل انطلاق الجذور"[4].

أما "ميخائيل غورباتشوف" فيعرفها بـ:" التخلص الحازم من العمليات الراكدة و تحطيم الكبح وبناء ميكانيزم متين وفعال لتسريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع وإضفاء ديناميكية كبيرة عليها... الإبداع الحي للجماهير"، وهي أيضا التطوير الشامل للديمقراطية والإدارة الاشتراكية عن طريق تشجيع المبادرة والنشاطات الفردية وتعزيز الانضباط والنظام وتوسيع

[1]فتحي يكن،منى حداد، المرجع السابق، ص11.

*ينظر أيضا مسعود خوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ص52.

[2]بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص102.

[3]على عودة العقابي، المرجع السابق، ص97.

[4]أمين الهويدي، البيروسترويكا وحرب الخليج الأولى، ط1، دار الشروق، 1997،ص63.

العلنية في مسار مجالات الحياة [1]، وهذا التعريف يطرح التخلص من الحقبة الستالينية وتحقيق التنمية والبناء والاقتصاد والمجتمع ما يعني أنه يطرح التغيير وليس التعديل ما هو موجود بل التخلص منه نهائيا.

وهي أيضا تعني " العقلنة و المردودية" ما يجعلها تقوم على المادة والنقد اللذان يلتقيان في هدف واحد المتمثل في زيادة الكمية، وتجانس السلع المنتجة أخذ بعين الاعتبار السلع، وأفضل من نفقات الإنتاج وذلك عبارة عن منطق حسابي يعرف "بالخزرشوت" التي تهدف إلى التحديث والاقتصاد في استخدام الطاقة والأدوات والمواد الأولية،وإدخال تقنية المعلوماتية المكننة في بعض القطاعات ذات الأولوية وتنمية استقلالية المنشآت وإنتاجية الشغيلة للفرد الواحد في السوق العالمي وبالتالي حل مشكلة العلف وإنتاج اللحوم وحتى مشكلة المأوى[2].وهذا ما يجعل البيروسترويكا تعني أيضا: "الاعتماد على الإبداع الحي للجماهير"وكذا الاحترام الرفيع لقيم الفرد وعزته"[3].

ويضيف "غريغروف" في الموسوعة الإسكلوبيدية: "أنها سياسة اتجاه الحزب الشيوعي السوفيتي والدولة السوفيتية في منتصف الثمانينات والتي استمرت حتى أوت 1991م، وكان جوهرها الموضوعي محاولة تصحيح الاقتصاد والسياسة والإيديولوجية الثقافية وجعلها ذات طابع إنساني مثالي"[4].

ويترقى المفهوم من التغيير للثورة " نحن إزاء ثورة اجتماعية، أي أننا لسنا إزاء مجرد تغيير يتم داخل نطاق السلطة السياسية قد تصاحبه تغيرات في أساليب القيادة السياسية مع المحافظة من حيث الجوهر على نفس الأسس التي ينهض عليها النظام القائم اقتصاديا واجتماعيا وإيديولوجيا" وهذه الثورة لم تخرج عن نطاق الاشتراكية وتسعى إلى إجراء تغييرات جذرية شاملة في المجتمع الاشتراكي السوفيتي تمتد إلى كل مجالات الحياة[5].

---

[1] على عودة العقابي، المرجع السابق، ص98.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص127.

[3] فتحي يكن ،منى حداد، المرجع السابق، ص11.

[4] على عودة العقابي، المرجع السابق، ص98.

[5] طه عبد العليم طه، المرجع السابق،ص ص67،66.

كما يصفها "غورباتشوف" بأنها: "انعطاف تاريخي ذو طابع ثوري فهي من نوع خاص" ويطرح "ليغاتشيف" خاصية إعادة البناء ليست استعاضة أسلوب إنتاج آخر، حيث أنها تجري في إطار تشكيلة اقتصادية واجتماعية واحدة وفي الطور الاشتراكي من التشكيلة الشيوعية وهي لهذا لا تطرح مسألة تغيير سلطة الدولة بل تعميق سلطة الشعب الاشتراكية، ويتبدى الطابع الثوري لها على المستوى الاقتصادي في مجمل علاقات الإنتاج لمنحها حركة ذاتية. وهي بهذا المعنى كانت ثمرة موضوعية اقترضها واقع أن علاقات الإنتاج القائمة لم تعد حافز للتقدم العلمي التقني وإستعاب أحدث التقنيات التكنولوجية وتطبيقها بسرعة"[1].

وهي أيضا " ...عملية ثورية تمثل ثورة من الأعلى بدأت بمبادرة من جانب عامة الحزب، وتتم تحت إشرافه، وأن نجاح هذه العملية يتطلب عدم التردد أو تأجيل لحظة الانطلاق، لأن الإصلاحات الزاحفة لن تؤدي إلا إلى الركود والإبقاء على العقلية المحافظة والنظم البالية"[2].

2/ إقرار سياسة الغلاسنوست:

تفطن رواد البيروسترويكا أن هناك علاقة وطيدة بين إعادة البناء الاقتصادي وبين إعادة الهيكلة السياسية، وأن المقاومة التي قام بها الاحتكاريون البيروقراطيون خوفا على مصالحهم وامتيازاتهم، لذلك وجب تغيير النظام السياسي ويعبر عن ذلك "جيرارد ديشان" بقوله:"وبعد النتائج المخيبة للآمال أدرك "غورباتشوف" استحالة تشغيل النظام حتى ولو استعان برجال جدد...ألا يجد ربه إذا أن يغير النظام بالذات؟"، فكانت إعادة البناء تحتاج لأداة أخرى للتغيير بموازاة مع البيروسترويكا، ألا وهي الغلاسنوست لتحقيق الديمقراطية[3].

-تعريف سياسة الغلاسنوست:

الغلاسنوست«GLASNOST» كلمة روسية الأصل مشتقة من كلمة التي تعني الصوت[4]، وهي تعني العلنية[5]، وتأخذ أيضا معنى المكاشفة[6]، وترجمتها للغة الفرنسية تحمل معنى

---

[1] عبد الرزاق عيد، نحن والبيروسترويكا، دار الحوار، سورية، 1991، ص ص10،09.

[2] ممدوح نصار، أحمدوهبان، المرجع السابق، ص346.

[3]بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص114.

[4]بلخيرة محمد، المرجع نفسه، ص114.

[5] مسعود خوند، المرجع السابق، ص52.

[6] خليل حسين ،المرجع السابق، ص211.

الشفافية، وأعطى أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية "غراتشييف" طرحا مفاده أن الغلاسنوست لا تعني الشفافية، وإنما هي تعني الإشهار رغم أن كل من كتب عنها أجمع على أن معناها الشفافية[1].

و"حتى يكشف عن العفن ويحقق الديمقراطية التي ينادي بها دعا إلى الغلاسنوست، فالعلانية والرقابة الحقيقية من الأسفل هما طريقا الإصلاح الذي نشيده ، وتوسع في الاتصالات المباشرة بالجماهير والزيارات المتتالية وقد اعتنى "غورباتشوف" بالرسائل التي تصل إليه من القاعدة بصفتها التغذية الخلفية الهامة التي تربط القيادة بالجماهير كما تصل الرسائل إلى مكاتب تحرير الصحف والمجلات، ويجري نشر الكثير منها"، [2] وأعلن من جهته عن اعتماده على هذه السياسة بهدف اتخاذ إجراءات التحرر السياسي وفتح المجال أمام الديمقراطية [3] وتحرير الأفكار فقد تم نشر العديد من مؤلفات المنشقين الذين وجهوا أصابع الاتهام لـ"ستالين". كما أنه فتح المجال للسينما أن تتخذ من معسكرات الاعتقال "الكولاك" هدفا لها، أما التليفزيون فقد فتح ملفا للتحقيق في كارثة مفاعل تشرنوبيل فعرض فيلم" المنطقة المحظورة " أمام الجمهور لحصوله على امتيازات "النومانكلاتورا" بتفاصيلها الدقيقة، كما أنه قامت في مجموعة من المناطق الواقعة على أطراف بلاد البلطيق وأوكرانيا والقوقاز احتجاجات تطالب بالتحرر[4].

المطلب الثاني: مستويات السياسة الداخلية الإصلاحية.

وترتكز عملية إعادة البناء على القيم الإنسانية، أي تجريد العلاقات الدولية من الأدلجة فتصبح بالتالي علاقات إنسانية ترتقي فوق الخلافات العقائدية وجعل لكل رأيه الخاص به واجب احترامه فلأول مرة في التاريخ أصبح هناك حيوية لإدراج المعايير والقواعد الأخلاقية الإنسانية في قواعد السياسة الدولية وبالتالي أنسنة العلاقات الدولية بدل اعتماد سياسة القوة العسكرية، فقد دعا إلى تنقية العالم من الأسلحة النووية. أما جوهرها فهو يكمن في التنمية الاقتصادية والانفتاح، وتحقيق ذلك يكون وفق ثلاث أبعاد وهي:

–ضرورة تعزيز التعاون والتبادل الدولي.

---

[1] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص114.

[2] أمين هويدي، المرجع السابق ص 68.

[3] مفدي الزيدي، المرجع السابق ص 1166.

[4] بيار ميكال، المرجع السابق، ص580.



–السعي لتحقيق الكفاءة الاقتصادية.

–بلوغ الديمقراطية.

وفيما يخص الشروط الواجب توفرها لإنجاح عملية إعادة البناء فهي كالآتي:

–خلق البيئة القانونية التشريعية التي تضمن مصالح المجتمع واستقلال جهاز القضاء الذي يسهر على تطبيق القوانين.

–إعطاء أهمية لفئة الشباب والمرأة للمشاركة في الحياة السياسية.

–لتحقيق البيروسترويكا يجب الاعتماد على الكفاءات المهنية العالية.

–معرفة مجالات الإنتاج والعلم والتكنولوجية وتنظيم العمل والإدارة[1].

ويسعى الغورباتشوفيون من خلال البيروسترويكا لتحقيق وبلوغ مجموعة من الأهداف وهي:

–"...التحديث والاقتصاد في استخدام الأدوات والطاقة والمواد الأولية، وإدخال المعلوماتية المكننة في بعض القطاعات ذات الأولوية، وحقيقة الأسعار وتنمية استقلالية المنشآت وإنتاجية الشغيلة تبعا لإنتاجية الفرد الواحد[2].

–الوصول للتسيير اللامركزي للاقتصاد عن طريق منح بعض حقوق التمتع بالملكية الجماعية من الكوادر إلى العامة وتوسيع دائرة التسيير الذاتي، وهذا ما يحقق الشعور بالمسؤولية تجاه النشاط الاقتصادي.

–إزالة الحواجز الاجتماعية بين قيادات العمل والشرائح العاملة عن طريق ديناMكية وسائل الإعلام وستؤدي تلك العملية لتغيير شروط العمل[3].

ويهدف "غورباتشوف" أيضا من خلال إعادة البناء إلى استكمال بناء المجتمع الاشتراكي عن طريق الثورة ومما يحقق الرفاهية للإنسان الجديد فيقدم كل فرد حسب استطاعته ويتحصل

---

[1] خليل حسين،المرجع السابق، ص ص230،229.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص127.

[3] مجموعة باحثين، البيروسترويكا الاجتهاد النظري بين الرغبة والاحتمال، ط1، مؤسسة عيبال(د م)، 1991، ص52.

مقابل ما أنجزه حسب حاجته وتتراجع فيه الإدارة البيروقراطية للدولة لصالح الإرادة الذاتية للشعب [1]

وأكد "غورباتشوف" بقوله: "سوف نسير نحو الاشتراكية الأفضل ولن نحيد عنها، ونقول هذا بشرف دون أن نتحايل أمام شعبنا ولا أمام الآخرين .ليس من الواقعية ولا مستقبل التوقع أننا نسب أنبياء مجتمع ما آخر، غير اشتراكي وننتقل إلى معسكر آخر "[2]، فلا يمكن التخلي أو التراجع عنها فهي تهدف إلى بلوغ مستوى معيشي أحسن والتوصل إلى حلول المشكلات المختلفة التي يعاني منها المجتمع السوفييتي[3].

وتقوم البيروسترويكا على أربعة مستويات رئيسية وتتفرع كل واحدة منها إلى مجموعة كبيرة من القضايا الفرعية يجرى في إطارها التحرك السياسي العام للإتحاد السوفييتي ما بين 1985–1991 م وهي:[4]

1/الإيديولوجية: وهي المبادئ التي جاء بها الفكر الماركسي اللينيني أو الفكر الاشتراكي ومدى مواكبته للعصر والواقع الإنساني، ولقد سار الإتحاد السوفييتي حسب ما يرى المؤيدين لسياسة البيروسترويكا على مسار مجموعة من الخطط الاقتصادية التي وضعها ستالين واستمرت بعد غيابه، فأصبح الشكل يتمثل في تأميم وسائل الإنتاج وسيطرة الدولة ما يعني تمثيل مصالح الشعب، إلا أنه حدثت محاولتين إصلاحيتين فاشلتين الأولى في 1956م والثانية في1964م، وقد أنتجت الثانية انفتاح جزئي على العالم الخارجي على عهد "خورتشوف"، أما المحاولة الثالثة التي انطلق بها "غورباتشوف" من البيروسترويكا[5].

وحسب توجه "غورباتشوف" فإن البيروسترويكا تدعو إلى التعايش مع الغرب سلميا محاولا بذلك استيعاب إيديولوجية الآخر، وهو يدعو أيضا إلى تخليص الحركات الشيوعية العالمية من

[1] طه عبد العليم طه، المرجع السابق، 66،67.

[2] علي عودة العقابي، المرجع السابق، ص98.

[3] ممدوح منصور، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص347.

[4] مسعود خوند، المرجع السابق، ص53.

[5] مسعود خوند، المرجع السابق، ص53.

العجز والركود الذي منعها من النمو في ظل تطبيق النظرية والذي أدى إلى تفشي البيروقراطية والتراجع في ممارسة السلطة[1].

ويقول "غورباتشوف": "إن الدافع الذي منح الحياة لثورتنا العظيمة كان قويا لدرجة لا تسمح لحزبنا و شعبنا بأن يقبلا الظواهر التي تهدد بتبديد مكاسبها، و بقيت أعمال "لينين" ومثله عن الاشتراكية... وكانت صورته نفسها مثالا لا يخبو للقوة المعنوية النبيلة....إن لينين يعيش في عقول ملايين الناس وأفئدتها "[2] ؛ لذلك ستتجه البيروسترويكا نحو "لينين" ومثله كمصدر إيديولوجي لها.

و"إن غورباتشوف يرتكن في كل أقواله وإجراءاته إلى لينين الذي بقيت أعماله معينا لا ينضب للفكر الإبداعي الجدلي والإثراء النظري...، فهذه الأفكار لا تعدو كونها إحياء لأفكار قديمة تم تجاهلها ونسيانها في زحمة الحياة لأن لينين تحدث عن الانفتاح في الخطة الاقتصادية الجديدة"[3].

2/الاقتصاد:

يعاني الاقتصاد السوفييتي من فقر هياكله فبالرغم من امتلاكه الأسلحة والقوة العسكرية، إلا أن الإدارة الاقتصادية، وتوزيع الموارد، و التقنية، والخدمات التي يحتاجها الشعب كلها تعاني من عطل مزمن[4]. لذلك ارتكزت عملية إعادة البناء على الاقتصاد والانفتاح على الغرب بفتح المجال للمستوردين في اختيار مجال أعمالهم دون تدخل الدولة، فقام الرئيس بتأمين المؤسسات التي لها رأس المال وتؤمن الخبرات الأجنبية للمساعدة وكذلك قامت على فتح استثمارات مع دول ذات نظام رأسمالي كالولايات المتحدة، وفنلندا، وبريطانيا، وايطاليا، والنمسا، وألمانيا وبعض دول العالم الثالث، كالهند ومصر وغيرهم من الدول[5].

[1] خليل حسين، المرجع السابق،229 .

[2] ميخائيل غورباتشوف، المرجع السابق، ص23.

[3] أمين الهويدي، المرجع السابق، ص ص67،68.

[4] مسعود خوند، المرجع السابق، ص53.

[5] خليل حسين، المرجع السابق، ص229.

وتضمن هذا المستوى أيضا "...التخلي التدريجي عن سياسة الاقتصاد الموجه، وإعطاء استقلال أكبر للقطاع الخاص، فقد صدرت قوانين تؤكد على أهمية تأمين حاجات الأفراد الأساسية من خلال تشجيع المبادرة الفردية، وتحقيق الإصلاح الزراعي، لدعم المؤسسات الاقتصادية"[1]، أما الاقتراح الوحيد الملموس فهو"يتعلق بخفض أساسي لأعمال بناء المصانع الجديدة لصالح تحديث القديمة منها ومعداتها، واستعراض إعادة البناء هذا من الآن فصاعدا امتصاص أكثر من 50% من مصاريف التوظيف، علما أنها لم تبلغ حتى يومنا هذا أكثر من 30% من هذه المصاريف" ووضعت الدورة المكملة للجنة المركزية المنعقدة في أفريل[2]1985م مجموعة من المقترحات للنهوض بالمستوى الاقتصادي وذلك من خلال:

-"تعزيز متزامن لكل الهيئات المركزية المعنية بوضع الخطة ولمسؤولي المشروعات وذلك في موازنة تقليص سلطة الهيئات الوسيطة،كالوزارات مثلا، وانضباطية أوسع في مجال العمل، وتحديدا حساب الأجور المحققة تبعا للمردود الفردي.

-تعيين لجان متخصصة زراعية وصناعية،لتحفيز الزراعة، وتوسيع نطاق الإنتاج السلعي

في الزراعة والخدمات وإعطاء اهتمام أكبر للتكنولوجيا الرائدة وللقطاع الصناعي بأنواعها (الالكترونيات، المكننة، الآلات الكهروبائية، الليزر، علم الأحياء الجيني،معدات علمية...).

-إعطاء أهمية قصوى لتحديث المنشآت القائمة بدل العمل من جديد ببناء منشآت جديدة،ومحاربة الفساد والسوق السوداء والوسطاء غير الشرعيين .

-إخضاع قطاع الطاقة وخاصة وزارة الصناعة النفطية والمناجم والفحم للنقد فقد جرى تحقيق نقل على التلفزة السوفيتية للمرة الأولى في 6 أوت 1987م نقاش برلماني تعرض فيه وزير صناعة الفحم "ميخائيل شاروف" للمسألة الحادة بسبب التأخر في تنفيذ الخطة وتأخر التكنولوجيات المخصصة لذلك"[3].

وفي بداية إطلاق مشروع الإصلاح وضعت برامج شاملة هامة في المجالات العلم والتكنولوجيا، تسعى إلى بلوغ ذلك التقدم من المستوى العالمي بنهاية القرن الماضي ويعطي

---

[1] مفدي الزيدي، المرجع، ص 1165.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص128.

[3] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص129.

"غورباتشوف" طرحا لهذا بقوله: "فإن لدينا الآن استثمارا وسياسة هيكلة جديدة، لقد تحول التركيز من البناء الجديد إلى إعادة التجهيز التكتيكي للمؤسسات، وإلى توفير الموارد، ورفع جودة المنتج بشكل حاد، وسنواصل إبلاء اهتمام كبير لتطوير صناعات التعدين، وفي مجال تزويد الاقتصاد بالموارد الأولية، والوقود، والطاقة الكهروبائية سيكون التركيز على تطبيق تكنولوجيات موفرة لهذه الموارد وعلى ترشيد استخدامها"[1]. ومن بين أهم المشاريع "قانون المؤسسة والتوحيد الصناعي"، والذي صدق عليه من طرف اللجنة المركزية بداية من شهر جوان1987م، ودخل حيز التنفيذ اعتبارا من جانفي 1988م وينص هذا المشروع على منح المشاريع الاقتصادية مزيدا من الحرية في اتخاذ القرار. أي تقليص التدخل المركزي للدولة وإجراء تعديلات أساسية على مبادئ التخطيط، والأسعار، وميكانيزمات التمويل، والقروض، ناهيك عن تجديد بنية العلاقات الاقتصادية الخارجية ما يعطي المؤسسة مجالا لتسيير نفسها من حيث الإنتاج وتوزيعه انطلاقا من الاحتياجات الحقيقية للمنظمات الحكومية، الصادرة من الهيئات العليا. أما فيما يخص أجور العمال فهي تخضع للنتائج المحققة، لاسيما المردودية والمستوى النوعي للإنتاج وبذلك تكون المؤسسة الاقتصادية مسئولة على نفسها في حالة الربح أو حالة الخسارة، ويهدف ذلك القانون إلى تحريك المؤسسات على حساب الأجهزة البيروقراطية. فقد جردت العديد من الهيئات من الكثير من صلاحياتها التي تركزت حول تحديد السياسة الإستراتيجية في ميدان الدعم التقني والاستثمار وبالتالي تقلص عدد الهيئات الإدارية من نسبة 50% على الصعيد الفيدرالي والجمهوري و30% على المستوى الجهوي ذلك ما جعل لجنة "غوسبلان" تهاجم هذا القانون كونه جرد البيروقراطيين من كل صلاحياتهم[2].

وبهذا الصدد يقول "غورباتشوف": "فإننا نستهدف إعادة تنظيم جذرية للإدارة الاقتصادية الممركزة لصالح المؤسسات. وسوف نحرر الإدارة المركزية من مهام التدخل في إدارة المؤسسات مما يمكنها من التركيز على العمليات الرئيسية التي تحدد إستراتيجية النمو الاقتصادي... بدأنا إصلاحا جذريا جادا في التخطيط وفي تشكيل الأسعار... ويهدف هذا الإصلاح الانتقال من نظام الإدارة المغالى في مركزيته والذي يعتمد على الأوامر في النظام الديمقراطي، يرتكز على ربط المركزية الديمقراطية بالإدارة الذاتية"[3]. فيكون قانون مؤسسة الدولة

---

[1] ميخائيل غورباتشوف، البيروسترويكا التفكير الجديد لبلادنا، المرجع السابق، ص26.

[2] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص112،111.

[3] ميخائيل غورباتشوف، البيروسترويكا التفكير الجديد لبلادنا، المرجع السابق، ص34.

الرئيسي لهذا الإصلاح المتمثل في الحساب الاقتصادي الكامل والإدارة الذاتية للإنتاج، واستقلالية القرارات والمسؤولية الكاملة عن نتائج العمل. "فإن الهيمنة المركزية المفرطة في السابق أدت إلى حالة انفصال بين المنتج وثمار عمله، حيث تبدو الملكية الشعبية التي هي من حيث الجوهر ملكية الدولة كأنها ليست ملكا لأحد، فتغدو المسؤولية أمام القانون بديلا للمصلحة الاقتصادية المباشرة للمنتخبين فالتجريد الذي تكتسبه الدولة عبر مؤسساتها وإدارتها بمركزيتها المفرطة التي تفرض البيروقراطية كحالة لازمة لها، تؤدي جدليا إلى تجريد الملكية وتغريبها عن المنتج..."[1]، وإن إعادة البناء الاقتصادي لا يمكن أن تتم بمعزل عن الحياة الاجتماعية والثقافية حيث، لا يمكن النهوض بالاقتصاد ورفع إنتاجية العمل السريع لعمليات التنمية وغيرها من العمليات البنائية دون إعادة بناء الإنسان ذاته ومنظومته الفكرية[2].

3/البيروقراطية:

...لقد شكلت البيروقراطية العقبة الكبرى في وجه محاولات الإصلاح من حيث صعوبة تحويل الاقتصاد من طبيعته المركزية إلى اقتصاد مرن يقارب قوانين السوق[3]، وقد أشار صاحب البرنامج أنه عندما أعلن "التحليل المسؤول الماضي يظهر الطريق إلى المستقبل." وكخطوة في تطبيق العلاج لمحاربة المرض الاجتماعي الخطير كما عبر "غورباتشوف"، فقد أكد على أنه من الضروري أن يلتزم الجميع باتجاه السليم بداية من قمة الهرم الممثل في السكرتير العام لغاية قاعدته والذي يمثله العامل البسيط، بالاستناد إلى مقولة "لينين" الآتية: "أنه ينبغي على العامل أن يشعر ليس فقط أنه سيد في وضعه، بل ممثل للبلاد... وأن يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه"[4].

4 /الديمقراطية:

بالرغم أن الديمقراطية والحرية ليست هي القوة المحركة للمواطن السوفيتي إلا أن لها علاقة وثيقة ومباشرة باتجاهاته وثقافاته وانطلاقا من ذلك قرر الحزب أثناء فعاليات المؤتمر السابع

---

[1] عبد الرزاق عيد، المرجع السابق، ص10.

[2] عبد الرزاق عيد، المرجع السابق، ص12.

[3] مسعود خوند، المرجع السابق، ص54.

[4] بلال عبد الموجود، المرجع السابق، ص 224.

والعشرين للعموم السوفيتي على فتح مجال أوسع لعمل النقابات والجماعات والرقابة الشعبية، ما يتطلب ضرورة تطوير التسيير الذاتي الاشتراكي للجماهير بشكل مستمر. ومن ذلك وصف "غورباتشوف" الديمقراطية بقوله: "هي ذلك الهواء العليل الصافي الذي لا يمكن أن يحيا الكيان الاجتماعي الاشتراكي حياة زاخرة إلا فيه"[1]

لقد رأت البيروسترويكا أن اشاعت الديمقراطية ضمانة أكيدة لعدم النكوص بعملية التجديد وإعادة البناء "فقد شددت على ضرورة العمل المشترك لمختلف الشرائح الوظيفية والحيوية الفاعلة ضمن المنظمات الاجتماعية وغيرها من الاتحادات المهنية والإبداعية، فقال "غورباتشوف":" نحن نعرف الآن أنه كان بوسعنا تجنب الكثير من المصاعب وسنقف موقفا لا محيد عنه وهو أنه لايمكن التقدم إلى الأمام في الإنتاج والعلم، وفي التقنية والثقافة والفن، وفي جميع مجالات حياتنا الاجتماعية إلا عبر تطوير منسق للأشكال الديمقراطية التي تميز الاشتراكية وعبر توسع الإدارة الذاتية، وعبرهما فقط.وهذا ما يضمن الانضباط الواعي وعبر الديمقراطية وبفضلها، تصبح البيروسترويكا نفسها ممكنة"، وفي الأخير طرح الرئيس شعارا رئيسيا وهو"مزيدا من الاشتراكية، مزيدا من الديمقراطية" [2] وأيضا إعادة الاعتبار للديمقراطية بوصفها حقيقة اشتراكية يعني إعادة اعتبار للمبادئ اللينينية بوصفها أعلى شكل من أشكال التحلي الأخلاق الإنسانية وهو يكشف نفسه في النظرية والممارسة، حيث أنه مزيد من الاشتراكية يعني بالضرورة مزيدا من الديمقراطية بالمفهوم البيروسترويكي ليست إعادة البناء العلاقات المادية والاجتماعية على أسس ديمقراطية فحسب، بل هي إعادة بناء للعقل الإنساني الشامل ليمضي في مغامرته الإبداعية مخترقا كل الثوابت، مجددا ذاته، والطبيعة، والحياة[3].

المطلب الثالث: معيقات السياسة الإصلاحية الداخلية.

عند وصول "ميخائيل غورباتشوف" إلى السلطة قوبلت سياسته بالترحيب والتأييد من الغالبية السكان في الاتحاد السوفييتي، وكان المثقفون، والعلماء من أكثر المتحمسين لأفكار

---

[1] بلال عبد الموجود، المرجع نفسه، ص 227.

[2] سميح عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ص79،78.

[3] عبد الرزاق عبد، المرجع السابق، ص ص13،12.



"غورباتشوف"، ولأول مرة منذ عقود طويلة أتيحت لنا نحن العلماء، إمكانية التعبير عن أفكارنا العلمية بشأن تنمية البلاد، خاصة في الشؤون الاقتصادية"[1] .وكثير من المحللين السوفييت قاموا بنقد المقولات التي سار عليها "لينين"، وأيدوا الفكر الجديد، فكر إعادة البناء، فانصب نقدهم على أن "ماركس"و"انجلز" كانا مثاليين في اعتقادهما بإمكانية خلق مجتمع إنساني جديد ليس فيه مكان لأن تتحكم السلعة في العلاقات التي تربط الأفراد ما يؤدي في النهاية لاختفاء الدولة[2]. ولقد"اتسعت دائرة التأييد الشعبي...والحاجة الماسة إليها بتزايد الإدراك على النطاق الجماهيري الواسع بأنه لم يعد ممكنا الاستمرار في العيش على هذا النحو".وكان لوسائل الإعلام والصحافة دورا مؤثرا في توجيه الشعب وتشجيعه على المشاركة والاندماج في الحياة الجديدة العملية والسياسية، فقد استندت وسائل الإعلام على السلبيات والنواقص التي أدت إلى الكبح ونددت على تلاشي القيم العظمى التي جاءت بها ثورة1917م والتي راح معها الاهتمام بقضايا المجتمع وغيرها[3].

...ويقول "غورباتشوف" أنه عندما طرح تقريره بتاريخ 22أفريل 1983م في الاجتماع

الجماهيري الخاص بالذكرى 113 لميلاد لينين فقد أشار إلى معتقدات لينين كمصدر إيديولوجي ملح البيروسترويكا فقد أيد المستمعون بحماس هذا الطرح الإيديولوجي وهو يعبر عن ذلك بقوله: "أحسست مرة أخرى، أن أفكاري تتفق مع مشاعر زملائي أعضاء الحزب وكثير من الناس الذين تشغلهم مشاكلنا بشكل حاد، والذين يردون بإخلاص أن يصححوا الأوضاع...فقد شعر الكثيرون من زملائي أعضاء الحزب بالحاجة الملحة إلى تجردي المجتمع، إلى التغيير...إنني شعرت كذلك بأن التقرير لم يرق للجميع ، وأنه لم يكن متفائلا بالقدر الذي تطلبه الوقت عند ذاك"[4]. فمثل ما كان لبرنامج الإصلاح الذي جاء به "غورباتشوف" تجاوب ومؤيدين فلها أيضا معارضين والعقبات وقفت في وجه تطبيقها بحيث:

– أنها انطلقت من تناقضات فقد انطلق "غورباتشوف" فيها من موقف ضعف مزدوج، حيث كان يخضع في الوقت ذاته لضغط الإمبريالية المتنامي، ولضغط الجماهير السوفيتية المتنامي

---

[1] رسلان حسبولاتوف، المرجع السابق، ص 12.

[2] مسعود خوند، المرجع السابق، ص53.

[3]سميح عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ص78.

[4] ميخائيل غورباتشوف، البيروسترويكا ، المرجع السابق، ص23.

أي الأزمة الاجتماعية المتصاعدة من خلال بروز نشاط واعي من قبل سياسيين مستقلين للبروليتاريا[1].

– عدم تطبيق القرارات الإدارية على أرض الواقع ذلك ما فتح فجوة بين وضع القرارات والإصلاحات الإدارية، وتطبيقها، والبيروقراطية في العلاقات الاجتماعية وقدتم إحصاء مجموعة من النسب خلال استفتاء أجري حول البيروسترويكا فقال: 80%أنهم متعايش مع الشكلانية بينما لمح 57% منهم إلى تهرب الموظفين من واجباتهم تجاه حل القضايا العالقة ، في حين نوه47% إلى عدم الاكتراث والسلبية عند الموظفين، أما 42% تحدثوا عن إفلات السلوك الشكلاني من العقبات، و34% أرجعها إلى عدم الكفاءة العمالية، هذا ما جعل شعور العمال بنجاح البيروسترويكا بدأ يتراجع وفي هذا قدمت "ريفكينا" دراسة بين سنتي 1980 و1986م حول مؤيدي إعادة البناء الجذرية عند المسؤولين الاقتصاديين الزراعيين والصناعيين بأن كانت نسبتهم 12% ثم ارتفعت إلى 39% وعادت إلى الانخفاض بمعدل 31%عام 1987م،وأضافت الدراسة التي قدمها "ج.توشتشتكنو" على نفس الانخفاض في السنة عام 1986م، مع العلم، أن رواتب الموظفين كانت تزداد لو أنهم عملوا بجد، أما عن نسبة الأشخاص الذين عايشوا تغيرات ايجابية في عمل الأجهزة القيادية للمنظمات الاجتماعية فهي بين مجالي 7و 14% سنة 1987م، وتلك الإحصاءات تفسر أن الرأي العام يتجه حسب فكره نحو التراجع وعدم التفاؤل بالنسبة لإعادة البناء الجذري[2].

أما الظروف المعيقة للسياسة الإصلاحية فالكاتب "بيار ميكال" يرجعها لقوانين المؤسسات فيقول:"وما إن صدر قانون 30 حزيران 1987م حول إدارة المؤسسات حتى حولته البيروقراطية الجاثمة في الوزارات المركزية لصالحها رافضة التخلي عن امتيازاتها في إدارة الشأن الاقتصادي"، وبما أم تحديد الأسعار من صلاحيات الدولة فلا يمكن إقامة نظام اقتصادي حر وستبقى مشاكل التموين قائمة، وتبقى المؤسسات خاضعة لموردين تختارهم الدولة، لذلك عمت الفوضى بالأسواق ما جعل الدولة تحتار في إتباع أحد السبيلين إما أسعار متاجر الدولة، وأسعار القطاع التعاوني، وبين أسعار السوق الحرة، حيث ينشط أرباب العمل الجدد في المؤسسات الخاصة بهم، أو بين أسعار السوق السوداء والعمال المستقلين البالغ عددهم

---

[1] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص207.

[2]مجموعة باحثين، المرجع السابق، ص51.

500000 شخص، والذين يحاولون فتح استثمارات صغيرة عبارة عن حوانيت أو متاجر أو معامل[1]. ويقول "أرنست ماندل": "فمن قبيل الخطأ أن تعزى صعوبات تحقيق البيروسترويكا وإعادة بناء الحياة والإدارة الاقتصاديتين بمجملها إلى مجرد عوائق مؤسساتية، أي إلى تعنت الشرائح البيروقراطية الوسيطة الأكثر محافظة والأكثر تأثرا بالروتين والبلادة..."[2]

–أدى اتساع المساحة وتنوع البنى الاجتماعية والاقتصادية، وتنوع ظروف الحياة والعمل، وكذا التباين الاجتماعي والمكاني بين المراكز والأطراف، إلى عدم التحكم في الأقسام الإدارية وذلك ما أعاق عملية أخذ الرأي والرأي الآخر بين السلطة والقاعدة الشعبية[3].

– اقتناع الذاكرة الجماعية بفشل محاولة الإصلاح ضمن المؤسسات الاقتصادية لعدم ثقتها بالإجراءات المقترحة.

– عدم وجود خطط مستقبلية تسمح بدفع الاقتصاد نحو التقدم وفي إطار التنافس القائم بين ما

روجته الدعاية من أفكار نهائية وبلوغ الرفاهية من جهة، والانتكاس الناتج عن سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية كنتيجة لكل إصلاح اجتماعي، وأن عملية إعادة البناء قد خلقت عدم توازن حيث أنها ترضي بعض المصالح وفي حين آخر تضر مصالح أخرى فأفراد الذين تتم التغيرات على حسابهم من فئة ممثلي البيروسترويكا، ولهذا يتحدد مدى تفاؤل البيروسترويكا ومصيرها بمدى تحقق المصالح التي هي في أصلها متباينة ومتناقضة بين الشرائح الاجتماعية[4]. ولأول مرة نقلت التلفزة السوفيتية في 06 أوت 1987م جلسة برلمانية أقر فيها وزير صناعة الفحم إلى أن قطاعه يشهد تأخرا بسبب عدم تنفيذ الخطة الخماسية

وتأخر تكنولوجية تحديث القطاع[5].

لذلك فشلت سياسة الإصلاح التي انتهجها غورباتشوف بإعطاء استقلال أكبر للقطاع الخاص، وتشجيع المبادرة الفردية وتحقيق الإصلاح الزراعي ومحاولة نشر الديمقراطية بالبلاد

[1] بيار ميكال، المرجع السابق، ص 579.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص312.

[3] مجموعة باحثين، المرجع نفسه، ص51.

[4] مجموعة باحثين، المرجع السابق، ص ص 52،51.

[5] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص 129.



وإلغاء دور الحزب الحاكم لكن ذلك كله لم يوقف الانهيار، احد أهم التجارب السياسية في العالم بعد الثورة الفرنسية1789م[1].

و"تسبب عن هذه السياسة خلل كبير في التوازن بين القوة العسكرية للدولة وقدرتها، حيث أن القوة العسكرية تساوي حجم القوات المسلحة+نوعيتها+كفاءتها القتالية+العزيمة في استخدامها إذا تطلب الأمر ذلك +كفاءة وقدرة القيادة...أما قدرة الدولة فهي تساوي القوة الاقتصادية+القوة الحربية+القوة السياسية+ القوة التكنولوجية+القوة الروحية أي أن قدرة الدول تساوي مجموع قواها في مختلف المجالات"[2]

ويقول "أرنست ماندل": "قد تكون البيروسترويكا بمثابة الإجابة على الأزمة الاقتصادية، كما أن الغلاسنوست محاولة تبذل في سبيل تخطي الأزمة السياسية، لكننا لا نجد حتى الآن أية محاولة من أجل بلورة إجابة متكاملة على الأزمة الأيديولوجية الأخلاقية التي تعصف بالاتحاد السوفييتي أما البرهان الساطع على ذلك فيتجلى في عجز جماعة "غورباتشوف" عن المضي في عملية تصفية الستالينية حتى نهايتها"[3].

وفي تقييم السياسة الإصلاحية حيث يقول: "لكن المشكلة أن محاولة الإصلاح جاءت متأخرة، وبقرار سياسي يريد أن يحقق كل شيء في وقت سريع، في الوقت الذي لم يكن فيه المجتمع ولا الدولة مهيأين لمثل هذه التغيرات، فكانت النتيجة فراغ بين مرحلتين: إحداهما تحتضر، والأخرى في عالم الغيب...ولقد وجد "غورباتشوف" نفسه في متاهة، أو بين خيارات كان أحلاها مرا فلم يجد أمامه إلا أن يغامر بل يقامر"[4].

المبحث الثالث:السياسة الخارجية الإصلاحية:

أما القسم الثاني من البرنامج الإصلاحي قد لمس العلاقات الدبلوماسية والسياسة الخارجية التي تغيرت وفق معطيات وأسس حددها "غورباتشوف" تجاه العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي وحتى العالم الثالث في إطار الحرب الباردة.

---

[1] عبد التواب أحمد سعيد، المرجع السابق، ص 175.

[2] أمين هويدي، المرجع السابق، ص58.

[3] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص240.

[4] تركي الحمد، المرجع السابق، ص 108.

المطلب الأول: تعريف السياسة الخارجية الإصلاحية.

هناك ترابط وثيق ما بين التوجه الداخلي، والوجه الخارجي للظاهرة السياسية في عمومياتها وكلياتها، ما يبين أن هناك تنظيرا إيديولوجيا أساسيا في المنظومة الفكرية الماركسية، وكذلك "أن البنية السياسية الداخلية هي القاعدة الإرتكازية للسياسة الخارجية التي هي البنية الفوقية العليا النابعة من البنية التحتية، ومن ثم فإن أي تطور يلحق بالبنية الفوقية لا بد وأن يكون مصدره الحقيقي هو التغييرات الموضوعية والنوعية في البنية التحتية"، ويعكس الواقع السياسي للاتحاد السوفييتي في ظل قيادة "غورباتشوف" هذا التفاعل العضوي[1]. لذلك نجد أن القادة السوفييت عندما أحدثوا تغيرات على المستوى الداخلي كانت الأحداث والمجريات على الصعيد الدولي بالنسبة للسوفييت تتطلب التراجع والتغير ." وقد بدأ الانفتاح على الغرب والتفاهم معهم في فترة مبكرة على مستوى عال خاصة بعد وفاة ستالين...والذي كان من شروط استمراره تنازل السوفييت وتراجعهم عن كثير من توجهاتهم السياسية والفكرية داخليا وخارجيا"[2].

ولقد كان أمام الرئيس السوفييتي في توجه سياسته الخارجية تجاه الغرب أو العالم الثالث أو غيرهما من أقطاب العالم ثلاث توجهات فكرية سادت أعضاء المكتب السياسي وهي: **1/أصحاب النهج الدولي الاعتدالي:** برئاسة"بريجنيف"، و"كوسيجين"، و"غروميكو" ويتخذون موقفا تهادنيا مع الغرب الرأسمالي وتعتمد سياستهم الخارجية على مواجهة الأزمة الاقتصادية الداخلية عن طريق إقامة علاقات واسعة اقتصادية مع الغرب واستيراد التكنولوجيا الغربية وكذا الاتفاق مع القطب الأمريكي على حدود توازن تناسبية في إطار التسابق على التسلح بين المعسكرين المتصارعين، بينما يحظى التوازن بين المعسكرين في العالم الثالث بمكانة أقل أهمية ضمن أولويات السياسية الخارجية السوفييتية.

2/ المنهج اللينيني الدولي: ويعبر عنه كل من "ميخائيل سوسلوق"، و"فلاديمير شيريتسكي" و" فيكتور جريش" و"ديمتري أوستينوف"، وقد اتخذ هؤلاء من كتاب " لينين" منطلقا لهم الذي يتمحور حول "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية ويرتكز على الرسالة العالمية الإنسانية الشاملة للسوفييت فصراع التحرر الوطني لدحض القوة الرأسمالية من دول العالم الثالث هو الأداة الأساسية لإنجاح السياسة الخارجية، لذلك بادرت موسكو بتقديم الدعم المادي والعسكري لتلك

[1] نازلي معوض أحمد،المرجع السابق، ص80.

[2]أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1643.



البلدان وهذا الاتجاه يعتنق فكرة الأهمية المطلقة للقوة العسكرية السوفييتية المتفوقة فيما يعتبرون أن حوار الحد من التسلح بين المعسكرين لتطويق القوة الأمريكية في نفس المجال، أما فيما يتعلق بأوروبا الغربية واليابان فهم يرون في حراك الأحزاب الشيوعية هناك.منهجا للتدخل عن طريق الضغط على الحكومات البرجوازية من الداخل.[1]

3/ المنهج القومي المتطرف: يتزعمه "يوري أندروبوف"، و"جريجوري رومانوف" (Romanov Koegori)، و"أندريه جرتيشكو" (Andrey Gretchko)، و" قسطنطين تشيرنينكو" وهم معروفون بعدم الثقة المطلقة بالعالم الرأسمالي وبقدر من الانعزالية مع رفض التورط بالعالم الثالث رغم الدور الذي يؤديه اتجاه الإمبريالية والمتمثل في حركة عدم الانحياز كأداة ضغط فعالة. ويتضح أن أنصار التوجه الدولي الإعتدالي والتوجه اللينيني يجمعان على أهمية الوفاق مع الخصم الأمريكي ويختلف معهم أصحاب الرؤية القومية فهم لا يرون جدوى من الوفاق سوءا على المستوى السياسي أو الاقتصادي، إذ يعتبرون القوة العسكرية السوفييتية[2]

هي الضمانة الفعالة لتحقيق أية تطلعات للتفوق الدولي أو لتحقيق أية طموحات إصلاحية داخلية[3]. وقد قام "غورباتشوف" في تقريره أمام المؤتمر السابع والعشرون للحزب في مارس 1986م على "أن استمرارية السياسة الخارجية لا تعني في شيء التكرار التبسيطي المخل لما حدث في السابق وبصفة خاصة في أساليب الاقتراب من المشاكل المتراكمة"[4]، ورغم أنه كان أمام الرئيس الجديد بداية من 1985م خياران فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، إما بالتقارب من الصين الشعبية ما يغير موازين القوى بأوروبا وآسيا، وإما باستخدام القوة ضد أي قوى اجتماعية سوفيتية بدأت تتحرك ضد النظام بعدما اختل التوازن الدولي لصالح الغرب الليبرالي بداية من 1983 م[5]. غير أن "غورباتشوف" قد غير أسلوب العلاقات الخارجية بقوله: "وقد تعلم الكريملين أخيرا أساليب العلاقات الدولية، وهذا سيؤدي إلى تحسين الصورة السوفييتية وخلق مشاكل أمام الإستراتيجية الأمريكية" وبالتالي تخلص من الهواجس التي سيطرت على الغرب فيما يتعلق بأن الشرق السوفييتي قوة معادية تريد السيطرة على العالم "وأن الغرب قد استثمر كثيرا صورة الحرب

[1] نازلي معوض أحمد، المرجع السابق، ص80.

[2] نازلي معوض أحمد، المرجع نفسه، ص ص81،80

[3] نازلي معوض أحمد، المرجع نفسه، ص ص81،80.

[4] طه عبد العظيم طه، المرجع السابق، ص82.

[5] عبد التواب أحمد سعيد، المرجع السابق، ص ص175 ،176.

الباردة كصدام بين عملاقين لا يمكن التفاهم بينهما وقد سيطرت هذه الفكرة على السياسيين الأمريكيين منذ "جوزيف

ماكارثي" إن لم يكن من قبل...إن "غورباتشوف" قد أتاح الفرصة أمام الغرب لإعادة النظر في صورة المواجهة بين الشرق و الغرب"[1].

مقترحات غورباتشوف حول نزع السلاح:

لقد"...قام الزعيم السوفييتي "ميخائيل غورباتشوف" فور توليه الحكم بتقديم مجموعة كاملة من مقترحات نزع السلاح أدهشت الغرب وأثارت لديه ردود فعل مختلفة..."[2].وأقدم الرئيس الجديد من جانبه على إيقاف التجارب النووية في صيف 1985 م في فترة محدودة من الزمن تحت عنوان "الموراتوريوم"، فقد علق كل التجارب حول الأسلحة المضادة للأقمار الاصطناعية لتوفير مناخ جيد لقمة جنيف ورغم ما بادر به "غورباتشوف" إلا أن الأمريكيين لم يوقفوا برامجهم الدفاعية الإستراتيجية الممثلة في حرب النجوم وتواصلت بابتزاز نووي يهدد بإلغاء اتفاقية سالت الثانية وإرسال سفنها الحربية تجاه المياه الإقليمية السوفيتية[3].

أما المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي فقد تطرق في انشغالاته لضرورة إعادة إحياء مجال التعاون الدولي بكافة أشكاله ولصالح جميع الدول باختلاف أنظمتها الاجتماعية يكون إلا في إطار تطبيق برنامج خاص لتخفيض نسب التسلح النووي على مراحل سنة 2000 حتى يدرأ على البشرية جمعاء خطر الزوال، وقد أشار إلى أن التوجه لهذه المبادرة ينبع أساسا من رفض الاشتراكية للحروب كوسيلة لحل التناقضات السياسية والاقتصادية وأن موسكو لن ترضى بأمن أقل ولا تطمح بأمن أكبر، فيما حدد المؤتمر السابع والعشرين البعد العسكري المتمثل في امتناع الدول النووية عن محاربة بعضها البعض أو محاربة دولة أخرى سوءا باستخدام السلاح النووي أو السلاح التقليدي، وذلك في إطار إنشاء نظام شامل للأمن الدولي [4]. وعدم السماح بنقل السباق التسليحي إلى القضاء على هذه الأسلحة وخطر إنتاج

---

[1] روبرت ج كايرز، المرجع السابق ،ص ص273،274.

[2] سيجورد بويسين، مقترحات غورباتشوف لنزع السلاح، مجلة السياسة الدولية، ع90، مركز الأهرام، القاهرة مصر،1987، ص 227.

[3] علي صبح، المرجع السابق، ص202.

[4] بلال عبد الموجود، المرجع السابق، ص227.

الأسلحة الكيمائية وتدميرها والتوقف عن إنتاج أسلحة جديدة ذات التدمير الجماعي، كما أنه دعاإلى التقليص الحاد تحت المراقبة المشددة بمستوى القدرات العسكرية[1].وقد قسم "غورباتشوف" مقترحاته إلى الأقسام الآتية:

- تخفيض الأسلحة النووية و الصواريخ متوسطة المدى.
- الإلغاء الكامل لجميع الأسلحة النووية لغاية سنة 2000م[2].
- فرض الحظر على البحوث المتعلقة بتطوير أو نشر أسلحة الفضاء الهجومية.
- الحظر الشامل على التجارب النووية.
- الحد من الأسلحة التقليدية في أوروبا.[3]

- المطالبة بحل جميع التكتلات و المعاهدات ذات البعد العسكري و التوقف عن توسيعها أو إنشاء أحلاف جديدة.
- تقليص الميزانيات العسكرية[4].

ويهدف "غورباتشوف" من خلال هذه المبادرة إلى:" استمرارية سياسة نزع السلاح السوفييتية فمثلا نظرية تصنيف الأسلحة و عدها كما هو الحال في الصواريخ ذات متوسطة المدى و تهدف أساسا إلى نقض قرار حلف الأطلنطي بنشر الصواريخ على الأراضي الأوروبية...المحافظة على تفوق حلف وارسو في هذا المجال...المطالبة بإلغاء مبادرة الدفاع الإستراتيجية التي تخفي ورائها رغبة الاتحاد السوفييتي في المحافظة على قدراته الدفاعية والنووية وعدم السماح بتقليصها من خلال أي نظام دفاعي".وأعطى "غورباتشوف" لموضوع نزع السلاح أولوية في فتح المحادثات مع الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية ما جعل هذه القضايا محورا أساسيا في العلاقات بين الشرق والغرب، وهدف أيضا من ذلك الموضوع تخفيض الأسلحة الإستراتيجية بنسبة 30%إلى استمرار التفوق السوفييتي في الصواريخ العابرة

[1] أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1634.

[2] سيجورد بويسين، المرجع السابق، ص274.

[3] سيجورد بويسين، المرجع نفسه، ص274.

[4] أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1634.

للقارات مقابل إضعاف التفوق التكنولوجي للولايات المتحدة الأمريكية في صواريخ كروز وزعزعة الأمن في أوروبا الغربية بعد التحالف مع الأمريكان ما يضع في موقف استراتيجي محرج بعد ربط نتائج المفاوضات بمسألة نزع السلاح، أما خفض الصواريخ على القدرة العسكرية الهجومية للإتحاد السوفييتي...وحتى إذ أثبت استحالة إزالة جميع الأسلحة الأمريكية ذات المدى المتوسط، فسيتم على الأقل إلغاء "البر شنج 6" والصواريخ القاذفة ذات المدى المتوسط في المستقبل[1].

وأعلن "غورباتشوف" أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 07 نوفمبر 1988 م عن أن بلاده قلصت حجم القوات المسلحة بمقدار نصف مليون جندي أي 10% من إجمالي القوات المسلحة ويشمل التقليص أيضا المعدات العسكرية بواقع عشرة آلاف (10000) دبابة، وخمسة عشرة ألف (15000) وحدة مدفعية وثمانين (80) طائرة مقاتلة "وأعلن أيضا عن تخفيض ميزانية الدفاع بمقدار 14,2% وميزانية الصناعة العسكرية بمقدار 19,5%، فيما فتح المجال للمفتشين و[2] المراقبين العسكريين المبعوثين من طرف حلف الناتو لمراقبة المناورات العسكرية التي يجريها حلف وارسو و هو أمر لم يسبق له مثيل في تاريخ الحلف[3].

"لقد كانت من أشد المبادرات التي اتخذها "ميخائيل غورباتشوف" تأثيرا في العالم ...تكللت عموما بنجاح، إذ وضعت حلف الشمال الأطلسي أمام تحدي يتعلق بتطبيق خياره الخاص المسمى الخيار الصفر المزدوج، أي إلغاء الصواريخ النووية متوسطة المدى وقصيرة المدى..."، و رغم ما حققته من نجاحات إلا أنها جعلت "غورباتشوف" يبادر بنزع السلاح ويقدم تنازلات رغم إصرار "ريغان" على موقفه في العديد من الجوانب خاصة الأسلحة الإستراتيجية و التجارب النووية، ما جعل "غورباتشوف" في موقف ضعف ما فتح قضايا هو في غنى عنها في إطار الحرب الباردة[4].

المطلب الثاني: مؤتمرات القمة السوفيتية الأمريكية

1/ التقارب السوفييتي –الأمريكي:

[1] محمد موسى آل الطويرش، المرجع السابق، ص ص251،250.

[2] أرنست ماندل، المرجع السابق، ص178.

[3] محمد موسى آل الطويرش، المرجع السابق، ص 251.

[4]أرنست ماندل، المرجع السابق، ص178.

ورغم أنه ظل الحذر مخيما على الأجواء في الوزارة الخارجية الأمريكية فيما يتعلق بالمسئولين الجدد إلا أن الرئيس " رونالد ريغان" اتصل بـ"جورج شولتز" ليقول له: بأنه يجده "أقل عدائية، وأكثر ذكاء من غروميكو"[1] و يقول أيضا "حلمت بدءا من عهد بريجنيف بمسيري مع الزعيم السوفييتي شخصيا لاعتقادي بقدرتنا على إنجاز ما عجز عنه دبلوماسيونا لافتقارهم للصلاحية. أي شعرت بأنه لو تفاوض الزعماء في قمة و خرجا يدا بيد قائلين: اتفقنا على هذا الأمر...ولم تسمح لي فرصة لتجربة فكرتي حتى لقيت "غورباتشوف"، وها أنا اليوم قد حظيت بفرصتي..."[2].

إلا أن الاتصال بين الرئيسين السوفييتي والأمريكي لم يلق مزيدا من الاهتمام على صعيد العلاقات الدولية لأن "غورباتشوف" احتج ضمن مقترحاته حول نزع السلاح على برنامج الدفاع الإستراتيجي، إذ أكد أنه" لن يحل مشكلة انتشار السلاح النووي بل سيزيدها تفاقما" عندما طالب بإنهاء التجارب النووية وتجميد ترسانة الأسلحة النووية و منع تطوير برامجها وما زاد الأمر تفاقما هو إعلان المركب الصناعي العسكري الأمريكي عن أنه على وشك إنتاج صواريخ متعرضة، وأنه على السوفييت أن لا يقفوا في وجه طموحهم. وأكد "ريغان" في مذكراته سنة 1985م على الخلاف بين وزارتي الخارجية للبلدين سيحول دون أية تسوية بين الطرفين.أما "غورباتشوف" جهته وأثناء المؤتمر السابع والعشرين فقد أكد على عزمه فيما يتعلق بأمن العالم من خطر السلاح النووي بقوله: "إن الاتحاد السوفييتي عاقد على العزم على تبرير أماني شعبي بلدينا، وجميع شعوب العالم، التي تنتظر من قادة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية خطوات عملية محددة واتفاقيات واقعية ترمي إلى محاصرة سباق التسلح". ويوجز "غورباتشوف" موقفه هذا في الجملة الآتية: "نعيش نحن والولايات المتحدة على كوكب واحد دون مشاركتها لن يكون بمقدارنا صياغة السلام على الأرض"[3]. فيدعو الولايات المتحدة الأمريكية للتعايش السلمي وهو كذلك يعترف بقوتها ومكانتها وتأثيرها في العالم لأن الإتحاد السوفييتي بدونها لا يستطيع تحقيق مبادراته. وتتجدد أحلام الرئيس الأمريكي "ريغان" على تغيير أحد المؤرخين بقوله: " دارت أحد خيالات رونالد ريغان حول رغبته باصطحاب ميخائيل "غورباتشوف" في جولة الولايات المتحدة الأمريكية ليرى الزعيم السوفييتي كيف يعيش الأمريكيون

---

[1] بيار ميكال، المرجع السابق، ص567.

[2]هنري كسنجر، المرجع السابق، ص472.

[3]أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1634.

الإعتياديون...فتصور طيرانه مع "غورباتشوف" لمروحية فوق مجتمع الطبقة العاملة، مشاهدين مصنعا امتلأ مآربه بالسيارات..."[1]؛ هذا ما يوضح أن "ريغان" يريد أن يبين أن المجتمع الرأسمالي يعيش في رفاهية وديمقراطية ما يبين المغالطة التي يتبعها السوفييت من الاشتراكية وكذا يتضح أن مجال التحاور لم يكن فقط في مجال التسلح بل أخذ أبعادا أخرى.

2/مؤتمرات القمة ما بين 1985– 1988 م:

من "المفارقات التاريخية أن الرئيس الأمريكي الذي شن أعنف هجوم على الاتحاد السوفييتي ووصفه بأنه إمبراطورية الشر، ونصح من يريد التعامل مع قادته أن يفعل ذلك على أساس أنهم قوم لا يتورعون عن الكذب، والخداع، والغش في سبيل تحقيق أهدافهم، هذا الرئيس الأمريكي هو الذي سيعقد مع الاتحاد السوفييتي وقيادته الجديدة أربع مؤتمرات قمة

واتفاقية أساسية حول خفض التسلح..."[2].

أ–مؤتمر قمة جنيف 19–21 نوفمبر 1985 م

وثقت قمة جنيف علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالاتحاد السوفييتي، فقد كانت عبارة عن جلسات تعارف وحسنت بقدر كبير من أجواء العلاقة السوفييتية بالولايات المتحدة الأمريكية[3]، إلا أن الإرهاصات قبل اللقاء لم تظهر ملامح النجاح مع اقتراب عقدها، فالمواقف كانت متباعدة ويكتنفها الاختلاف حول البرنامج الأمريكي للصواريخ الدفاعية، وكان الموقف السوفيتي منه ومن علاقته بالأسلحة الهجومية مازال عندما عبر عنه "غروميكو" حين تم الاتفاق على استئناف المفاوضات في جنيف لذلك لم يكن متصورا في الساعات أو الأيام القليلة التي سيلقى فيها الزعيم اجتياز هذه العقبة".إلا أن أحداث القمة أثمرت دفعة معنوية للمحادثات، وفي هذا الصدد جاء البيان المشترك بـ: "أن الرئيس والسكرتير العام قد ناقشا المفاوضات حول الأسلحة النووية وأسلحة الفضاء، واتفقا على زيادة العمل في هذه المفاوضات" وقد كان الطرفان على أتم الاستعداد لخفض الأسلحة الهجومية بنسبة 50%"[4].

---

[1]السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص63.

[2]لسيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد المرجع نفسه ، ص63.

[3]روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص155.

[4]السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص63.

وفي تقييم "غورباتشوف" لهذه المحادثات نراه يقول: "في 15 كانون الثاني 1986م، تقدمنا ببرنامج لتصفية الأسلحة النووية على مراحل تمتد لمدة خمسة عشر عاما، وتنتهي بنهاية القرن الحالي...وسعينا في كل مرحلة إلى مراعاة المصالح المتبادلة المتوازنة، بغية عدم الإخلال في أية مرحلة بالمصالح الأمنية لأي بلد... تقديم ممثلونا في مباحثات جنيف بطائفة واسعة من مقترحات الحلول الوسط، وتطرقت... الحيلولة دون عسكرة الفضاء"[1].

ب- قمة ريكيافيك 10-12 ديسمبر 1986:

عقد هذا الاجتماع بعدما "التقى الرئيسان الأمريكي رونالد ريغان والسوفييتي "ميخائيل غورباتشوف" لمدة أحد عشرة(11) ساعة في ريكيافيك"[2]، وقد وقعت هذه القمة رغم اعتقاد المراقبون لمسار المفاوضات على أن القمة الموالية لجنيف أبعد خطوة منها وإعطاء نتائج ملموسة أكثر فيما يخص خفض السلاح ويبدو أن هذا التوقع لم يتحقق، وحتى أن قمة جنيف هي أيضا لم تحقق نتيجة ملموسة حول التسلح ما يسمح بتحقيق اجتماع قمة يصدر عنها شيء إيجابي، وقد وقع ما لم يكن في الحسبان، فقد أعاقت بعض المستجدات الخاصة بالسياسة السلمية الحوارات، إلا أنه تم اجتماع بعد الاتفاق في مدينة ريكيافيك عاصمة أيسلندة وما جاء مناقشته بإضافة لما طرح في جنيف فقد ركز المؤتمر على خفض السلاح والذي أخذ الوقت الكامل المخصص للمحادثات، وفي هذا المجال حدد وزير الخارجية الأمريكي نطاق المناقشات في:

1/إجراء بناء الثقة.

2/ مركز التقليل من الأخطار النووية.

3/ الإمكانات القائمة في مجال منع الانتشار النووي.

4/ الأسلحة الكيميائية[3].

---

[1]أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي،المرجع السابق،ص1634.

[2]محمد بوذنية،المرجع السابق،ص263.

[3]السيد أمين شلبي،من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد،المرجع السابق،ص 69،68.

و"كان الزعماء على وشك اتخاذ قرار بالخلاص من جميع الأسلحة الإستراتيجية لكن في نهاية المطاف، أدى إصرار ريغان على مواصلة مبادرة الدفاع الإستراتيجي إلى سحب الزعيم الروسي عروضه المبهرة من طاولة التفاوض...تخلى "غورباتشوف" عن إصراره...ومضى لقبول الخيار صفر الذي قدمه المفاوضون الأمريكان في عام 1981..."[1]، ومما توصل إليه الطرفان في النهاية يمكن حصره في النقاط الآتية:

– خرج الطرفان بإمكانية التوصل إلى عقد اتفاقيات مضاعفة مهمة لخفض أسلحتهم الإستراتيجية إلى النصف.

–سحب صواريخها متوسطة المدى من أوروبا؛ صواريخ "S S 20" السوفييتية وصواريخ "برشينج" و"كروز" الأمريكية، فيما يخفض السوفييت صواريخه متوسطة المدى المنصوبة بالشرق الأقصى من أربع مائة(400)صاروخ إلى مائة(100) صاروخ وفي نفس الوقت

أعطت الولايات المتحدة الأمريكية الحق في نشر صواريخ متوسطة المدى بنفس المنطقة.

– وإن كان لم يمكن الإنفاق حول الصواريخ قصيرة المدى ويعود بسبب تقدم هذا المسار إلى إعادة الطرف السوفييتي النظر في مواقفه السابقة لأن موضوع تخفيض الأسلحة شمل أيضا طراز"S S 18" طويلة المدى الدقيقة وتحمل عشر رؤوس نووية بالإضافة إلى أنها جوهر القوة السوفييتية النووية وأيضا تنازل عن مطلبه فيما يتعلق بتمسكه بالصواريخ متوسطة المدى في أوروبا من ضرورة احتساب الصواريخ النووية الفرنسية البريطانية في ميزان الصواريخ متوسطة المدى في أوروبا، حيث قبل بمبدأ وإجراءات التفتيش على المواقع "وهو المبدأ الذي كان يرفض مناقشته خلال كل مراحل المفاوضات الحد من التسلح منذ أن بدأت في الخمسينات من القرن20م وكان يعتبره محاولة لاختراق الاتحاد السوفيتي من الداخل والتجسس على المنشآت العسكرية السوفيتية"[2].

وقد شكلت قمة ريكيافيك سنة 1986م انتكاسة حقيقية لسياسة "غورباتشوف" كونه قدم العديد من التنازلات فقد تخلى على مبدأ المساواة في تخفيض الأسلحة النووية وتخلى عن التخفيض المتبادل للأسلحة البالستية والغواصات النووية ما بين الشرق والغرب، إلا أنه في عمومها عبارة

[1] روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص155.

[2]السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص 71.

عن مبادرة سميكة بادرها الطرف المفاوض السوفيتي، وأن نتائجها عقيمة لإصرار "ريغان" على مبادرة الدفاع الإستراتيجي[1]، كما أن الدبلوماسية السوفيتية كانت أكثر جرأة عن ذي قبل "ولكن سيظل الاتحاد السوفييتي دولة فقيرة متخلفة تكنولوجيا لن يستطيع أن يتحول إلى فاتح للعالم في وقت قريب، وهو التهديد الذي طالما خشيه الغرب"[2].

ج–قمة واشنطن: وهي "القمة الثالثة عقدت في واشنطن ديسمبر1987م أسفرت عن توقيع معاهدة إلغاء الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى والتوصل إلى صيغة توفيقية حول حرب النجوم"[3].

د– قمة موسكو: وفي ماي1988م كانت القمة الرابعة في موسكو، حيث كان توقيع الرئيس

على وضع اتفاقية إلغاء الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى [4]، وحقوق الإنسان وغيرها من المسائل المتعلقة بالمجال الإنساني، وتسوية النزاعات الإقليمية والعلاقات الثنائية بين البلدين[5].

وانطلقت أشغال القمة ما بين 29 ماي إلى 02 جوان 1988م، وقد بدأت على إثر وصول "ريغان" لموسكو، وتمت المحادثات على مراحل فقد جرت في الجولة الأولى على إنفراد بين الرئيسين وهي عبارة عن مباحثات تمهيدية طرحت فيها عدة قضايا مشتركة ثم جاءت توقيع القمة لمناقشة المواضيع المقررة في برنامجها. فوقعا اتفاقيتين يتعلقان بالأخطار والتجارب على الصواريخ العابرة للقارات وإجراء التجارب المشتركة الرامية إلى قياس قوة التجارب النووية[6].

المطلب الثالث: السياسة الخارجية اتجاه دول شرق أوروبا:

في ظل التطورات الجديدة أصبحت العلاقة بين الإتحاد السوفيتي ودول شرق أوروبا تتحكم فيها قاعدتين أساسيتين هما:

1/ قاعدة الحدود: بإمكانية إجراء تغييرات وإصلاحات داخل تلك الجمهوريات لعدة اعتبارات:

---

[1]أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1635.

[2] روبرت ج كايرز، المرجع السابق، ص 273.

[3]علي صبح، المرجع السابق، ص202.

[4]. علي صبح، المرجع نفسه، ص202.

[5]أحمد بن عبد الله لآل سرور الغامدي، المرجع السابق، ص1634.

[6]محمد بوذنية، المرجع السابق، ص356.



– أولها: انكشاف دول شرق أوروبا لافتراق غربي؛ يعتبر من أهم اعتبارات السياسة الخارجية السوفيتية لضعف الجمهوريات الديمقراطية أمام الافتراق الغربي، خاصة وأن القادة السوفييت على دراية بما يحدث على الصعيد الداخلي لتلك الجمهوريات وضمن الاتحاد على علاقة متينة مع سياسة الدول الغربية التي تحاول خلق الثغرات لزعزعة أمن هذه المنطقة، أي أن هذه المنطقة قد تؤدي دورا ايجابيا في حجر الانكشاف السوفيتي للتهديد الغربي فلها أيضا أن تضاعف من هذا الانكشاف إذا ما تمكنت القوى الغربية من تهديد أمنها؛ فانسحاب السوفييت من المنطقة احتمال غير وارد في التخطيط السوفييتي، وإلا أن الحد الفاصل بين الأمن والانكشاف ضعيف ويحتاج إلى سياسة حكيمة في ظل الاختبارات المحدودة المتاحة. ويختصر السوفييت الطريق لنهوض اقتصاديا بانقلاب تجاه دول الغرب واليابان خاصة لتوفير التقنية اللازمة من المستوى الاقتصادي في مجال الصادرات الصناعية بدل العمل بتوفير المعونات بعد استقطاعها من الاقتصاد الخاص، و"لقد كان الاتحاد السوفييتي كدولة كبرى يضحي دائما بالاعتبارات الاقتصادية كما سبق القول، في سبيل تحقيق مكاسب سياسية، إلا أن التغيير الذي حدث في الثمانينات هو ازدياد حجم هذه التضحيات نتيجة ازدياد اعتماد دول الكومنكون على الغرب"[1].

– ثانيهما: التهديد الغربي للاتحاد السوفييتي، وله بعدان الأول؛ إيديولوجي يتمثل في أن الجمهوريات الشعبية جزء من المنظومة الاشتراكية العالمية فأي خطر يعترضها يضر بالنظام الاشتراكي العالمي وأن التطور الإيديولوجي داخل أوروبا الشرقية وسعيها الحفيف لخلق نظام اشتراكي جديد يعد تحديا على السلطة الحزب الشيوعي السوفيتي الذي يحتكر "تفسير الشيوعية وتطويرها"أما الثاني؛ فهو أمني لأن الاتحاد محاصر من اليابان والصين والولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط كونها حلت محل أوروبا كمركز للصراع، وفي الآونة الأخيرة زاد القلق السوفييتي بعد محاولة اليابان تقوية نفوذ مركزها الاقتصادي المتحالف مع الأمريكيين[2].

– ثالثهما:دور السوفييت في منطقة شرق أوروبا؛ فيما يتعلق بالنمط السوفييتي في مواجهة الأزمات التي تواجه المنطقة، حيث أنهم يعملون على تعميق العلاقة مع هذه الدول بعد كل أزمة خاصة في الاقتصاد، وهذه الإستراتيجية تخدم الطرفين فالأنظمة الديمقراطية فاقدة للشرعية

[1] أماني محمود فهمي، المرجع السابق، ص 95.

[2] أماني محمود فهمي، المرجع نفسه، ص 95.

والتأييد الشعبي فهي تحتاج لمساعدة موسكو الاقتصادية وتحتاج أيضا لحمايتها أما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فهو بذلك يكسب حليفا معادي للمجتمع الدولي الرأسمالي والمعادي للشيوعية ، وفي إصلاحات "غورباتشوف" وسياسته الخارجية فقد عمل على تقسيم الاستجابة بين العمل والإنتاج، وكذلك يكمن دوره من جهة ثانية في منظمة الكوميكون، فقد بدأ بالدعوة لتقاسم العمل بين الأعضاء منذ السبعينات في المجال الاقتصادي وكذا نفذ عدة مشروعات استثمارية بين أعضائها روج لها السوفييت، إلا أن الدول الأعضاء تعتقد بأن موسكو تستغل مواردها واقتصادياتها ويصل الأمر تحميل موسكو مسؤولية فشل حكوماتها، ما يحول دون تحقيق ترابط بين دول الكتلة الشرقية. فيما يرى البعض الآخر أن الاتحاد عاجز عن تحقيق الترابط بين دول المنظمة وبين تحقيق النمو السياسي في دول شرق أوروبا "فالتماسك والترابط يستلزم توحيد السياسة الداخلية والخارجية والتقاء التوجه الإيديولوجي، أما النمو السياسي فيعتمد أولا على بنية اقتصادية سلمية تهب الحكم الشيوعي شرعيته ومن الصعب إيجاد نقطة للالتقاء بين هذين الهدفين، حيث أن توحيد أو تجميد المناهج والسياسات يتعارض مع المرونة اللازمة لمواجهة التحديات المختلفة التي تواجهها دول أوروبا الشرقية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا[1].

2/ قاعدة التشابك بين الإصلاح والنزعة القومية:وذلك يعني قبول وانفتاح هذه الدول على الإصلاحات الجديدة من رفضها وهذا من جهة؛ إذ اختلفت درجة التعاطف مع الإصلاحات، وتباينت إلى حد بعيد وبشكل يعكس مدى سيطرة الحزب على كل دولة منها[2]، فالرئيس المصلح يتطلع إلى مساندة وتأييد حلفاءه من دول أوروبا الشرقية سواء بالنسبة للإصلاحات الداخلية أو فيما يتعلق بالتحديثات للسلوك السياسي على المستوى الدولي، لذلك وافق وزراء الخارجية لأعضاء دول حلف وارسو بداية من 26 مارس1987م على أن بعد المناقشات للتغييرات الداخلية في دول أوروبا الشرقية من شأنها أن ترفع من المستوى ما يواكب الصعيد العالمي .أما "غورباتشوف" من جهته فقد أظهر حكمة سياسية بتوثيق العلاقات الدبلوماسية من خلال زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكيا في أفريل من 1987م، حيث[3] أعلن" أن موسكو لن تفرض سياستها الإصلاحية على الدول الاشتراكية الأخرى مؤكدا أن لكل نظام شخصيته المتميزة وظروفه الخاصة"، وقد كان لاختيار براغ معنى أنه لم يعد بحاجة لإتباع مبدأ "بريجنيف" التقليدي* هو

---

[1] أماني محمود فهمي، المرجع السابق، ص 96.

[2]أماني محمود فهمي، المرجع نفسه، ص 96.

[3] طه عبد العظيم طه، المرجع السابق، ص86.

يستند إلى اعتبارين أولهما: "أن تشيكوسلوفاكيا منذ الضربة السوفيتية الإجهاضية للحركة الإصلاحية بزعامة "ألكسندر دو بتشيك" (Aleksander Doubtchik) عام 1968م، تعتبر أكثر دول الكتلة ... صرامة وأرثوذكسية في الممارسة الماركسية...تشكل ركيزة للمقاومة الإيديولوجية الخارجية لإصلاحات "غورباتشوف" فقد تكون هذه الدولة نقطة انطلاق لتعم المقاومة في باقي الدول، ويرجع أيضا اهتمام "غورباتشوف" بها إلى أنها أكبر الدول الصناعية في شرق أوروبا ما يؤهلها بأن تكون قاعدة أساسية للتطور الاقتصادي والذي يمثل جوهر الإصلاحات الإنمائية لدى "غورباتشوف"، فقد عمل من أجل ذلك على تحييد النظام بها حتى يستقر النظام[1]، ومن جهة ثانية فإن المنطقة تواجهها مجموعة من التحديات وأول ما يواجهها باستثناء ألمانيا الديمقراطية المشكلات الاقتصادية التي تتطلب قدرا كبيرا من التأقلم وإعادة الصياغة لاقتصاديات البلاد والقواعد التي تحكمها فقد زادت ديون أعضاء الكوميكون بدون استثناء من 3،97 بليون دولار بنهاية 1980م إلى 5،115 بليون دولار مع 1986م، فهي بالإضافة لهذا تواجه تحديات تتعلق بأجيال الزعامات فيها التي تعدى سنها السبعين عاما فقد برز هذا العنصر بعد صعود "غورباتشوف" للسلطة رغم صغر سنه، فلم يعد مجرد فارق سن وإنما تعدى إلى مدى القدرة النسبية على استيعاب عناصر ومتطلبات التفكير الجديد والتجهيز لإعادة هيكلة المفاهيم التقليدية في النظرية والتطبيق، كذلك تواجه المنطقة في ظل الإصلاحات تحديات متعلقة بتصاعد توتر النزعة القومية والأقليات العرقية داخل الدول وفيما بينها، فظهر بين المجر ورومانيا ومحاولة بلغاريا استيعاب الأقلية التركية من جهة وخلافها مع يوغسلافيا من جهة ثانية حول المكسب الإقليمي الممثل في إقليم مقدونيا، فظهر أيضا نزاع عرقي في يوغسلافيا بإقليم كوسوفو[2]،

وكانت هنغاريا أول بلد في أوروبا الشرقية يعلن قيام دولة متعددة الأحزاب في 1988م، فكانت بدايتها مقاومة اعتراضية من طرف النخب الشيوعية بألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا، لكن الاتحاد السوفييتي امتنع عن تأييد غير الأحزاب الشيوعية اللاشعبية[3]، و"ما إن جرت

[1] طه عبد العظيم طه، المرجع السابق، ص86.

*يتمثل مضمونه في إعطاء الصلاحية الكاملة للزعامة في تصحيح المسار الاشتراكي لأي دولة ضمن المعسكر الشرقي ما يعطي لها الحق في التدخل في الشؤون الداخلية وتغيير المسار ضمن الدول (أنظر:طه عبد العظيم طه، المرجع نفسه، ص86.)

[2] السيد أمين شلبي، محاولات التجديد ومستقبل الأوضاع في أوروبا الشرقية، المرجع السابق، ص38،39.

[3] رسمية محمد، المرجع السابق، ص109.

انتخابات حرة وبإشراف دولي وفي ظل إصلاح دستوري حتى حكم على احتكار الحزب الشيوعي بالزوال ووقف الحزب يواجه الهزيمة في غالبية المناطق... فإن إعادة الهيكلة السياسة الخارجية السوفيتية اتجاه دول شرق أوروبا لم تؤد إلى تفعيل الهياكل التنظيمية القائمة بين هذه الدول وموسكو وتجاوز دولها لأزماتها الاقتصادية والسياسية، وإنما أدت لانسلاخ هذه البلدان عن العلاقة بموسكو وتحللها من كافة التزاماتها تجاهها وتحركها نحو المزيد من الليبرالية السياسية والاندفاع نحو الغرب.[1]

المطلب الرابع: السياسة الخارجية اتجاه العالم الثالث والصين.

يفسر بعض المحللين الموقع السوفيتي أثناء الإصلاحات اتجاه دول العالم الثالث بما يعرف "انحسار ما بعد أفغانستان"بما يوازي"انحسار ما بعد فتنام"، في تطور السياسة الأمريكية مابين الستينات والسبعينات وذلك يعني إخفاق الدولة العظمى في تدخل في قضية ما من قضايا العالم الثالث؛ فالتدخل يؤدي إما التورط في مبادرات أو أنشطة فعالة تفاديا لمخاطر الناتجة من ذلك التدخل. إن ذلك نوع من التراجع التكتكي المؤقت لظروف معينة حتى وإن لم يعطي تغير في السياسة الخارجية،.لذلك نجد أن "غورباتشوف" قد ركز على هدف الإصلاح الاقتصادي الداخلي والذي يعطي بعدا تراجعيا في قضايا العالم الثالث، فأصبحت الإستراتيجية السوفيتية تقسم ما بين" العملية البراغماتية" وبين" المرونة الإيديولوجية"، حيث أنه على سبيل المثال تم قبول السوفييت التقارب بين الموزنبيق ودولة جنوب افريقيا ثم التحفظ المحتشم في تناول قضية نيكارجو[2].

وتواجه بلدان العالم الثالث مجموعة من التحديات؛ فهي تعاني من الديون وعاجزة عن تسديدها في ظل الأوضاع الحالية فيعبر "غورباتشوف" عن ذلك بقوله:"لقد تحول دين البلدان النامية إلى قنبلة موقوتة من نوع ردئ، ويمكن أن يكون للانفجار نتائج تبعث على اليأس...ديون البلدان النامية واحدة من أخطر المشاكل في العالم... وهناك حاجة إلى القيام بجهود واسعة إذا ما أردنا اجراء تغييرات حقيقية وإقامة نظام اقتصادي عالمي...وتتطلب إعادة بناء العلاقات الدولية وضع مصالح جميع البلدان في الاعتبار كما تتطلب توازنا في المصالح". كما أن المنطقة تواجهها نزاعات إقليمية بسبب الوضع الرهيب في بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا

---

[1] رسمية محمد،المرجع نفسه، ص109.

[2] طه عبد العظيم طه، المرجع السابق، ص ص87، 88.

اللاتينية، ويقول "غورباتشوف":" إن الأزمات والنزاعات تربة صالحة للإرهاب الدولي، ويعرض الاتحاد السوفييتي للإرهاب من حيث المبدأ وهو على استعداد لأن يتعاون بنشاط مع الدول الأخرى لاجتثاث هذا الشر...في الشرق الأوسط، يوجد منذ سنوات عديدة نزاع بين إسرائيل وجيرنها...والشرق الأوسط عقدة مستعصية تتشابك فيها مصالح العديد من الدول...ونحن على قناعة بأن من المهم بالنسبة للشرق والغرب أن نحل هذه العقدة..."[1] وبعد اقرار سياسة اعادة البناء فإن حدثت تطورات جديدة اتجاه النزاعات الإقليمية تتلخص في" أن النزاعات الإقليمية ينبغي أن لا تستخدم في إثارة مواجهة بين القوتين الكبيرتين وكذلك أن السوفييت يعتمدون مبدءا أساسيا إزاء قضايا العالم الثالث ومشاكله .والقاضي بتسوية مختلف النزاعات ... بما فيها الصراع العربي الإسرائيلي عن طريق الوسائل السلمية..."[2]، وتميزت فترة حكم "غورباتشوف" تجاه دول العالم الثالث بـ:

1-تخلي الغورباتشوفيين عن جميع المبادئ والأسس التي كانت تحكم العلاقة بين السوفييت والعالم الثالث.

2- إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، حيث طلب "غورباتشوف" من "ياسر عرفات" إعادة العلاقة مع إسرائيل بالطرق السلمية.

3-تغير لهجة الخطاب لدى الدبلوماسية السوفيتية، ووقوفهم بالجانب الصهيوني وغض النظر عن حقوق الشعب الفلسطيني[3]، إلا أن السوفييت حتى1985م لم يتخلوا عن مطامعهم في المحيط الهندي، حيث" تتبعوا عن كثب الحرب الأهلية المستمرة منذ 1986م في اليمن الجنوبية، وأقاموا بكر العطاس في الحكم مكان ناصر محمد الذي فر إلى اليمن الشمالية حيث وضعت المملكة العربية السعودية بتصرفه 20000 رجل من أجل استعادة اليمن الجنوبية"[4]، أما أفغانستان فقد كان "غورباتشوف" متشوقا لإنهاء ما صمم عليه سلفه، حيث أظهر مرونة أثناء محادثات جنيف للسلام بشأن التدخل السوفيتي بأفغانستان فقد تم الإعلان عن سحب ست مائة(600) جندي من أصل مائة وخمسة عشر ألف (115،000) جندي، إلا أنه في سنة

[1] غورباتشوف، البيروسترويكا تفكير جديد لبلادنا والعالم، المرجع السابق، ص 208، (بتصرف).

[2] رسمية محمد، المرجع السابق، ص113.

[3] بلخيرة محمد، المرجع السابق، ص198.

[4] بيار ميكال، المرجع السابق، ص571.

1986م يوم 20 سبتمبر تمكن رجال المقاومة من إسقاط ثمان (08) طائرات من نوع MI-24 بجلال لآباد، فيما ناقش أيضا الرئيسين السوفيتي والأمريكي الحرب العراقية الإيرانية وأعرب الطرف السوفيتي عن رغبته في إيجاد حل لها بما لا يضر بقضية أفغانستان[1] ، ورغم أنه بقي على موقف سابقيه خاصة بعد ضعف الموقف الأمريكي في لبنان، فقد عقد السوفييت مع الكويت صفقة صواريخ أرض– أرض وصواريخ أرض– جو بقيمة 320مليون دولار، وأقام السوفييت علاقات مع العربية السعودية[2]؛ إذ وصل وفد سوفييتي إلى الرياض لأول مرة منذ خمسين عاما برئاسة مدير إدارة الشرق الأوسط في الخارجية السوفيتية[3]،حيث فتحت العربية السعودية مرافئها لاستقبال شاحنات سوفييتية موجهة نحو العراق تحمل "S-S 21" مقابل أنها كثفت نقل شاحنات نفطية نحو الاتحاد السوفييتي، توسطت مصر لتسهيل استئناف المفاوضات مع موسكو، وما يمكن ملاحظته أن السياسة السوفييتية قد تغيرت حيث" أنها بدل تأمين مواقع إستراتيجية أصبحت تسعى إلى تنظيم مقايضة واسعة من الأسلحة الحديثة مقابل النفط"[4]، وأعقب ذلك عودة نصف قوات الجيش الأحمر لديارها وتم ذلك بشكل نهائي حتى 1989م، وما يمكن استخلاصه أن انسحاب السوفييت من الديار الأفغانية لم يكن نتيجة هزيمة عسكرية وإنما هو فشلهم في تسوية الأمور بطرق سلمية[5].

السياسة الخارجية اتجاه الصين:

"...الصراع السوفيتي الصيني الذي كان ظاهره إيديولوجي وواقعه جيوسياسي وقوميا، وقد وقفت الهند دائما إلى جانب الاتحاد السوفيتي الموقف نفسه[6]، وبعد أيام قليلة من تولي "غورباتشوف" السلطة أعلن في إذاعة موسكو عن رغبته في تمتين العلاقات مع الدول الاشتراكية خاصة الصين بغية تدعيم الجبهة المضادة للإمبريالية، ومن أجل ذلك قام الرئيس السوفيتي في 28 يوليو 1986م بمبادرة السلام، فقد أعلن "ميناء فلاديف وستوك" عن هدفه في إخلاء منطقة المحيط الهادي من السلاح النووي ورغبته في تحسين العلاقة مع الصين فجاءت

---

[1] ابراهيم عبد الطالب، المرجع السابق، ص ص147،148.

[2] بيار ميكال، المرجع السابق، ص571.

[3] محمد موسى آل الطويرش، المرجع السابق، ص 251.

[4] بيار ميكال، المرجع السابق، ص571.

[5] بيار ميكال، المرجع نفسه، ص569 .

[6] عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، م6، المرجع السابق، ص579.

بعد ذلك دعوته المسماة "محيط السلام" خالي من السلاح واقترح عقد مؤتمر مماثل لمؤتمر هلسنكي للأمن الأوروبي، في أقرب وقت بمدينة هيروشيما كمكان لعقد المباحثات، ويطمح "غورباتشوف" من خلال ذلك لإزالة الفجوة بين البلدين التي امتدت قرابة ثلاثة عقود من الزمن[1]، والإيديولوجية منذ بداية الستينات، وأكد الرئيس السوفيتي أن بلاده تحترم السياسة الخارجية الصينية، كما أن بكين تعامل السياسة السوفيتية بالمثل، وأكد أيضا أن القطيعة أصبحت في عداد الماضي، أما الصين من جهتها فقد رحبت بالطرح الجديد لتحسين العلاقات، و"قد تمت أول زيارة من مبعوث صيني على مستوى عال منذ القطيعة...[2]

قام "باوايلين" نائب رئيس مجلس الدولة الصيني في9 يولية1985م بزيارة رسمية لموسكو حظيت باهتمام واسع النطاق لما لها من تأثير على تطور العلاقات بين الدولتين... تم توقيع اتفاق...ينص على رفع قيمة التبادل التجاري بينهما..."وقد تم عقد اتفاق آخر في يوليو 1988م ينص على السماح لمواطني البلدين بالسفر إلى البلد الآخر دون قيود جمركية بهدف التجارة، وتم سريان هذه الاتفاقية بداية من 14 أوت، وفيما يتعلق بالعوائق التي أثارتها الصين أمام تحسين العلاقات فهي بداية بتجاوز الرئيس السوفييتي بانسحابه من أفغانستان كما نص اتفاق جنيف، وتم فعليا سحب قوات الجيش الأحمر وكذلك تجاوز النزاع في منطقة الحدود فقد اتخذ الاتحاد السوفييتي إجراءات فعالة لخفض حدة المواجهة العسكرية في منطقة الحدود المشتركة مع الصين، فقد تم سحب مائتان ألف (200000) جندي سوفييتي بما فيهم وعشرون ألف (120000) جندي في الشرق الأقصى. وتم أيضا بداية الانسحاب من منغوليا، لذلك اتفق الطرفان على تقليص مستوى المجابهة العسكرية وتخفيض القوات المسلحة في المنطقة الواقعة مابين المحيط الهادي حتى جبال بأمير[3]، إلا أن ذلك لم يمنع من حل النزاع المستعصي فقد شهدت المناطق الحدودية في1987م توترا شديدا كاد أن يؤدي إلى نزاع مسلح شامل[4].

---

[1] نازلي محمد عوض، المرجع السابق، ص86.

[2] جمال الدين محمد، القمة الصينية–السوفيتية ومرحلة جديدة في العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام، القاهرة، ع 97، 1989، ص ص202،203.

[3] جمال الدين محمد، المرجع السابق، ص ص202،203.

[4] عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، م6، المرجع السابق، ص579.

و"فيما يتعلق بمشكلة كمبوتشيا، فقد دفع الاتحاد السوفيتي حلفاؤه الفيتناميين إلى التعهد بسحب قواتهم من كمبوتشيا مع نهاية هذا العام"[1]، ومن العوائق أيضا اتساع وتعمق نطاق العلاقات الأمريكية الصينية في شتى المجالات، ولا يدل ذلك عن أن التبادل التجاري الصيني الأمريكي قد ارتفع عام 1985م إلى ما قيمته 7 بلايين دولار فقط، بما يمثل نسبة ضئيلة من إجمالي قيمة التجارة الخارجية للصين والتي بلغت 59 بليون دولار في سنة1985م، كما تعترض الضوابط التنافسية الاقتصادية تحسين العلاقات، حيث أن معدل النمو الناتج القومي في الصين بلغ 12% مع 1984م بينما في الاتحاد السوفيتي فهو لا يتعدى2,5 فقط، ما يعكس تناقص جوهري مصلحي بالنظر لخصوصية كل من سياسات الخارجية للبلدين[2]، و"من ثم فقد تم التغلب على العقبات...التي اعترضت طريق تطبيع العلاقات بين الدولتين مما مهد لعقد القمة السوفيتية الصينية...والتي أسفرت عن تطبيع العلاقات بين الدولتين"[3].

وما يمكن ملاحظته أن بتقديم "غورباتشوف" التنازلات من أجل تجديد العلاقات مع الصين التي فاقت السوفييت من حيث النمو الاقتصادي وربط علاقات مع حلفاءهم أعداء لموسكو وأن "غورباتشوف" أكد على عدم التدخل في الشؤون الخارجية السياسية للصين وهي أيضا بالمثل يبن أن السوفييت بحاجة ماسة لقوة الصين الاقتصادية للنهوض.

خلاصة:

لمست عملية الإصلاح المتمثلة في البيروسترويكا و الغلاسنوست أثناء تطبيقها جميع جوانب الحياة العامة، إلا أنها عجزت عن تحقيق الأهداف التي سطرها المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي لما لعبته البيروقراطية من دور في عرقلة مسار وتطبيق البرنامج الذي جاء به "غورباتشوف" حتى إن بعض الشعب لم يتجاوب مع السياسة الجديدة رغم ما عملته وسائل الإعلام والاتصال للدعاية لها وحث الجماهير على إتباع مسار الإصلاح.

[1] جمال الدين محمد، المرجع السابق، ص 203.

[2]طه عبد العظيم طه، المرجع السابق، ص83.

[3] جمال الدين محمد، المرجع السابق، ص 203.

الفصل الثالث: انعكاسات السياسة الإصلاحية على الاتحاد السوفييتي

المبحث الأول: التحولات الداخلية

المطلب الأول:الانشقاق داخل الحزب الشيوعي

المطلب الثاني: الأزمة الاقتصادية

المطلب الثالث :ظهور مشكلة القوميات

المطلب الرابع: تفكك الجمهوريات السوفييتية

المبحث الثاني: التحولات الخارجية

المطلب الأول: توتر علاقة الاتحاد السوفييتي الخارجية

المطلب الثاني: إعلان السقوط الاتحاد السوفييتي

المطلب الثالث: نهاية الحرب الباردة

الخاتمة

المبحث الأول: التحولات الداخلية.

واجهت سياسة الإصلاح عقبات منذ انطلاقها، نتيجة الانفتاح الفكري وإيديولوجي. فقد شهدت الجمهوريات السوفيتية تحولات داخلية آثرت على الوضع الخارجي، ما يبرز العلاقة الوطيدة بين الوضع الداخلي والخارجي.

المطلب الأول: انشقاق الحزب الشيوعي:

ما إن بدأ "غورباتشوف" بسياسة الإنفتاح في أفريل 1985م، حتى ارتفعت الأصوات في كل أنحاء الاتحاد تنادي بحرية الكلام، وحرية التعبير عن الرأي، وإلغاء الرقابة، ورفع القيود عنها، فأصبح المواطنون يطالبون بتعدد الأحزاب، وذلك ما تم فعلا، فقد ظهرت أحزاب بلغ عددها واحد وثلاثون ألف (31000) حزب بالمجتمع السوفييتي. وأدى ذلك التعدد إلى انقسام الحزب الشيوعي إلى تيارات سياسة مذهبية، فأصبح لكل حزب رأيه الخاص في تحديد مواصفات نوع النظام وإحلاله محل النظام الشيوعي المتآكل، فقد ركزت جل الأحزاب والفئات على الديمقراطية كأفضل سبيل للحكم، وحتى أن الأحزاب التي نادت بالديمقراطية انقسمت إلى جماعات. فبرز جماعات وزعماء معارضون لـ"غورباتشوف"، منها الأحزاب القومية المتطرفة، والأحزاب الفاشية والعنصرية[1]، وظهر أيضا "اتحاد الفوضويين" في فيفري1989م، و"الحزب الدستوري الملكي الأرثوذكسي" في نوفمبر1989م، الذي دعا صراحة لإسقاط النظام القائم والدعوة للعودة إلى ما قبل 1918م للنظام الملكي، من خلال عائلة "رومانوف"، و"الحزب الليبرالي الديمقراطي" الذي تأسس في مارس 1990م بزعامة "فلاديمير شيرنو فسكي" الذي ينادي بالنموذج الأمريكي والاعتراف بحق الملكية الفردية، و انتهاج اقتصاد السوق، وفي أفريل 1990م تأسست "الحركة المسيحية الديمقراطية" الروسية، وغيرها من الأحزاب، والمنظمات الشيوعية التي ظهرت كرد فعل عن سياسة إعادة البناء، كا"جماعة الوحدة الوطنية" من أجل "البينينية–الماركسية"، وحزب "المبادرة الشيوعية"، والتي تضم في عضويتها الشباب الشيوعي في "الكومسمول"، و"الحزب الديمقراطي"[2].

[1] محمود عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ص103،102.

[2] على عودة العقابي، المرجع السابق، ص ص119،118،117.

وتفاقم الوضع أكثر بزيادة عدد أعداء "غورتشوف" داخل حزبه، واتهمت جماعة كبيرة من قادة المنظمات الحزبية في الأقاليم والنواحي "غورباتشوف" بالتحريفية وقرروا تشكيل حزب شرعي لجمهورية روسيا الاتحادية بلجنة مركزية مستقلة، ونفذوا ذلك بالفعل. "وأدى أيضا استفحال البيروقراطية إلى انعزال الحزب عن الجماهير، وبذلك فقد الحزب مصدر قوته، وفقدت الثورة وجودها واستمرارها " لكونها جاءت من أجل الجماهير وهي لن تحقق أهدافها إلا بهم"، ذلك ما جعل الفجوة تتعمق بين الحزب وعموم الجماهير[1].

وعلى غرار التعدد فقد رافق ذلك، ضجر شعبي وصلت فيه مجموعة كبيرة من الشكاوي إلى"غورباتشوف" ضد السكرتير الأول للجنة الحزبية لضاحية "خابروفسك"، وقد رفعت هذه الشكاوي من الناس الذين كانوا يقولون كل ما يفكرون به، ولكن جهاز السلطة لم يبادر بأي رد فعل يذكر[2].

وظهرت على الساحة السياسية ثلاثة تيارات أساسية* وهي:

– التيار الأول: مثله "غورباتشوف" ويقوم على أساس الإصلاح الشامل الاقتصادي والسياسي التدريجي بالاعتماد على تنمية الوعي الجماهيري، والديمقراطي داخل المجتمع والدولة معا، مع الأخذ بعين الاعتبار استمرار الخيار الاشتراكي .

– التيار الثاني: يضم مجموعة من الكوادر الحزبية، والتيارات الأمنية، والعسكرية يعرفون بعدائهم لسياسية "غورباتشوف" الإصلاحية، ويهدف ذلك التيار إلى تطوير مفهوم الحزب الشيوعي، ويعارض استغلال الديمقراطية للمطالبة بتفكيك الدولة السوفييتية وإسقاط نظريتها الاشتراكية، وانتهى بهذا التيار الانقلاب على الرئيس في 19 أوت 1991م [3] .

– التيار الثالث: مثله الديمقراطيون الراديكاليون، وهم الذين تحملوا وطأة تحدي أنظمة الحزب الواحد القديمة، ويعارضون الوصول للمناصب القيادية بدفع من البيروقراطية العليا، وأعلنوا

---

[1] كريس هرمان،(ت ر) خليل كلفت، العاصفة تهب حول النموذج السوفيتي، ط1، ، دار النهر، القاهرة، مصر،1995.

[2] فلاديمير ميدفيديف ، مذكرة عميل سابق في الـ ك ج ب روسيا دولة الفساد العظمي ،(ت ر) نبيل رشوان ، مجلة العرب، س 36 ع 9393، (د.م)2003 ص6.

*أنظر الملحق رقم 08، ص145.

[3] أحمد ممدوح العزي، المرجع السابق.



صراحة على أنهم " سيواصلون المطالبة بتسريح الشرطة السياسية ولن يكونوا سعداء بأن يروا الهياكل الحزبية القديمة التي تسيطر على وسائل الإعلام تفسح المجال لهياكل جديدة يتحد فيها مرشحوا الحزب القديم مع رأس المال متعدد الجنسيات،[1] ومثل ذلك الاتجاه الراديكالي الأحزاب الليبرالية، وعدد من الشخصيات الفاعلة بالدولة، وقد اختلفوا مع "غورباتشوف" حول بطئ فعالية "البيروسترويكا" ومن أبرز رجال هذا التيار "يلسن بوريس"* رئيس روسيا، ومحافظ موسكو "ألكسندر بايوف"، وأيضا محافظ لينينغراد "أنطولي سابشاك"، ومنظر الحزب والرجل الثاني في الدولة بعد "غورباتشوف" "الكسندر يكفلوف"، وحتى "إدوارد شيفرنادزه" وزير الخارجية[2] الذي قدم استقالته في 20ديسمبر1990 أمام مؤتمر النواب احتجاجا على تقدم الديكتاتورية فقال: "الديمقراطيون هربوا، والإصلاحيون يختبئون والديكتاتورية، من سيكون الديكتاتور، إني أستقيل وليكن هذا شعاري واحتجاجي على تقدم الديكتاتورية وأتوجه لكم بالشكر وبخاصة إلى "ميخائيل غورباتشوف" ولا أستطيع أن أعطي موافقتي على الديكتاتورية القادمة"[3]، وكان هؤلاء يعترفون بإخفاق الإيديولوجية "اللينينية –الستالينية"، ما يعني إسقاط الخيار الاشتراكي لصالح اقتصاد السوق الحرة، إمكانيات التحول إلى نوع من "الرأسمالية العصرية" لبلوغ العدالة الاجتماعية، ويقوم أيضا على الحرية الديمقراطية والتي يجب أن تشمل المواطنين، وحق الجمهوريات السوفييتية في تقرير مصيرها إما بالانفصال أو الاستمرار في الاتحاد بصياغة جديدة تحد من سلطة المركز، إلا أن التيار هذا انتصر ،ووقف بوجه الانقلابين ،وجز بهم في السجن[4].

وارتبطت الأحداث والانشقاقات داخل الحزب بشخصية "بوريس يلتسن" الذي عينه "غورباتشوف" سكرتيرا أول للجنة الحزبية بالعاصمة السوفييتية ، فوقعت بينهما خلافات إلا أنه بقي يرتقي في المناصب داخل الحزب، وكان من بين المحتجين على عدم فاعلية عملية إعادة الهيكلة في تحقيق الإصلاحات، فقد قدم عريضة لـ"غورباتشوف" يطلب فيها منه عزله من كل مناصبه وصلاحياته كموقف عن عطل "البيروسترويكا"، وكانت ردة فعل الرئيس بأن انتقده في

---

[1]كريس هرمان، المرجع السابق، ص84.

*أنظر الملحق رقم 09، ص145.

[2] أحمد ممدوح العزي، المرجع السابق.

[3]محمد بوذنية، أحداث العالم في القرن العشرين 1990–1999، المرجع السابق، ص ص 102،101.

[4] خالد ممدوح العزي،المرجع نفسه.

اجتماع 21أكتوبر 1987م للجنة المركزية، ومع ذلك لم يمتنع غورباتشوف من ترقية "يلتسن" إلى مرتبة وزير فى لجنة الدولة للبناء.

إن المسيرة الذاتية الشخصية "لبوريس يلسن"* جعلت من عضو "المجلس التأسيسي" "ألكيسي كازانيك" إلى القول في ماي 1995م"إن الرئيس الروسي لا يمكن أن يرقى إلى أكثر من مستوى رئيس فرع لأحد الأحزاب في إحدى المحافظات الروسية وهو المجال الذي يرع فيه، و بقي كذلك لغاية 1989 م[1]" .

وفي 16 مارس 1990م أعلن رئيس لجنة الترشيحات "أوري أوسيبيان" أمام مجلس النواب الشعبي أن "ميخائيل غورباتشوف" قد أنتخب أول رئيس للاتحاد السوفييتي لعهدة تدوم لمدة خمس(5)سنوات بأغلبية الأصوات البالغ عددها ثلاثة مائة وتسعة وعشرين ألف (329000) صوت، وتم الإعلان عن النتيجة عبر شاشة التلفاز السوفييتية مباشرة، وأن الاقتراع قد جرى في أجواء سرية، أما عدد الأصوات المعارضة لانتخاب "غورباتشوف" فقد بلغت أربع مائة وخمسة وتسعون (495) نائب فيما ألغيت أبع وخمسون (54) ورقة؛ أي أن نسبة ما حصل عليه 59.2%، من الأصوات، ومنح للرئيس سلطات واسعة. ويعتبر دخول الاتحاد السوفييتي إلى النظام الرئاسي التوصل للفصل بين الدولة والحزب، وتوافق هذا مع إعلان التعديل الدستوري الذي ألغى الدور القيادي للحزب الشيوعي، كخطوة أولى فعالة وواقعية للانفتاح نحو التعدد السياسي، والقبول بالطرف الآخر، إلا أن "غورباتشوف" أعرب أمام "مجلس النواب" عن تأييده بجمع المهام في منصب رئيس الدولة والأمين العام للحزب، ويبرر ذلك بقوله: "هذا ما تفرضه الضرورة ومصالح البيروسترويكا في الفترة القريبة الآتية"[2].

وبعد أداء اليمين حدد "غورباتشوف" الخطوط العريضة لبرنامجه الرئاسي وأعلن عن تأييده لوضع معاهدة جديدة للاتحاد تحدد العلاقات بين جمهورياته. ومما جاء به التعديل الدستوري. "اعتبار الرئيس يمثل السلطة التنفيذية، وله الحق في التشريع متى أراد ذلك، وهو أيضا قائد

---

[1]محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1990–1999،المرجع السابق ص 102.

*ولد يلسن في 10فيبراير 1931م بقرية بوتكا بمدينة(تاليستا)في مقاطعة سفير دلوفسك بإقليم الأورال، من عائلة فقيرة عاش محروما من التطلعات الذهنية، وأنهى تعليمه سنة1949 بالمستوى الثانوي، ثم انتسب بمعهد للبناء متوسط بالأورال وتخرج منه في 1955. ليبدأ حياته العملية كرئيس لإحدى فرق العمال بمجال تخصصه ثم التحق بالحزب الشيوعي السوفيتي قي 1961م وانتقل للعمل بموسكو سنة 1985م بمبادرة من غورباتشوف(محمد عبد الرحمن،المرجع السابق،ص 103.)

[2]محمد بوذنية ، أحداث العالم في القرن العشرين1990 –1999 ، المرجع السابق، ص 23 ، 24.

القوات المسلحة،. ويقوم بتعيين منصب الوزير الأول وأيضا له الحق في حل مجلس السوفييت الأعلى، وله الحق في الاعتراض والتصويت ضد قرارات مجلس السوفييت الأعلى، ويتمتع بحرية إعلان الحرب أو إعلان حالة الطوارئ [1]؛ ذلك ما يعني انتقال السوفييت من وطئه وسلطة الحزب إلى زعامة وديكتاتورية المنصب وانفراده بجميع المراكز الحساسة والقيادية.

"ولقد دخلت البلاد بصراع من خلال الانقسام الداخلي بين أطراف السلطة ومعارضتهم لنظرية إعادة البناء التي طال انتظار مفاعليها كثيرا لكنها لم تنجح فعليا في المجتمع السوفييتي، فأدرك "غورباتشوف" أن الاستمرار في السلطة ودفع برنامجه إلى الأمام يعتمدان أساسا على إيجاد صيغة توازن بين الجانبين الجناح المحافظ والراديكالي؛ لأن الأول يعارض برنامجه و يراه خروجا عن "الماركسية– اللينينية"، أما الآخر الذي يرى في برنامجه الإصلاحي أنه غير كاف ويسير بوتيرة بطيئة، إلا أن "غورباتشوف" توقع منذ البداية أن الجناح المحافظ سيؤدي إلى حرب أهلية داخلية يسيطر فيها على القيادة العسكرية والأمنية وحتى جهاز المخابرات الداخلية على الدولة وأن التخلص منه يعني تقوية الجناح الليبرالي من جهة[2]، ومن جهة ثانية أدرك "غورباتشوف" أن استمرار "التيار الليبرالي" بموازاة نفوذ الجناح المحافظ وممارسة الضغط على هذا الجناح حتى يسلم التيار المعتدل الذي يقوده "غورباتشوف"[3].

وبدأ الانقسام من جديد في القيادة في 19 أوت 1991 باختفاء ثلاثة (03) أعضاء منها وهم "فلاديمير خورتشوف" والذي هو على رأس وكالة الاستخبارات السوفييتية، و"بوريس بوغو" وزير الداخلية، وأخيرا "ديمتري" والذي يمثل وزير الدفاع. .

وتعتبر هذه الخطوة الأخيرة في عمر الإمبراطورية السوفييتية نحو الانفتاح والتعدد السياسي والقبول بالطرف الآخر وذلك بإتباع نفس النظام والأسلوب الغربي فانتقلت بذلك الدولة السوفييتية من وطأة الحزب إلى ديكتاتورية المنصب و زعامة الكرسي الرئاسي .

أما الانقلاب على "غورباتشوف": فقادته مجموعة من الكوادر الحزبية والعسكرية في 19 أوت 1991م وعرف هؤلاء بعدائهم الشديد لسياسة "غورباتشوف"[4].وكان ما حدث أثناء محاولة

[1] خالد ممدوح العزي ، المرجع السابق.

[2]محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1990–1999، المرجع نفسه، ص 172.

[3] خالد ممدوح العزي، المرجع السابق.

[4] خالد ممدوح العزي، المرجع نفسه.



الانقلاب هو المواجهة بين "القوى الرجعية" و"الديمقراطية" أمر لازم الوقوع بشكل أو بآخر، فالكثير يقول الآن: "هل توقع "غورباتشوف" بالفعل أن يحدث ذلك؟" ومنذ بداية الأزمة التي نشأت بفعل التحول الجذري في المجتمع حاول الرئيس منع التناقضات من بلوغ حد الانفجار. فأراد بذلك كسب الوقت بالقيام بخطوات تكتيكية لإيصال البلاد إلى مرحلة تصبح معها أية محاولة للإمساك بالسلطة المحكومة بالفشل، وفي غضون السنة ونصف السنة، كانت المواجهة بين "قوى التقدم" و"الرجعية" تشتد، ومنذ شهر ديسمبر من نفس السنة بدأت الأوضاع نحو تصعيد أكثر، وارتفعت نداءات متكررة لفرض إجراءات الطوارئ فتحولت جلسات اللجنة المركزية إلى معارك حقيقية، وكانت جلسة أفريل 1991م مثال ذلك، وكذلك الجلسة الأخيرة عشية إعلان اثنان وثلاثون (32) سكرتيرا من بين اثنان وسبعون (72) سكرتيرا للجان الحزب الإقليمية في اتحاد منظمات روسيا[1].

ولم يتمكن "غورباتشوف" من التوفيق بين تيار المحافظين والراديكاليين وقد أعتبر الانقلاب الحجر الأساس في فك الاتحاد السوفييتي، ومن بين الأسباب التي دفعت إلى الانقلاب الأفكار التي طرحها "غورباتشوف" والتي حاولت إبعاد الجيش عن السياسة والحزب، وأوصت بتخفيض موازنة وزارة الدفاع والمؤسسات الأمنية والمخابراتية، وحتى أن المعاهدة التي كان مقررا إبرامها في 20 أوت1991م بين "غورباتشوف" وبعض جمهوريات الاتحاد والتي تجيز حق الاعتراض عن القوانين التي لا تتوافق ودساتيرها، وحق إقامة التمثيل الدبلوماسي والقنصلي مع الخارج، فأقاموا على الانقلاب قبل يوم من توقيع المعاهدة، في حين رفض المحافظون التنازلات التي أعطاها "غورباتشوف" للولايات المتحدة الأمريكية التي لمست السيادة السوفييتية كالموافقة على معاهدة "ستارت2" للحد من انتشار الأسلحة النووية وغيرها من التنازلات، ولتلك الأسباب أقدم عدد من القيادات الأمنية والعسكرية الانقلاب ضد "غورباتشوف" وكان من بين الذين قادوا الانقلاب كما حددتهم الهيئة الانقلابية وأهمهم:"غينادي ياناييف" نائب الرئيس[2].

المطلب الثاني: الأزمة الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي:

---

[1] ميخائيل غورباتشوف، غورباتشوف وحكاية الانقلاب ثلاثة أيام هزت العالم،ط1،(ت ر)فؤاد حطيط،دار عام ألفين، باريس،1992، ص ص12،11.

[2] خليل حسين، المرجع السابق، ص ص 238،237.



عانى الاقتصاد السوفييتي من ضغوط هائلة، فقد ازدادت نفقاته على متطلبات السياسية الخارجية السوفييتية، التي تطلبت دعما أكثر للعديد من الملفات، وانعكس ذلك على الاقتصاد مما أدى إلى نقص الغذاء فأصبحت المجاعة تهدد العديد من المناطق، ومع تزايد انخفاض النمو المتسارع وبخاصة أواخر الثمانينات من القرن العشرين، وكذا ارتفاع معدلات التضخم في سنة 1990م إلى حدود 12% وصلت الأمور إلى نقطة اللرجوع في البرنامج الإصلاحي[1] .

وفي مجال توفير مادة القمح اللازمة يقول الكاتب كيدار: " بأن الذي حصل هو إنتاج السوفييت من الحنطة كان راكدا خلال الفترة ما بين 1966 م ولغاية سنة 1990 م، والتي خلالها تحرك ثمانون مليون مواطن من حقول الزراعة إلى المدن المكتظة بالسكان " كما أن عائدات المحروقات من نفط وغاز لم تكن كافية لتغطي عجز تأمين العملة الصعبة لاقتناء الحنطة من خارج الاتحاد، وقد عبر "غورباتشوف" عن الوضع بقوله: " إننا نشتري الحنطة لأننا لا يمكن أن نعيش بدونها ". وكان أحد مساعي "غورباتشوف" أنه قد حذر من المجاعة مع حلول مارس 1991 م ما لم تتمكن السلطات من تأمين المواد الغذائية اللازمة. ونتيجة ذلك عجز الجيش الأحمر على قمع التظاهرات مثل ما حدث في الجمهوريات الديمقراطية بأوروبا الشرقية، وفي ذلك يعبر كيدار مجددا عن الوضع بـ: "لو قمع الجيش السوفييتي تظاهرات حزب التضامن في وارسو. فان الاتحاد السوفييتي لم يكن له أن يستلم المئة مليار دولار التي يحتاجها من الغرب، وبشكل مماثل عندما حاول السوفييت أن يستخدموا القوة لإعادة إحكام السيطرة على دول البلطيق في فيفري 1991 م"، ويوضح رد الغرب بقوله " نعم بإمكانكم اختيار أي حل، لكن في هذه الحالة نرجو أن تنسوا المئة مليار دولار التي تأملون اقتراضها". وتعود أسباب الانهيار الاقتصادي كما يرجعها "كولدمان" في تفكيك مجمع التصنيع العسكري السوفييتي من قبل "غورباتشوف" والمتسبب الرئيسي في الانهيار، فصناعة الألمنيوم مثلا كانت تؤمن المادة النقية للطائرات العسكرية، وصناعة الحديد لإنتاج ستون ألف (60000) دبابة لمواجهة الغرب[2].وكذلك التباطؤ في النمو الاقتصادي السوفييتي* الناتج عن:

---

[1]خليل حسين ، المرجع السابق . ص 228 .

[2] ديفيد آرفرانسيس، قصة انهيار الاتحاد السوفيتي مراجعة الجديدة، (ت ر) عبد السلام آل عويد ، صحيفة كريستيان ساينز مونيتز ، 2015/01/01 علي الرابط الآتي:.www.kistyan.com

*أنظر الملحق رقم 10، ص146.

- الانخفاض المتزايد في القوى العاملة والمواد الأولية خاصة النفط ومحدودية اتساع رقعة الإنتاج الزراعي.

- ارتفاع نسبة الاستهلاك للناتج المحلي وارتفاع المواد المخصصة للمشاريع السكنية .

- المركزية الشديدة في التخطيط والتوسع الكبير في البيروقراطية.

وأدت أيضا المركزية المتشددة لفرض آلية كابحة على تطوير الاقتصاد السوفييتي ما يعني استفحال البيروقراطية وانعدام الحوافز لزيادة الإنتاج وتوسيعه، إلا أن "غورباتشوف" عمد إلى إنعاش الاقتصاد بإقرار قانون المنشآت الاقتصادية كدرجة من الاستقلال الذاتي وفتح الأسواق أمامها، لكن الوضع ازداد سوءا عندما أضعف "غورباتشوف" سلطة الجهاز القديم للتخطيط المركزي الذي خلق أوضاعا استحال معها العودة إلى الماضي[1]

وفي 1990م أوضحت التقارير أن النمو الاقتصادي في تدهور متلاحق ليجد "غورباتشوف" نفسه في حيرة مابين مواصلة برنامجه الإصلاحي، وبين العودة إلي سياسة النظام القديم التي لم تعد تلائم التطورات المعاصرة[2].

وفي أوائل أكتوبر عام 1991م عقد غورباتشوف مع وفد أوروبي في موسكو اجتماعا طالب فيه بمساعدات عاجله بقيمة 10مليار دولار لشراء ملايين الأطنان من الحبوب تفاديا لكارثة إنسانية، وبعد أيام وجه نداءا عاجلا لدول العالم في خطاب له على شاشة التلفيزيون السوفييتية أشار فيه أن بلاده تواجه كارثة وبرنامجه الإصلاحي مهدد بالخطر؛ حيث بدأت الأزمة الاقتصادية تنعكس على أمور عديدة داخل المجتمع السوفييتي، والتي حرصت الحكومات السابقة على عدم المساس به، كما أن هذه الأزمة بدأت تؤثر على قدرات البلاد الدفاعية فضلا عن إغراق البلاد بالديون الخارجية[3] .

وعن المظاهر العامة يقول مستشار "غورباتشوف" "آبيل أجانبيجان" في أوائل 1989م: "يبدو أن غالبية الأسر السوفييتية لم تشعر بعد بتغير إلى الأفضل ...، والواقع أن إمداد السوق الاستهلاكية بالسلع بدأ فجأة في التدهور بحدة وعلى نحو ملحوظ أمام أعيننا في النصف الثاني

[1] علي الصبح ، المرجع السابق، ص ص 205 ،206.

[2]فؤاد شاكر ، المرجع السابق ، ص 336.

[3]محمد موسي ال طويرش ، المرجع السابق، ص ص 247 –248



من1987م وبوجه خاص في 1988م"، وفي اجتماع للجنة المركزية في أوائل الصيف قدم مجموعة من المسؤولين الذين حذروا من الاستياء الشعبي المتنامي فقال "بوبو فيكوف" القائد الحزبي الفلاديميري أن: "العمال يعبرون في الاجتماعات باستياء. أي طراز من النظام هذا الذي عندنا، إذ إننا لا نملك ما نغسل به" وتحدث "كولبين" عن إحساسه بالخطر فقال" أن يكون الناس مستشارين وممرورين ، منجذبين نحو التظاهرات، واللقاءات الحاشدة، والاضطرابات" وفي نفس الأثناء قامت موجه من الاضطرابات بمناجم الفحم في البلاد من "فوركوتا والكوزباس" في سيبريا إلى الدوبناس في أوكرانيا على بعد آلاف الأميال. وقد عجزت السلطات عن وضع حدا لذلك لغاية التسوية التي وقعت ما بين "ريجكوف" رئيس الوزراء بلجان الإضراب في موسكو، حيث تم الاتفاق على منح المضربين مكاسب اقتصادية، إلا أن "غورباتشوف" مرر قانونا مانعا للإضراب من خلال مجلس السوفييت الأعلى أكد فيه " بدأنا فعلا نفقد السيطرة على الاقتصاد ... وإذا انفجر الوضع خارجا عن السيطرة في مكان ما، فلا بد من أن نمسكه بيدنا بحزم لنؤمن الأداء الطبيعي للاقتصاد القومي ..." وأعطى "ريجكوف" اعترافا صريحا عن وضع الاقتصاد في أن "الموقف في الاقتصاد وبوجه خاص في الربع الثالث انعطف انعطافة حادة إلى الأسوأ، وفي سبتمبر حدث هبوط خطير في النشاط الاقتصادي"، فما كان على السلطات إلا القيام بمحاولات لإنقاض الموقف فعمد "ريجكوف" لسلسلة من تدابير الطوارئ ،أما "يلتسن" كان قادرا على أن يعبر عن التشكك الشعبي الواسع الانتشار عندما أخبر المؤتمر" الشعب يفقد ثقته بينما نحن نردد على نحو متواصل أن البيروسترويكا شملت الجميع..."[1].

المطلب الثالث: ظهور مشكلة القوميات.

القومية ظاهرة اجتماعية، فقد عرفتها الموسوعة البريطانية بأنها "حالة عقلية يكون فيها الولاء الأسمى للفرد واجبا للدولة القومية"، أو هي "الموقف الذهني الذي يحس من خلاله الفرد أن دولة الأمة هي محط الولاء العلماني الأسمى"[2].

---

[1] كريس هرمان، المرجع السابق، ص 26.

[2] مثني أمين قادر، قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية، ط1، مركز كردستان للدراسات، السليمانية، العراق، 2003، ص 12.

وما يمكن أخذه بعين الاعتبار أن السوفييت لم يراعوا عند رسم الحدود الفاصلة بين الجمهوريات والمقاطعات التنوع القومي والإثني بين تلك الشعوب المنطوية تحت لواء الاتحاد، وكان هدف ذلك هو احتواء الصراع القومي والإثني بين الشعوب؛ التي تغذيها عوامل تاريخية وسياسية، في حين كان يتوجب على صناع القرار السياسي في "الكريملين" تنمية الاستعمار الداخلي لمزج هذه الشعوب، وتعزيز الاضطهاد القومي، إلا أن النظام خلق أجهزة بيروقراطية فعلية في المناطق ذات التنوع الإثني- العرقي المختلف عن الروس بهدف دمجها ضمن سباق الدفاع عن الوضع القائم، وتلك المشكلة أرقت السلطة السياسية نتيجة اختلال التوازن الديمغرافي في المجتمع، وتشير العديد من الدراسات أن استمرار ظاهرتي الاضطهاد والتمييز القوميين في الاتحاد بحجم المطبوعات اليومية الصادرة باللغة الروسية ثلاثة ونصف(3.5)أضعاف نظيرتها باللغات المحلية عند سكان المنطقة، وأن 82% من الكتب المتداولة المنشورة باللغة الروسية ففي أوكرانيا على سبيل المثال يتواجد فيها 20% من السكان الروس، أما نسبة الكتب المنشورة باللغة الروسية هناك فبلغت 70[1]%.

تسبب ذلك الاختلال في " نمو عقدة التفوق لدى القوميات غير الروسية، بينما عانت الأمة الروسية من عقدة الدونية... إذا كانت الأقليات لا تملك بالفعل موقعا لها في السلطة، فإنها مع ذلك حافظت على الشعور بالتفوق التاريخي والثقافي وحتى الجيوسياسي مثلا بالنسبة للمسلمين إزاء الأمة الروسية، أما الشعب الروسي وعلى العكس فقد نمت لديه عقدة الدونية، وهي وراء بروز قومية روسية جديدة كما أنها توفر لهذه الأخيرة موضوعاتها الرئيسية " [2]

وعندما أقر "غورباتشوف" "البيروسترويكا" أثبتت أن المجتمع السوفييتي هو عبارة عن مزيج بين الجمود الناجم عن هيمنة البيروقراطية على كافة مظاهر الحياة مما يحول دون التطور والنمو بين الديناميكية التي مصدرها النمو الاقتصادي، والتطور العلمي، والوعي الثقافي وبالتالي أدرك المجتمع واقعه ومتطلبات حياته[3]،

ولقد كان في كل نقص في المواد الغذائية، فالمدن الروسية التي هي تمثل مراكز هامة للبتروكيمياويات كالينينغراد، فقد أجبرت الاحتجاجات الشعبية العارمة على استقالة العديد من

---

[1] بلخيرة محمد ، المرجع السابق، ص 86

[2] بلخيرة محمد ، المرجع السابق، ص 87

[3] بلخيرة محمد ، المرجع نفسه، ص 81 .



لجان الأحزاب المحلية هناك[1]، وظهرت دعاوي قومية متعصبة ضد شعارات الحزب المدفوعة تدعي أن الجماهير السوفييتية تنهب روسيا، وكازاخستان، وجورجيا، وأرمينيا... وغيرهم من الجمهوريات، وطالبوا بخروجها من نطاق الاتحاد، وكان اعتقادهم [2] كما عبر "سوسلوق" عن ظاهرة التعصب الروسي إذ أنه "يستند أساسا على ما يمارسه أبناء القومية الروسية من السيطرة والهيمنة على المراكز الرئيسية للقوة في النظام السوفييتي سوءا على مستوى الحزب، أو الحكومة، أو المؤسسة العسكرية ويدعمها رفض من جانب "الكريملين" الالتزام بمبادئ التعددية... وعلى الرغم من السماح لأعضاء الجماعات العرقية الأخرى بالوصول إلى مراكز التأثير في أقاليمهم أو بشغل مناصب عالية في موسكو ..."، واتخذت السلطات إجراءات صارمة ضد كل محاولة لأي ميول قومي أو نزاعات نحو التعلق بالثقافة العرقية فعلي سبيل المثال: كانت القومية الأوكرانية من الإثنيات القليلة التي تتمتع بتمثيل على نطاق واسع في مختلف المؤسسات السوفييتية، حيث أن الروس يطلقون عليهم اسم "الأشقاء الأقدمين"ومع ذلك فإنهم مستعدون لدحض أي مظهر للتعبير عن القومية الأوكرانية هناك, "وقد عزا بعض الكتاب الاضطرابات التي فجرت في جورجيا مؤخرا إلى الغضب الشديد الذي يساوي أبناء جورجيا ضد ما يثيره الروس من مظاهر التعصب والذي برز بصفة خاصة خلال اضطرابات جورجيا... كما ذكرت بعض المصادر أن عمليات القمع التي وجهت لها الاضطرابات الأخيرة في جورجيا كانت انتقاما من جانب العسكريين لما ارتكبه ستالين من الأعمال الوحشية في حق الشعب الروسي "، كما أن التعصب الروسي دفع لتصعيد مشكلة القوميات بإثارة القلاقل والاضطرابات في النظام السوفييتي نظرا لأن العرقية ليست ظاهرة انتقالية ترتبط بفترة معينه[3] من الزمن؛ وإنما هي ظاهرة حيوية مرتبطة بالطبيعة البشرية. ففي كثير من الأحيان تقاوم القوميات غير الروسية الجهود التي تحاول إذابة ثقافتها وقيمتها المحلية المستمدة من العامل التاريخي بصفة خاصة، والمتمثل في أنها سابقا كانت دولة تتمتع بالسيادة والاستقلال، وحتى عندما خضعت للحكم القيصري كان لها جانب من الاستقلال من خلال ممارسة الثقافة والحضارة القومية المحلية[4].

---

[1] كريس هرمان، المرجع السابق، ص 31.

[2]كريس هرمان، المرجع نفسه، ص 16.

[3]أحمد عباس عبد البديع، اضطرابات جورجيا ومشكلة القوميات في الاتحاد السوفيتي، مجلة السياسة الدولية، ع97، مركز الأهرام، القاهرة، 1989، ص ص 199،200.

[4] أحمد عباس عبد البديع ، المرجع نفسه، ص ص 200 ، 201.

وترجع الأسباب التي أدت إلى تصعيد مشكلة القوميات هو تفجر المشاعر القومية، وتزايد الإحساس بالوعي الذاتي في أواسط آسيا السوفييتية، والمناطق المتاخمة للحدود الشرقية السوفييتية نتيجة التحديث المعتقد أنه سيؤدي إلى القضاء على العرقية واقتلاع جذورها؛ فقد أثبتت بعض الدراسات عن وجود علاقة بين التحديث والوعي القومي فأصبحت العديد من العرقيات تظهر وعيا متمثل في بعث الطرق والقيم الشعبية التقليدية التي لم يكن بجيل الآباء الدين لم ينالوا قسطا وافرا من التعليم القدرة على التعبير عنها بنفس الحماس. والقوة فإن مشكلة القوميات والسياسات التي انتهجتها الكريملين والأسباب التي أدت إلى تفاقمها أدت إلى قيام العديد من الانتفاضات والاضطرابات القومية لأن السياسة السوفييتية فشلت في فض المشكلة حتى باستخدام الأساليب القصرية كما أن عملية إعادة البناء والمكاشفة قد أفضى إلى إعادة النظر في العلاقة بين القوميات المختلفة وإعطائها نوعا من الحرية في تقرير المصير والذي بدأت بوادره بالظهور باستجابة الكريملن مؤخر الرغبة جمهوريتي إستوانيا ولتوانيا السوفييتيتين بالاستقلال الاقتصادي عن موسكو[1].

المطلب الثالث: تفكك الجمهوريات السوفييتية:

بعدما ظلت القوميات موحدة لغويا و إيديولوجيا بالقوة لمدة تزيد عن نصف القرن، جاء اليوم لأن تعلن عن عدم رضاها عن الأوضاع وبقائها تحت الأسر وأن تطالب بالتحرر والانفصال عن الاتحاد في إطار الديمقراطية والعلنية.

ولقد كان التفكير في هذه المطالب قبل 1990م غير مقبول، ومنذ هذه السنة أصبحت الجمهوريات تتنافس حول ذلك الأمر،[2] فقد طالبت العديد من القوميات بالاستقلال كاجمهوريات البلطيق، وجمهورية أذربيجان، وجورجيا، وروسيا الاتحادية نفسها[3].

وتفاقم الوضع أكثر مع ظهور دعاوي قومية متعصبة بعكس شعارات الحزب المدفوعة تزعم أن الجماهير السوفييتية تنهب روسيا في أوكرانيا وبيلاروسيا وكازاخستان وجورجيا وأرمينيا...

---

[1]أحمد عباس عبد البديع ، المرجع نفسه، ص ص 200 ، 201.

[2] حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية نحو أيديولوجية جديدة للتوازن الاقتصادي والاجتماعي، ط3 ، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان 1995، ص362.

[3]حيدر غيبة، المرجع نفسه، ص362.

وطالبوا بخروج هذه الجمهوريات من نطاق الاتحاد، وبذلك يخفف الحمل عن كاهل روسيا، ثم تسارعت وتيرة الانفصال في الجمهوريات المطالبة بالاستقلال[1]. " ورأت معظم الجمهوريات أن استقلالها قد يسمح لها بمعالجة أفضل للأزمات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وبدأت الدعوة للاستقلال...، وقد ظهر بوضوح أن عزلة السوفييت هي التي شجعت الجمهوريات الأخرى على الاستقلال... ،وتعزز ذلك من خلال سياسات "يلسن"...، الدفاع عن البيروسترويكا ... ولكن على مستوى روسيا البيضاء فحسب"[2].

1/ جمهوريات البلطيق:

ما إن أعلن "غورباتشوف" إصلاحاته الجذرية حتى بدأت الاتحادات والمنظمات الشعبية بالبروز تنادي بالانفصال عن الاتحاد السوفييتي على قاعدة الضم القصري لها دون استفتاءات شرعية، وتصاعدت المطالبات لغاية 1988 م، وبدأت البرلمانات بتلك الجمهوريات تعلن سيادتها على أراضيها وعدم قبول أي قانون يمس سيادتها على أراضيها الصادر من العاصمة موسكو، ثم توالت الإعلانات للمطالبة بالاستقلال[3]، وبدأت حركة الانفصال في جمهورية لتوانيا في مطلع 1990 م، حيث فاز "الساجورديسيون" أو الجبهة الشعبية الليتوانية باثنان وسبعون (72) مقعدا من أصل تسعون (90) مقعدا في البرلمان المحلي، وانطلقت الجبهة الليتوانية من إيمانها بقومية شعبها كمبدأ يطالبون به. وجاء بعد ذلك تصريح السكرتير العام للجبهة في ربيع 1990 م بأن العلاقة بين الجمهورية والاتحاد تشهد انزلاقا نتيجة المطالبة بالاستقلال، وتماشيا مع ذلك أعلن الحزب الليتواني استقلاله عن الاتحاد السوفييتي في محاولة منه لجذب الناخبين وثقتهم والاقتراب من مطالب الساجورديسين، وبالتالي أعلن البرلمان في أول جلسة له في فيفري 1990 م عن أن ضم ليتوانيا للاتحاد السوفييتي عام 1940م بالقوة كان أمر غير قانوني وباطل. ثم تلتها الإعلانات في كل من إستوانيا ولاتفيا. وقد أصدرت البرلمانات المحلية للجمهوريات الثلاث عن قرارات تضمنت أسبقية القوانين المحلية على القوانين الفيدرالية، واعتبروا أن القوانين الاتحادية المخالفة للقوانين المحلية لاغيه[4] .

---

[1]رسلان حسبولاتوف، المرجع السابق، ص16.

[2]مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص1169.

[3]خليل حسين ، المرجع السابق، ص231.

[4]حيدر غيبة، المرجع السابق، ص362.

ونظمت استفتاءات بالبلطيق دعت للبعد عن العنف ووصل فيها نسبة الأصوات بلتوانيا 90% حول ذلك الطرح، وفي استونيا أيده 78 %، أما لاتفيا فحصل الاستفتاء على 77%، وما ساندهم هو استغلالهم الدعم الأمريكي والغربي، وحتى انقلاب أوت 1991 م على "غورباتشوف" لتؤيد مطالبها وتأخذ من ذلك أرضية لرفض الاعتراف بلجنة الطوارئ المنظمة للانقلاب في موسكو، وفي 25 أوت أعلن "غورباتشوف" حق الجمهوريات في الاستقلال وتقلص بذلك عدد جمهوريات الاتحاد إلى اثني عشرة (12) جمهورية[1].

أما رد فعل "غورباتشوف" فقد اتهم البلطيقيون بالتعصب القومي والسعي إلى هدم الاتحاد السوفييتي، "ولما كانت الجلسات تذاع كلها بالتليفزيون على العالم أجمع، فقد أثارت الإهانات الموجهة إلى ممثلي البلطيق غضب الأهالي هناك فاندلعت مظاهرات الاحتجاج"، ورافقت المظاهرات الجماهيرية شعارات مثل "البرلمان السوفييتي الرجعي" في عواصم البلطيق ريجا، وفلنوس، وتالين...[2].

2/ ا لجمهوريات في بلاد القوقاز:

في أواخر الثمانينات راود القوقازيين أمل بنيل حريتهم فما بين 25 و26 أوت 1990 م عقد في "سوخوم" اجتماعا سمي بـ " كونغرس الشعوب القوقازية الأول" ،وضم ممثلين عن شعوب الشركس، والشيشان، والأنغوش... ،وأعلن عن هدفه بإنشاء جمهورية كونفدرالية قوقازية مستقلة فتقرر تعيين " موسى شنبه" القبرادي رئيسا للجمعية (الهيئة العليا للكونفدرالية القوقازية) تحت شعار "نحن الورثة الشرعيين لجمهورية شمال القوقاز" المؤسسة عام 1918 م، وأعلنوا بأن اتحاد الشعوب القوقازية العدو الثاني لروسيا بعد "جوهر داود إيف"، أنهم يلصقون كل التهم الراديكالية والانفصالية ضد الاتحاد[3].

وفي جمهورية أذربيجان أعلن المسؤولين عن أنهم في حالة حرب ضد أرمينيا السوفييتية، الأمر الذي دعا القوات السوفييتية المجهزة بالدبابات والمصفحات لاجتياح مدينة باكو العاصمة الأذربيجانية لتوقيف الاضطرابات القومية مع الأمن، وفرض حالة الطوارئ، وقد طالب البرلمان الجيش الأحمر بالانسحاب، وإلا سيعلن الانفصال، أما أوكرانيا فقد صوت الشعب بموافقته عن

---

[1] خليل حسين ، المرجع السابق، ص ص232،231.

[2] رسلان حسبولاتوف، المرجع السابق، ص 16.

[3] علي محمد كشث، المرجع السابق، ص ص53،52.



الانفصال بنسبة 90% ،وأعلن الرئيس المنتخب "ليونيد كرا فتشوك" عن عزمه على عدم توقيع أي معاهدة اتحادية مع المركز[1]، وفي محاولة منه لتعميق حالة الانهيار السوفييتي أعلن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" الأب عن اعترافها باستقلال أوكرانيا، ووعد بتطوير العلاقات معها، ومع روسيا، ومع أي جهورية سوفييتية تقرر الانفصال[2].

3/ الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى:

كان لها وضع خاص، من حيث أن جمهوريات آسيا الوسطى رفضت بداية فكرة الانفصال عن الاتحاد، وفضلوا البقاء ضمن الاتحاد الفيدرالي رغم الفوارق الشاسعة بينها وبين باقي الجمهوريات السوفييتية، إلا أن فشل انقلاب 19 أوت 1991 م ضد "غورباتشوف"، أعاد النظر بمواقف الجمهوريات الثلاث أوزباكستان، وأذربيجان، وقير قيزستان لتطالب بالاستقلال مع الأخذ بعين الاعتبار عدم رفض الانضمام للاتحاد الكونفدرالي، وذلك ما صرح عنه رئيس أوزباكستان "إسلام كريموف": "إن قرار الاستقلال لا يعني بالضرورة رفض التوقيع على معاهدة مع "غورباتشوف" على صيغة كونفدرالية للاتحاد إلا أن مخاوف هذه الجمهوريات ما لبثت أن أظهرت عند تولي "بوريس يلسن" الرئاسة وتهديده بإعادة رسم الحدود مع الجمهوريات التي ستفصل عن الاتحاد، ما دفع "كريموف" إلى القول بأن الدور المميز لروسيا في إفشال الانقلاب ضد غورباتشوف لا يعطيها الحق بأن تأخذ مكانا رياديا في الاتحاد وتكون فوق كل الجمهوريات"[3].

وعندما أعلنت باقي الجمهوريات عن رغبتها في الانفصال، وتكوين "كومنولث الدول المستقلة"، فلم يبقى عندها أمام كازاخستان وجمهوريات آسيا الوسطى إلا الانضمام إلى جماعة الدول المستقلة التي أعلن عن إنشائها في اجتماع "ألماأتا" عاصمة كازاخستان في 21 ديسمبر 1991 م، والتي ضمت كافة جمهوريات الاتحاد السوفييتي باستثناء دول البلطيق الثلاث، وكان واضحا أن التنظيم الجديد يهدف إلى تصفية تركة الاتحاد السوفييتي، ورأى بعض الكتاب الروس

[1]موسى محمد آل طويرش، المرجع السابق، ص ص 252،253.

[2]موسى محمد آل طويرش، المرجع نفسه، ص ص 253،254.

[3]خليل حسين، المرجع السابق، ص ص232،233.



أن انهيار الاتحاد السوفييتي لم يكن معبرا عن إرادة شعبية، وأنه مأساة، بحيث أن "غورباتشوف" وجد أنه لا يمثل أحدا بعد انهيار الحزب والاتحاد"[1].

4/التـــتار:

لقد أثارت القومية التتارية التظاهر للإعلان عن نيتهم بالاستقلال وعودتهم إلى الوطن الأم في القرم حيث عاشوا فيها لعام 1944م، ومن بعدها شنت السياسة الستالينية وحدتهم حيث أبعدوا إلى جمهوريات آسيا الوسطى وسيبريا، بعدما ألحقت منطقتهم إلى أوكرانيا السوفييتية في عام1954م[2].

وكانت مواجهة "غورباتشوف" على ما بادرت به مختلف القوميات في الجمهوريات السوفييتية،"بأن سارعت الحكومة السوفييتية بتوجيه من الرئيس إلى وضع مشروع قانون ينظم علاقة الجمهوريات السوفييتية بالاتحاد السوفييتي، ويقيمها على أساس فيدرالي، ويعطى لها حرية أكبر في إدارة شؤونها، ولكنه يجعل من الصعب انسحابها من الاتحاد... ووافق البرلمان على ذلك"[3].إلا أن الجمهوريات أصرت على موقفها لذلك سلمت السلطة الاتحادية باستقلال دول البلطيق الثلاث، فوقع رؤساء كل من روسيا الاتحادية "بوريس يلسن"، ورئيس أوكرانيا "كوافتشوك"، ورئيس جمهورية بيلاروسيا "شوشكتفيش" لتشكيل رابطة الدول المستقلة في "ألماءات" حيث ضمت كل جمهوريات الاتحاد ماعدا دول البلطيق[4]. وفي جويلية 1991م عاد إلى روسيا ليعقد اجتماعا طارئا للجنة المركزية تم خلاله تبني برنامجا جديدا يعلن رسميا بفشل النموذج الماركسي– اللينيني نظريا وعمليا ويقر رسميا بإعطاء الجمهوريات السوفييتية حق الانفصال[5]. ويعبر رسلان حسبولاتوف عن ذلك بقوله : "وأخيرا أرسل "غورباتشوف" في يوليو 1991 م إلى قادة الجمهوريات الاتحادية مشروعه الخاص بالمعاهدة الاتحادية، وبالطبع كان هذا المشروع تفويضا للدستور الاتحادي القائم، وفي الوقت نفسه كان يمنح الجمهوريات الاتحادية صلاحيات أوسع مما لديها بكثير" ويضيف "لطالما سألت "غورباتشوف" لماذا لا ندخل تعديلات جوهرية على الدستور السوفييتي القائم أو نضع دستورا جديدا؟ وما حاجتك إلى هذه المعاهدة الاتحادية

---

[1]مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 1169.

[2]مفيد الزيدي، المرجع نفسه، ص 1169.

[3]حيدر غيبة، المرجع السابق، ص367.

[4]أمجد جهاد عبد الله، المرجع السابق، 82.

[5]أمجد جهاد عبد الله، المرجع نفسه، 76.

التي تدمر بنية الاتحاد السوفييتي كلها؟ ولكني لم أظفر منه بجواب شاف، وفي كل مرة كان يسترسل في استطرادات طويلة" إلا أن رئيس روسيا يلسن امتنع عن توقيع المعاهدة، فما كان من رئيس أوكرانيا "ليونيد كرا فتشوك"، إلا أنه أعلن عن عدم التوقيع على المعاهدة إن لم توقع موسكو، وكان قبل ذلك اعتبار جمهوريات البلطيق أن المعاهدة لا تمسهم[1].

المبحث الثاني: التحولات الخارجية.

لقد كان لسياسة الإصلاح التي أقرها "غورباتشوف "انعكاسات على الصعيد الخارجي، خاصة على الدول المنطوية تحت لواء النظام الاشتراكي والعالم الغربي، تمثلت في:

المطلب الأول: توتر علاقات الاتحاد السوفييتي الخارجية:

تأثرت الدول الاشتراكية بسياسة "غورباتشوف" التي خلفت ردود فعل حادة ضد هذه البلدان وأحزابها الشيوعية والاشتراكية، وبالتالي إحداث تغيير جذري في أنظمة الحكم وإعادة النظر في كثير من القضايا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية في تلك البلدان، ويقول "غورباتشوف": "إن النهج الذي اخترناه وضرورة تسريع الخطوات بحدة، قد أجريناه من مواقع تاريخية واسعة على النظر إلى تطوير التعامل مع البلدان الاشتراكية الأخرى وبالنتيجة تم التوصل إلى استنتاج مفاده أنه يجب إضفاء ديناميكية أكبر على تعاوننا، وهذا ما شطرنا به كل الأحزاب الشقيقة، وفي هذا المجال نضج نوع من البيروسترويكا"[2]، وأن زوال خطر التهديد الشيوعي السوفييتي من العالم ولا سيما بالنسبة لأوروبا وآسيا كان إيذانا بحدوث تحولات جذرية في صورة علاقات القوة الدولية وأنماط التحالفات، وعلاقات الصداقة، والعداء ظلت سائدة لفترة طويلة على امتداد سنوات[3].

و الدول الشرقية جعلت المطابقة الشعبية بين الستالينية الاشتراكية من الصعوبة بمكان على الاشتراكيين الحقيقيين أن يجدوا صدى لذلك[4]، وقامت بعد ذلك مجموعة من الثورات في الجمهوريات الديمقراطية بأوروبا الشرقية كانت بدايتها في بولندا في منتصف سنة 1989م، أين شكلت "حركة التضامن" المحظورة من الحكومة[5]، وكانت هناك "صدمات متكررة في الشوارع بين

---

[1] رسلان حسبولاتوف، المرجع السابق، ص 16.

[2] علي عودة العقابي، المرجع السابق، ص113.

[3] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص351 .

[4] كريس هرمان، المرجع السابق، ص 85.

[5] روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص 157.

الشرطة والشباب المتأثر بخليط من الأفكار المعارضة للحرب الرأسمالية سيكون محكوما عليه بالتشتت والفوضوية والقومية البولندية"، وفي رومانيا وقعت صدمات خطيرة بين من فجروا ثورة ديسمبر وبين من تولوا السلطة[1]، وتمكن الشعب من إسقاط آخر الزعماء الشيوعيين المتشددين هناك وهو "نيكولاي تشاوسيسكو"*، وفي 22 ديسمبر 1989م جاءت تنحيته من الكرسي الرئاسي بعد اقتحام عشرات الآلاف من المتظاهرين مقر الرئاسة وتضارب الآراء حول مصير الرئيس المخلوع بعد ذلك، ما بين أنه فر وقرينته إلى الخارج البلاد، وأعلن محل إقامته الجديد عن تأسيس لجنة وطنية من أجل الديمقراطية بعدما استقالت الحكومة المتشكلة من "كونشانتان داسكاليسكو" رئيس الوزراء وإعلان رئيس قيادة الأركان" إن كل قوات الأمن أصبحت تحت قيادة الدفاع الوطني وأن الوزير قد انتحر بعد اكتشاف الرئيس الروماني عدم ولائه له وللحزب"، فيما أعلن رئيس لجنة الإنقاذ الوطني "أيون أيلياسكو" أنه تم اعتقال الرئيس المنقلب عليه إثر هربه. وزوجته قرب المدينة، وترجع أسباب تنحية "تشاوسيسكو" إلى قيامه بإعلان حالة الطوارئ لقمع الاحتجاجات التي انطلقت من مدينتي تيمشوارا وراد في شمال البلاد في نصف ديسمبر، وقد امتدت تلك الانتفاضات للعاصمة بوخارست، حيث جابهت قوات الشرطة المتظاهرين الذين هتفوا بسقوط نظام "نيكولاي" وإنهاء حكمه الشيوعي، وجاء بعد ذلك محاكمته في 25 ديسمبر من نفس السنة ووجهت له ولقرينته التهم الآتية:

1/ إبادة أكثر من ستون ألف(60000) ضحية.

2/ وضع اليد على سلطة الدولة عبر تنظيم أعمال شنت ضد الشعب.

3/ تدمير ممتلكات الشعب بتهديم المباني و التفجيرات في المدن وأماكن أخرى.

4/ وضع اليد على الاقتصاد و هياكله.

5/ محاولة الهرب و اختلاس أكثر من مليار دولار موضوعة في المصارف الأجنبية.

---

[1] كريس هرمان، المرجع السابق، ص 86.

* ولد يوم 26 جانفي 1918 ، من أصل فلاحي في مدينة سكورنيشتي بالجنوب ، وعمل كمساعد اسكافي بالعاصمة وانتسب للحزب الشيوعي 15 سنة ثم انخرط بالعمل الثوري السري واعتقل عدة مرات ، و رقي للجنة المركزية في 1945. ثم نائب للجمعية الوطنية الكبرى وفي 1946 عمل كمساعد لوزير الزراعة . ودخل الكتب السياسي 1955 وانتخب رئيسا للدولة في 1967 واستولي بعد ذلك على القيادة جميع الأجهزة المهمة والحساسة (محمد بوذينة 1990_ 1991 ، المرجع السابق – ص 545 – 546 .

وختم بيان المحاكمة أنه استنادا لكل هذه الجرائم المرتبكة في حق الشعب الروماني يحكم المتهمان بالموت مع مصادرة ممتلكاتهم، وكان الحكم نهائي وقطعي لذلك نفذ[1]، وجرت في "تشكوسلوفكيا" مظاهرات رفعت شعار" الديمقراطية الراديكالية" من جمهور مناضلي "المنتدى المدني" فهم لم يتقبلوا بعض الزعماء في قضيتهم تلك "كابيتر بيتهارت" الذي ندد بـ"المنتديات المدنية" في أماكن العمل والمحليات، وهم بذلك يستعبدون أي أساليب ثورية زائفة كاستخدام الضغط للحصول على الحق في توقيع كافة التعاقدات الاقتصادية إلى جانب المدير الإداري[2] "

وأما ألمانيا الشرقية، لم يصمد الرئيس "ايرك هونيكر" أمام زحف "البيروسترويكا" على دول شرق أوروبا، حيث أعلنت وكالة أنباء ألمانيا الديمقراطية الرسمية عن تنحية الرئيس وإحلال "أيفون كرينز" محله على رأس الأمانة العامة للحزب الشيوعي ورئاسة الدولة، وأعلنت الوكالة على أن عزمها ذاك كان نتيجة طلب الرئيس المخلوع ولأسباب صحية، حيث تم بعد دقائق من عزله تولى "كرينز" المنصب، وأعلن بعدها عن افتتاح دورة اللجنة المركزية للحزب إلا أن الملاحظين السياسيين رأوا عزل "هونيكر" كان ردا على اندلاع قضية الفارين من شرق ألمانيا نحو غربها في صيف 1988م، وذلك ما تأكد بعد زيارة "غورباتشوف" لألمانيا الديمقراطية، حيث قامت مظاهرات عارمة تطالب، و تنادي بالحرية الديمقراطية، وكان ذلك أيضا رمز إقامة الجدار العازل ببرلين[3].

-الاتفاق الألماني السوفييتي:

أعطى المستشار الألماني الغربي "هلموت مول" المبادئ الثمانية التي أسفرت على الاتفاق الألماني السوفييتي في المؤتمر الصحفي المشترك المنعقد بعد انتهاء المحادثات في القوقاز:

1/ توحيد ألمانيا بضم الشرق والغرب وبرلين.

2/إلغاء سلطة الحلفاء الأربعة على برلين بعد التوحيد.

3/ممارسة ألمانيا الاتحادية سيادتها على نفسها ولها الحرية في اختيار أي الحلف ستنتمي إليه.

---

[1]محمد بوذينة ، المرجع السابق، ص ص 544 ، 545.

[2] كريس هرمان ، المرجع السابق، ص 85 .

[3] محمد بوذينة ، أحداث العالم في القرن العشرين 1988 – 1989، المرجع السابق، ص ص 512 ، 513 .

4/ تعقد ألمانيا الاتحادية معاهدة ثنائية مع السوفييت حول انسحاب قواته من ألمانيا الديمقراطية لمهلة تتراوح مابين ثلاث (03) إلى أربع (04) سنوات .

5/أن هيكليات الناتو لن تمتد إلى شرق ألمانيا طالما أن القوات السوفييتية متمركزة هناك، وأن قوات الغرب الألماني لا يشكل جزء من قوات حلف الشمال الأطلسي ويمكنها التعسكر في شرق البلاد.

6/ يسمح للقوى الغربية الثلاث (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا) البقاء في ألمانيا الغربية طالما أن القوات السوفييتية متمركزة هناك[1].

7/"تعرب حكومة ألمانيا الغربية عن استعدادها لخفض عدد أفراد القوات المسلحة في ألمانيا الموحدة إلى ثلاثة مائة وسبعون ألف (370000) جندي في غضون ثلاثة(03) أو أربعة(04) أعوام في إطار مفاوضات "فيانا" الخاصة بإزالة الأسلحة التقليدية من أوروبا تبدأ عملية الخفض بعد إبرام اتفاق فيانا".

8/ تتخلى ألمانيا الموحدة الصناعية حيازة الأسلحة الكيماوية، وتشارك في معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية[2].

أما المجر بدأت الاضطرابات فيها بعدما حل" كارولي جورنزي" محل "كادار"، وقد قام الرئيس الجديد بإصلاحات في1988م، وتزامن ذلك قيام جماعات المعارضة بإنشاء "المنتدى الديمقراطي" المجري، وإلى غاية 1989 طالب المنتدى بتفكك الديكتاتورية الشيوعية وتصفيتها، و"أعلنت البلاد دستورا انتقاليا أعاد إليها الديمقراطية وتعدد الأحزاب، وفتحت الحدود مع النمسا، وكان بمثابة تحطيم الستار الحديدي السوفييتي ..."، وفي سنة 1990م فاز في الانتخابات ائتلاف يمين الوسط بزعامة "جوزيف أنتال" رئيس "المنتدى الديمقراطي" المجري؛ الذي اتبع بعد ذلك سياسة إصلاحية راديكالية قامت على اقتصاد السوق، وحرية التنافس الاقتصادي لينتهي التواجد السوفييتي هناك بانسحاب قوات الجيش الأحمر بعد سبعة وأربعين (47)عاما من التواجد العسكري في البلاد[3]. فيما قامت مظاهرات بتشيكوسلوفاكيا* تدعو للديمقراطية خرج فيها خلال

---

[1] محمد بوذية، أحداث العالم في القرن العشرين1990–1999م، المرجع السابق، ص 45.

[2] محمد بوذية، المرجع نفسه،ص45.

[3] محمد عتريس ، معجم بلدان العالم ، أخر التطورات السياسة ، الدار الثقافية ، مصر 2000 ، ص 106



الأسبوع الثالث من شهر نوفمبر 1989م مابين 15خمسة عشر ألف (15000) وعشرون ألف (20000) طالب في براغ، وتعتبر أكبر مسيرة منذ أحداث 1968م، وقد طالبت بإجراء انتخابات حرة، وبعد ثلاثة(03) أيام خرج نحو مائتان ألف(200000) متظاهر في ساحة "وينسيسلاس ببراغ"، وتضاعف العدد ضمن نفس الأسبوع إلى ثلاثة مائة ألف (300000) متظاهر، ثم إلى خمسة مائة ألف(500000) متظاهر ما يقارب ثلث سكان المدينة في نهاية الأسبوع ، ورافقت تظاهراتهم شعارات "جاكس*، جاكس، جاكس لقد انتهى زمانك "، ومن خلال التظاهرة الأخيرة قام "الكسندر دوبشيك" رئيس الوزراء السابق بإلقاء خطاب دعا فيه للديمقراطية، والحرية، والدفع بالشعب التشيكي للإطاحة بالنظام الستاليني. انتهت المظاهرات بانسحاب "جاكس" وأعضاء حكومته، واستقبلت الجماهير الخبر بالفرح والسعادة واحتفلوا به في الشوارع[1] .

وتشكلت أحزاب سياسية في مقابل تجريد الحزب الشيوعي من صلاحياته، وتكونت حكومة جديدة تولى رئاستها "فكلاف هافيل" الكاتب المسرحي[2] فلم يتقبل "المنتديات المدنية" شعارات الزعماء مثل "بيتر بيتهارت" الذي نادى بتجنب الأساليب الثورية الزائفة واستخدام الضغط على الحق في توقيع كافة التعاقدات الاقتصادية[3] .

وفي 1990م قامت انتخابات عارمة بعد ظهور أحزاب سياسية متعددة تهدف جميعها إلى الإصلاحات الاقتصادية، وإحلال الديمقراطية، لكنها واجهت مشكلات التوافق مع اقتصاديات السوق الحرة، فتعثرت وتصادمت، ونظرت إليها الدول الأوروبية الأخرى على أنها مختلفة ، وفي الحق خلقت النظم السابقة في هذه الدول مستويات صناعية، ومعيشة متدنية، وارتفعا في نسبة البطالة، وانكماش الإنتاج الزراعي، والأخطر من ذلك كله صحوة الضغائن والعداوات العرقية،

---

* انضم السلوفاكيون إلي التشيك ليكونوا دولة تشيكوسلوفاكيا المستقلة وكانت رئاسية للسلوفاك أما القوة السياسية والاقتصادية فقد ارتكزت عند التشيك وسيطروا وعلي الحكومة (محمد عتريس ، المرجع السابق . ص 268).

[1] حيدر غيبة، المرجع السابق، ص ص 345،346.

* مايوس جاكس رئيس الحزب الشيوعي الذي سلط قوي الشرطي المسلحين بالعصي والمتاريس لإخماد أول مسيرة مما ادي بجرح عدد كبير وتوقيف 100 منهم (حيدر غيبة ، المرجع السابق، ص 345).

[2]محمد عتريس، المرجع السابق، ص268.

[3]كريس هرمان، المرجع السابق، ص 85.

والعقائدية أو المذهبية القديمة التي ظلت خامدة وهامدة تحت ضغط النظام الشيوعي، ثم انطلقت من علاقتها ببوادر التحرر والديمقراطية[1].

وبدأ التحول في يوغسلافيا في 16 مارس 1990م؛ إذ هدد وحدة البلاد الفيدرالية* وتفككها، ولأجل ذلك استقال رئيس المجلس الرئاسي الصربي خوفا من التورط في مسألة التفكك، بعدما رفض جميع أعضاء الرئاسة الجماعية فرض إجراءات الطوارئ التي اقترحها الجيش، وحل مكانه نائب رئيس المجلس الرئاسي الكرواتي "ميزيتشي" وأصبح الرئيس المباشر للمجلس، وأعلن ممثل جمهورية منتنغيرو في الرئاسة الجماعية عن استقالته من الهيئة بحجة رفض التفكك المتعمد ليوغسلافيا وقوتها المسلحة، ومما أوضحه الرئيس "أنه لا الرئاسة و لا أي مؤسسة أخرى أبدت الإدارة السياسية الضرورية لوقف هذا التفكك"[2].

وحقيقة الأمر أن الأوضاع بدأت تتدهور منذ جانفي 1990م بطلب من السلوفيين و اليوغسلاف؛ فتفككت العصبة، فقد كانت القومية السوفييتية أول من تصادم مع "مليوزفوتيش" و رفضوا سياسته المنتهجة على كوسوفا، وسكان الألبان، وفي مارس 1989م "قام باستخدام في سلسلة من الإجراءات القمعية في إقليم كوسوفا، وقام أيضا بإلغاء الحكم الذاتي فيها وفي إقليم "فويفودنيا"، وغير القيادة في الجبل الأسود بأخرى مواليه له، كما أنه سيطر على نصف يوغسلافيا، مما جعله في موقف قوي لفرض ما يريده على بقية الجمهوريات (سلوفينيا وكرواتيا، و مقدونيا، و البوسنة)، وبدورها ردت تلك الجمهوريات على اغتصاب السلطة الفيدرالية من قبل الصرب بأن دعت إلى التعددية الحزبية لكسر احتكار الحزب الواحد الشيوعي، وأعلنوا أن القوانين الفيدرالية لا يمكن تطبيقها في سلوفينيا، إلا إذا كانت تتوافق مع القانون المحلي السوفييتي، وفي كرواتيا ظهر القوميون بزعامة "فرانيو تود جمان"؛ الذي أعلن في 24 فيفري1990م بمناسبة تأسيس حزب "الاتحاد الكرواتي" بمقولته الشهيرة :"إن الدولة الكرواتية المستقلة تحت نظام "الأوستاشا" لم تكن دولة شيفونية فحسب، وإنما نتيجة الدقائق التاريخية

---

[1] فؤاد شاكر المرجع السابق، ص334.

* تتكون من اتحاد فيدرالي ضم مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين وتبنت فكرة الوحدة الوطنية على أساس أنه يعيش في يوغسلافيا شعب واحد به3 أسماء هي الصرب الكروات السلوف لكنها عمليا وقعت تحت سيطرة الصرب في أغلب المراكز القيادية متجاهلين التعدد القومي الحكم مركزيا (عبد شاطر عبد الرحمن . تفكيك يوغسلافيا وانهيار مشروع صربيا الكبرى ، مركز الدراسات الاقلمية (د م) (د س) ع 5،ص 20.)

[2] محمد بوذنية ، أحداث العالم في القرن العشرين 1990–1999 ،المرجع السابق،ص ص 127،126.

المعينة وإرادة الشعب الكرواتي في إقامة دولته الخاصة"[1].وغيرها من الأحداث المتلاحقة فقد عبئت الحوادث جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا؛ حيث لقي ثلاثة(03) أشخاص حدفهم في بلدة غلينا الكرواتية إثر اشتباكات عرقية بين الصرب والسلوفينيين، كما تعرضت قوافل الجيش اليوغسلافي للتوقيف من قبل السلطات المحلية، وفي 25 جوان رفضت الاستقلال لكل من كرواتيا وسلوفينيا واعتبرت الإعلان عنه خارج عن إطار تشاور الاتحاد وغير قانوني وغير شرعي[2].

وتوالت المشاكل الاقتصادية بكل الدول الاشتراكية فتكاثفت الظروف نحو الأخذ بإيديولوجية جديدة في السياسات الاقتصادية، والتي امتد تطبيقها إلى الدول النامية وما يتطلبه لم يكن تحقيق التوازن المالي في الكميات الاقتصادية الكلية فقط، بل تجاوز ذلك إلى ما يسمى "بالإصلاح الهيكلي"، ما أدى للتحول نحو اقتصاد السوق باعتماد على القطاع الخاص وبيع القطاع العام، وخلق المناخ الاستثماري الوطني، وبالتالي تقليص دور الدولة في الاقتصاد والاعتماد على مؤشرات السوق[3].

وامتد التحول من أوروبا الشرقية نحو الصين، إذ قام عدد من الطلاب والعمال في جوان 1989م بمظاهرات في شوارع العاصمة يحتجون، ويطالبون بالديمقراطية، والإصلاح ما جعل الشعب يدخل في معركة مع الجيش في تيانان مين، والتي أدت لسفك الدماء بعد قمع وإخماد عناصر الجيش المتظاهرات[4].

المطلب الثاني: إعلان تفكك الاتحاد السوفييتي:

وبعد زيارة "غورباتشوف" للولايات المتحدة لآخر مرة في ديسمبر 1988م من أجل لقاء الرئيس "ريغان" ،وإجراء مباحثات مع الرئيس المنتخب الجديد "جورج بوش" –الأب– ،والتعرف عليه أكثر، فأثناء تلك الزيارة ألقى الرئيس السوفييتي خطابا في الأمم المتحدة صرح فيه عن نواياه في تخفيض حجم القوة المسلحة السوفييتية كمبادرة فردية بواقع خمسة مائة ألف(500000)جندي[5]، و"اختتمت قمة موسكو بين الرئيسين "غورباتشوف" و"بوش" بالتوقيع على معاهدة "ستارت" للحد

---

[1]عبد الشاطر عبد الرحمن ، المرجع السابق. ص ص28، 29

[2]محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1990– 1999، الرجع السابق . ص 143

[3] حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، عالم المعرفة ، الكويت،2000 ، ص ص98،97.

[4] حيدر غيبة، المرجع السابق، ص 357.

[5] روبرت جيه ماكمان، المرجع السابق، ص156.

من الأسلحة النووية الإستراتيجية، وإصدار بيان مشترك عن قضية الشرق الأوسط أعلن فيه الطرفان التزامهما المشترك بالدعوة إلى انعقاد مؤتمر سلام عن الشرق الأوسط في أكتوبر القادم، وقال "بوش" في المؤتمر الصحفي المشترك أن هناك فرصة تاريخية لبدء عملية يمكن أن تؤدي إلى السلام و المصالحة بين إسرائيل وجيرانها العرب"، وقد أكد الرئيسان عن التزامهما الراسخ بتشجيع السلام والمصالحة بين الدول العربية، وإسرائيل و فلسطين[1].

وتعاقبت مجموعة من الأحداث التي نبأت بسقوط و انهيار الاتحاد السوفياتي،أهمها:

1/ انهيار جدار برلين* في 10 نوفمبر 1989 م:

أصدر الرئيس الألماني "ايجون كرينز" قرارا مفاده " فتح ثغرات في السور ليتمكن مواطنو شرق ألمانيا العبور إلى غربها دون قيود، وكان القرار صدمة مفاجئة بالنسبة للشعب الألماني ككل و العالم أجمع، في حين كانت مظاهرات المعارضة مستمرة، والهجرة الجماعية إلى الغرب عن طريق تشيكوسلوفاكيا متواصلة. ومع عجز النظام عن الإمساك بزمام الأمور سوى إطلاق حرية السفر، والوعد بإجراء انتخابات حرة، وإحداث العديد من الإصلاحات الداخلية. ويبدو أن تلك الخطوة قد نجحت فمن بين ثلاث ملايين (3000000) ألماني شرقي الذين انتقلوا إلى غربها، إلا أنه لم يبقى في الغرب سوى ثمانية عشر ألف (18000) فقط، إذ لم يعد الباقون لبيوتهم و أعمالهم الاعتيادية[2]

كل تلك الأحداث انتقل صداها للعواصم الأوروبية الأخرى، لأن" ما حدث سيعيد رسم الخارطة الأوروبية بعد أربعين يوما، ويشكل مفاهيم جديدة للتحالفات في الفارة الأوروبية، ويلمس العصب الحساس، وهو ألمانيا"[3]،.وفي 28 نوفمبر 1989 م دعا المستشار الألماني الغربي "هيلموت كول" إلى إقامة اتحاد في إطار فيدرالي مع ألمانيا الشرقية، وصرح أمام البرلمان: " إن توحيد البلدين هو الهدف النهائي لحكومته"، وأن هذه المسألة يجب حلها في إطار أوروبي، ووضع الخطوط العريضة لبرنامج التوحيد في عشرة (10) نقاط"[4].

---

[1]محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1990- 1991، المرجع السابق، ص 149.

* انظر ملحق رقم 11، ص146.

[2]محمدبوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1980- 1989، المرجع السابق، ص 522.

[3] محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين 1990- 1999، المرجع السابق، ص 522.

[4]محمدبوذينة،أحذاث العالم في القرن العشرين 1980- 1989، المرجع السابق، ص 531.

2/ **لقاء القمة "مالتا" 2 ديسمبر 1989 م:** بدأت القمة بين الرئيس السوفييتي و الرئيس الأمريكي الجديد بعد الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني من شهر ديسمبر على متن السفينة السوفييتية مكسيم غوركي الراسية بميناء خليج مارسا كسلوك بجنوب شرق الجزيرة، و أعلن المتحدث الأمريكي " أن رداءة الطقس الذي ساد في مالطا أدى إلى نقل القمة بين بوش و غورباتشوف من الطراد السوفييتي –سلافيا– إلى السفينة مكسيم غوركي، وتلك السفينة تبعد مئات الأمتار عن الطرادين السوفييتي –سلافيا– والأمريكي –بيلكناب– المتواجدين في وسط الخليج أما السفينة533 فهي محمية من الأحوال الجوية، واستغرقت الجولة الأولى من المحادثات حوالي ثلاث ساعات، وكان هدفها هو توحيد العلاقات بين الأمريكان و السوفييت بغض النظر عن العلاقات بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي؛ إذ أريد بهذا الابتعاد عن الأجواء و التخلص من الحرب الباردة، والتعامل بصفتهما دولتين يخدمان مصالح شعبيهما لا المعسكرين. وأكد طرفي التفاوض أن القمة لا تحمل طابعا رسميا ولا تثمر أي نتائج أو اتفاق حول البرنامج المحدد فيها، إلا أنها ستكون اللبنة الأولى لبلورة وتقارب الأفكار والمواقف حول قضايا العالم المستعجلة بين القطبين الشرقي و الغربي وقد أخذ المجال الاقتصادي و التجاري الأولوية في المحادثات، ومع ذلك يبقى موضوع تخفيض السلاح ونزعه الشغل الشاغل لكلا الدولتين و"هو ما سيأخذ مكانة على مائدة القمة، وخاصة الأسلحة البحرية التي ظلت إلى هذا الوقت خارج نطاق المفاوضات". وقد انتزع الجانب السوفييتي من طرفه موضوع الأسلحة البحرية وكان وجه نظره تتمحور حول إلزامية إدراج هذا النوع من السلاح ضمن مباحثات الحد من الأسلحة بين الدولتين لعدم إمكانية تقليص الأسلحة من طرف واحد واستثناء اتجاهات أخرى لما يحمله ذلك من عواقب على الاستقرار و الأمن على الدولتين[1].

3/ **قمة واشنطن 3 جوان 1990:** عقدت القمة بين الرئيسين السوفييتي "ميخائيل سيرجي فيتش غورباتشوف" و الرئيس الأمريكي "جورج بوش" في واشنطن العاصمة السياسية الأمريكية ما بين 30 ماي و03 جوان للتوقيع على حوالي خمسة عشر (15) اتفاق، إلا أنها لم تؤدي إلى تسوية العديد من الخلافات، وأكد العديد من الملاحظين أن النتائج كانت هزيلة ولم تؤدي لحل العديد من المسائل وحتى أن قضية الشرق الأوسط وأو القضايا الإقليمية جاءت في آخر الاهتمامات .

نتائجها:

[1] محمد بوذنية، أحداث العالم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص534.

– نزع السلاح؛ إذ وقع المفاوضين على اتفاق حول مبادئ المعاهدة التي خفضت الترسينات النووية الاستراتيجية –ستارت– بنسبة 30%، وتم الاتفاق على توقيع معاهدة مماثلة طيلة العام ، أما الجولة الثانية فقد أعلن فيها عن مفاوضات ستارت بهدف خفض أكبر للأسلحة الاستراتيجية، وعن نزع السلاح التقليدي بأوروبا فقد أعرب الطرفان عن أملهما في ***محادثات جنيف عن معاهدة هذه السنة وأبرما اتفاقا بخفض كبير لمخزون بلديهما من الأسلحة الكيميائية.[1]

وقد شهد الرئيس الأمريكي لحظة سقوط الاتحاد السوفييتي فوصفها بقوله: "شعرت بشحنة هائلة وأنا أراقب الانهيار النهائي للاتحاد السوفييتي. لقد خصني القدر بامتياز أن أكون رئيسا في زمن شكل آخر فترات الحرب الباردة". أما "جيمس كوكترت" يعبرعن نفس الحدث بقوله: "انتهى كل شيء. وقع حدث لم أحلم حتى بأن أكون شاهدا عليه في حياتي. كنت مذهولا ولا أصدق مايجري. كان أول رد فعل لي على إنزال العلم السوفييتي من على سارية الكريملين هو الفخر بالدور الذي لعبناه في ذلك. لقد سعينا بكل ما لدينا من قوة إلى دفع الاتحاد السوفييتي في هذا الاتجاه. والطريف أن كل جمهورية من الجمهوريات الثلاث التي أعلنت ببساطة وسهولة انهيار الاتحاد السوفييتي، أقامت بنفس السهولة علاقات وثيقة مع العدو الرئيسي سابق: الولايات المتحدة الأمريكية[2]".

أما التحولات التي طرأت على علاقة الاتحاد السوفييتي بدول الكتلة الاشتراكية والتي تمثلت في:

أ/ إلغاء مبدأ بريجنيف: كان عبارة عن الضوء الأخضر أمام حركات التحرر الإصلاحية في دول شرق أوروبا للتخلص من قيود الشيوعية، وأسفر ذلك سقوط العديد من النظم الشيوعية في تلك الديمقراطيات تحت الدفع الثوري فيها منذ1989م[3].

ب/ الإعلان عن بروتوكول بودابست: في يونيو 1991 م وبموجب الاتفاق تم حل منظمة الكوميكون، وتم الاتفاق على جعل الاعتماد المتبادل من منطلق التكافؤ أساسا للعلاقات بين المركز والأطراف –أوروبا الشرقية– بدلا من علاقة التبعية شبه الكاملة من جانب هذه الدول في

---

[1] محمد بوذنية،ج7، المرجع السابق، ص41.

[2] جورج بوش الأب لحظة انهيار الاتحاد السوفيتي، على الرابط:www.youtube.com،11/01/2015

[3] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص351.

السوفييت، فضلا عن تشجيعهم على تنمية علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع دول أوروبا الغربية.

ج/ الإعلان عن بروتوكول: براغ في الفاتح من يوليو 1991 م والذي تم بمقتضاه الاتفاق على حل حلف وارسو. وكل تلك الأحداث و التحولات في السياسة الخارجية انعكست على العلاقات الدولية فأدت إلى ظهور [1].

وبعد ما تم الاتفاق على إنشاء كومنولث الدول المستقلة في 08 ديسمبر 1991م و الذي نص على إنهاء الوجود السوفييتي السابق كشخصية دولية، ووقع تطبيق القوانين والتنظيمات السوفييتية في أراضي الدول التي وقعت الاتفاقية، وفي 21 من نفس الشهر ضمت رابطة الدول المستقلة كل الجمهوريات باستثناء دول البلطيق الثلاث وبذلك كانت النهاية الرسمية للاتحاد السوفييتي وإعلان تفكيكه[2].

وفي 31 ديسمبر 1991م أعلن بشكل قطعي عن حل الاتحاد السوفييتي و تشكيل كومنولث الدول المستقلة لتعزيز التعاون الاقتصادي والعسكري مع الأخذ بعين الاعتبار أن دول أوروبا الشرقية قد أخذت استقلالها، وهي بذلك غير خاضعة لموسكو فأصبح لكل جمهورية علم خاص بها. وهكذا أصبح "غورباتشوف" رئيس لدولة لا وجود لها بعد ما أصبح "يلسن" الرئيس الفعلي لروسيا ويحظى بمكانة ونفوذ كبيرين بين الشعب لاعتباره المنقذ والمحرر واتجهت معظم الجمهوريات نحو الديمقراطية و التعدد الحزبي[3].

المطلب الثالث: نهاية الحرب الباردة.

يمكن اعتبار أن سقوط الجدار العازل بألمانيا في نوفمبر 1989م النهاية الرمزية للعلاقات الدولية التي وقعت تحت الحرب الباردة[4].

تتجلى خلاصة الإيديولوجية الأمريكية، كما صورتها مراكز القرار الأمريكي، إيديولوجية غطت بها الولايات المتحدة مصالحها العالمية، وخاضت تحت رايتها الحرب الباردة على امتداد النصف

---

[1] ممدوح نصار، أحمد وهبان، المرجع السابق، ص352.

[2] أمجد جهاد عبد الله، المرجع السابق، ص82.

[3] فؤاد شاكر، المرجع السابق، ص 337.

[4] نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ط1، دار نهضة مصر،(ت ر)، عاطف عبد معتمد عبد الحميد، 2007، ص5.

الثاني من القرن العشرين، وبذلت الولايات المتحدة خلال تلك الحرب جهودا عسكرية وسياسية واستخبارتية ودعائية لإلحاق الهزيمة بالاتحاد السوفييتي، وبنظامه الشيوعي وحلفائه، إذ تحقق لها ذلك "فقد تولت البيروقراطية المتأصلة السوفييتية بطريقة غير مباشرة تحقيق أماني الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك لا يستبعد أن القيادات الغربية قد تفاجئت بالسقوط السريع للاتحاد السوفييتي. ولقد أوجد انهيار الاتحاد السوفييتي فراغا استراتيجيا حلمت بعده الولايات المتحدة التي وقفت لوحدها في القمة دون منافس مشعل قيادة العالم وتزعمه، ذلك ما جعلها تبادر برسم إستراتيجية جديدة لحكم العالم ما بعد الحرب الباردة تمكنها من تثبيت سيطرتها العالمية الشاملة إلى أطول فترة زمنية ممكنة، وكان التمهيد لذلك عبر جورج بوش أثناء حرب الخليج الثانية"[1].

إن هذه المعطيات بشرت بظهور أجواء دولية جديدة يمكن الاعتماد عليها في إطار نظام دولي جديد تمثل في "غورباتشوف" رئيس الاتحاد السوفييتي، "وجورج بوش" الرئيس الأمريكي و"بطرس غالي" رئيس الأمم المتحدة فكان الرئيس السوفييتي أول من أعلن عن قيام النظام العالمي الجديد في خطابه أمام الجمعية العامة سنة 1988م، مؤكدا على دور الأمم المتحدة كإطار وحيد لحل النزاعات الدولية. إن تركيز "غورباتشوف" على التخلي عن سياسة سباق التسلح ينبغي أن يقابله تعاون فعال لمواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية ويأخذ هذا المنحى الدبلوماسي إلى خلق جو يسمح بإنجاح سياسة البيروسترويكا في كافة الدول الاشتراكية ومشاركة تلك الدول في بناء البيت الأوروبي المشترك مع كل الالتزامات، بحيث تستمر المسيرة للتخلي عن الاشتراكية بشكل تدريجي ودخول نظام السوق، وأكد على أن بلده ملتزمة بما أعلنه من مبادئ عامة وتلى ذلك سحب القوات السوفييتية من أفغانستان[2].

وبحلول صيف 1990م وافق كل السوفييت والولايات المتحدة، والدول الأوروبية الثلاث: ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا على أن تتحد الألمانيتان في دولة واحدة مستقلة ذات سيادة تظل جزءا من الحلف الأطلنطي، وشكل استمرار القوة الألمانية كعضو في الخلف الغربي، اختفى أحد أعظم هواجس السوفييت الأمريكيين ولاء برلين الشرقية للصقور، ومن ثم توالت الخطابات التي أعلنت عن نهاية الحرب الباردة وفي ذلك يقول "برنت سكوكروفت" مستشار بوش للأمن القومي:

---

[1]رياض صوما، فرص التغيير بعد فشل الليبرالية المتطرفة وسقوط الأحادية القطبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان،2009 ،ص ص127،128.

[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص1171.

"لقد انتهت الحرب الباردة لحظة قبول السوفييت بوجود ألمانيا موحدة تحت لواء حلف الشمال الأطلنطي"، وبذلك كانت النهاية الرسمية للحرب الباردة التي تميزت بالصراع العقائدي الإيديولوجي ثم أعلن على التوالي إعلان تفكك الاتحاد السوفييتي عام1991م، الذي نتج عن حراك القوى التي أطلقت إصلاحات "غورباتشوف" لها العنان وصار من المستحيل السيطرة عليها حدثا تاريخيا مهما في حد ذاته، لكنه جاء بعد الانتهاء الفعلي للحرب الباردة. وفي الوقت الذي تفكك فيه الاتحاد السوفييتي، كانت الحرب الباردة نفسها قد صارت صفحة مطوية[1].

إن مدلول النظام العالمي الجديد كما تسميه الولايات المتحدة لم يكن أمريكي النشأة بل أن "غورباتشوف" إبان مرحلة البيروسترويكا أول من أطلقه وحدد مضمونه المتمثل في الانتقال من مرحلة الصراع الإيديولوجي، إلى مرحلة التعايش القائم على التعاون، وحل المشاكل الدولية بصورة سليمة، إلى جانب اعتبار الديمقراطية قيمة إنسانية حقيقية وكبيرڤيجب تكريسها، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي حاولت أن تستغل ذلك التحول في الوضع الدولي لتكريس تفردها بزعامة العالم[2].

خلاصة:

إن الأرضية التي زرعت فيها سياسة "غورباتشوف" ؛ أدت إلى تحولات داخلية كان لها انعكاسات خارجية.

وأدت سياسة الإصلاح إلى تحولات داخلية تنتج عنها انشقاق الحزب وانقلاب على الرئيس وظهور أزمة اقتصادية حادة فجرت سخط الجماهير السوفييتية للمطالبة بالانفصال عن الاتحاد وتكوين دول لها سيادتها وقوانينها الخاصة بها، كما أن كل هذه الأحداث الداخلية أدت إلى توتر علاقة الاتحاد الخارجية خالصة مع دول شرق أوروبا والصين أيضا هي الأخرى عرفت اضطرابا نادى فيه المتظاهرين بالإطاحة بالنظام القائم، لكن القوات العسكرية أفشلت كل المظاهرات و محاولات الدعوة للتغيير. أما دول العالم الثالث والتي تنطوي معظم دولها تحت النظام الاشتراكي فقد امتدت إليها أيضا موجة التحول والمطالبة بتطبيق الديمقراطية.

---

[1]روبرت جيه ماكمان/ المرجع السابق، ص ص160،159.

[2] مفيد نجم،النظام العالمي الجديد الإمكانات وغياب الإستراتيجية والمعايير ،مجلة الفكر السياسي، ع4، 5. إتحاد العرب، دمشق، 1998–1999،ص ص208،207.

من خلال معالجة إشكالية الدراسة المتمثلة في مدى مساهمة سياسة غورباتشوف في تفكك الاتحاد السوفييتي ارتئ الباحث للإجابة عليها بعد الخروج في نهاية الدراسة بالنتائج التالية:

– اتسع الاتحاد السوفييتي من المركز الأم –مدينة كييف– ليكون مع القرن 19م إمبراطورية مترامية الأطراف، وفي بدايات القرن 20م دولة اتحادية قومية تضم خمسة عشر(15) جمهورية، وبتأثير من الحرب العالمية الثانية قاد الاتحاد المعسكر الشرقي لتضاهي مساحته القارة.

– ضمت روسيا الدول والأقاليم المجاورة لها لاعتبارات ظاهرية تمثلت في القومية الإثنية –العنصر السلافي– والقرب الجغرافي؛ إذ كل الجمهوريات الآسيوية والأوروبية المتاخمة لحدود روسيا تشكل وحدة جغرافية متجانسة ومتلاحمة، لعدم وجود فوارق طبيعية فيما بينهم، أما الاعتبارات الخفية فتمثلت في الحصول على المكانة الدولية–الزعامة– وتكوين إمبراطورية قوية تنافس القوى الغربية الرأسمالية، الأمر الذي يمكن الاتحاد السوفييتي من نشر إيديولوجية الشيوعية الاشتراكية.

– يضم الاتحاد أكثر من مائة وثمانين (180) قومية، ما جعل التباين وعدم التجانس ظاهر في المجتمع، فكل قومية لها تاريخها وعاداتها، إلا أن كل مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية كانت في يد الروس ما ألغى دور القوميات داخل أوطانها، بفعل النظام الجائر في حق التنوع الإثني– العرقي، كما أن الجمهوريات من الناحية القانونية والسياسية لم تكن متساوية، فالبعض يتمتع بالاستقلال، والبعض الآخر خاضع، وأخرى عبارة عن أقاليم ضمن الجمهوريات وغم ما جاءت به الدساتير والمراسيم السوفييتية عن ضمان للحقوق وتطبيق العدالة.

– إن الدولة السوفييتية اتحاد فيدرالي ذا نظام شمولي يسيطر فيه الحزب الواحد على كل مقاليد الحكم ويتميز هذا النظام بنبذ التعددية السياسية، الشيء الذي يكرس الاختلاف من منطلق شيوعي إلا أن فكرهم في حقيقة الأمر يخالف الطبيعة الإنسانية، ويؤدي إلى كبت الحريات والرأي الآخر؛ نظرا لإلغاء الديمقراطية.

– كان النظام السوفييتي مركزي التخطيط، فالمؤسسات الصناعية والزراعية لا تتمتع بالاستقلال في إدارة استثماراتها وإنما تخضع لقرارات الدولة والقوانين الفيدرالية.

- اعتمد النظام على قوات الجيش الأحمر لإخضاع الشعب السوفييتي باستخدام القوة وتخويف المناهضين للسلطة ونظامها لتحقيق الأمن والاستقرار.

- اعتمد السوفييت في السياسة الخارجية على إقامة العلاقات الاقتصادية بربط علاقات الصداقة مع الدول الأوربية المجاورة، وذلك بعقد العديد من المؤتمرات لأجل توفير المواد الأولية من جهة أخرى كان السوفييت في علاقة عداء مع الدول الغربية نتيجة التصادم الإيديولوجي وخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- إن اعتماد السوفييت على الصناعة الثقيلة أتعب الميزانية نتيجة النفقات الباهظة لتوفير مستلزمات الصناعة واستيرادها من خارج الاتحاد.

- عاش "غورباتشوف" في ظروف قاسية منذ طفولته في المستوى المعيشي، والحرمان من دفئ والديه إضافة لقسوة الطبيعة فاضطره للعمل –قيادة حصاده– في سن مبكرة حتى يساعد ولده في نفقات الأسرة.

- كان "غورباتشوف" منذ صغره يميل لمجال الفيزياء والعلوم المحيطة بها، إلا أن الظروف أجبرته على دخول كلية الحقوق في الجامعة، رغم أن الحقوق منبوذة كمهنة لما يقوم به الحقوقيين من تجاوزات ولتغطيته أخطاء السلطة والحزب، فهم دائما يعملون جاهدين على تلميع صورة الحزب وقيادته أمام الشعب.

- كان وصول غورباتشوف للسلطة أمرا مدبرا ومرسوم الخطى حتى قبل رحيل الرئيس قسطنطين تشيرنينكو عن الحياة، ونتيجة لارتقائه السريع في المناصب القيادية من مسئول في الكومسمول بمدينة ستافربول لغاية بلوغه منصب الأمين العام بدفع وتوصية من طرف أهم الكوادر السياسية في الحزب والمخابرات من بينهم: بريجنيف، وريجكوف، غروميكو...حتى أنه حظي بإعجاب وصداقة الشخصيات الفاعلة على الصعيد الدولي كرئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر، ورونالد ريغان الرئيس الأمريكي...

- إن المتتبع للمسار النهائي لجميع قادة الحزب الشيوعي بالاتحاد السوفييتي يلاحظ الرصيد الشحيح لـ"غورباتشوف" وما أنجزه من أعمال منذ انضمامه للحزب الشيوعي، حيث أنه لم يشارك لا في مرحلة تأسيس الدولة، ولم يجند في صفوف القتال أثناء الحرب العالمية الثانية،

أو أثناء الصراع الإيديولوجي بل كان بعيدا كل البعد عن مسرح الأحداث على عكس القادة والأعضاء الذين تعددت منجزاتهم.

– من أسباب وصول "ميخائيل غورباتشوف" إلى السلطة في ذلك السن هو ارتقائه السريع في المناصب، ونتيجة إزاحة كافة المرشحين المرجح فوزهم في الانتخابات والذين يمثلوا المراكز الحساسة في السلطة سواء في الحزب أو في المخابرات أو الجيش بمختلف الجمهوريات السوفييتية، فقد وصل للسلطة ليحق عليه القول "الرئيس الشاب" البالغ من العمر حوالي أربعة وخمسين(54) سنة مقارنة بسن باقي القادة الذين وصلوا إلى السلطة بعد الثمانين ذلك ما جعل مركز القيادة قبل مجيء غورباتشوف يتغير ثلاث مرات نتيجة وفاتهم باستثناء المؤسسين الأوائل لينين وستالين في الاتحاد السوفييتي.

– إن ما دفع بـ"غورباتشوف" إلى السلطة هو الضغوطات التي وقعت فيها البلاد السوفييتية من طرف خصمهم الأكبر الأمريكي، وتنامي الأزمة الداخلية فكان هو المنقذ للاتحاد من الزوال.

– وصل "غورباتشوف" لقيادة الاتحاد السوفييتي في فترة تعاني من تدمر البنية التحية وأزمات خرجت عن السيطرة خاصة، مع الضعف الذي لمس قيادة الحزب –تغيرها في ظرف ثلاث سنوات.

– وتميزت كل عهدة بمزاولة الرئيس فراش الموت ما أدى إلى ضعف قبضته .قبل وصول "ميخائيل غورباتشوف "المنصب الأمين العام للحزب الشيوعي.

– انطلق "غورباتشوف" بمجموعة من المعطيات من خلال التصورات التي وضعها بعدما حدد أسباب الأزمة المتمثلة بالأساس في الاقتصاد وتصاعد البيروقراطية التي سيطرت على كل مظاهر الحياة العامة للاتحاد.

– قام "غورباتشوف" على الصعيد الداخلي ببرنامج إصلاحي؛ فأثناء المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي وضع غورباتشوف الخطوط العريضة واستراتيجية تتمثل في البيروسترويكا التي لمست إعادة بناء الاقتصاد، والسياسة، والمجتمع، والديمقراطية وإسنادها ببرنامج مكمل عرف بالغلاسنوست من أجل الوضوح والشفافية.

– أما على الصعيد الخارجي فقد غير من أسلوب السياسة الخارجية خاصة مع الولايات المتحدة الذي عرف تقاربا في العلاقات، حيث بادر غورباتشوف بتقديم العديد من التنازلات في

الترسانة النووية بتخفيض عدد الصواريخ والأسلحة التقليدية المنصوبة بأوروبا، كما لمست السياسة الخارجية إعادة العلاقة مع الصين أولا باعتبارها بلد شيوعي، وثانيا لأن الصين استطاعت في ظرف قياسي أن تحقق نموا وتطورا اقتصاديا يمّكن الاتحاد من أن يستفيد منه في تحسين إمكانياته وعلى مستوى السياسة الخارجية إزاء دول الشرقية فقد أطلق "غورباتشوف" في سياسته اتجاها يقوم على قاعدتين الأولى الحدود المشتركة فيما بينها؛ فدول شرق أوروبا تمثل الدرع الواقي لظهر الاتحاد السوفييتية على الجبهة الغربية، والثانية قاعدة التشابك بين عملية الإصلاح والتعصب القومي ما يعكس مدى تجاوب تلك الإثنيات والقوميات مع الإصلاحات الجديدة. وأخيرا في سياسة "غورباتشوف" اتجاه دول العالم الثالث اتسمت بالتناقض ففي حين أن السوفييت عمد على التخفيض التدريجي لقواته بالأفغان كان يطالب فلسطين والعرب بإتباع الأسلوب السلمي مع إسرائيل مع ميل موقفه للطرف الإسرائيلي أثناء الصراع العربي الإسرائيلي رغم عدالة القضية.

– واجهت عملية الإصلاح مجموعة من العقبات أثناء تطبيقها؛ فبالرغم ما قامت به وسائل الإعلام من تعبئة شعبية ودفعها نحو الاندماج في الإصلاح الجديد ورغم أن معظم النواب قد رحبوا بالأفكار الإصلاحية إلا أن العملية في حد ذاتها انطلقت بعد فوات الأوان بعدما تفاقمت الأزمة ووصل الاتحاد لمرحلة من الضعف والاضطراب لا يمكن الرجوع معها، لذلك نجد أن الإصلاح حقق نتائج نسبية غير أنه لم يلمس عمق الأزمة فكانت النتيجة التي طرحها الانفتاح التمرد الشعبي والقومي المطالبة بالانفصال.

– استفادت الشعوب السوفييتية من سياسة الانفتاح نحو الغرب، ما أتاح لهم القدرة على التقييم والمقارنة بين معيشتهم وحياتهم اليومية وبين حياة الفرد في الغرب الرأسمالي، فراحت الجمهوريات الواحدة تلو الأخرى تدعوا إلى تطبيق العدالة، وتسترجع أمجاد قوميتها وخصائصها بعد ما قضى النظام التسلطي على كل محاولات الاعتزاز بالقوميات.

– كان للولايات المتحدة الأمريكية دور كبير في تحريك الأوضاع داخل الاتحاد في إطار الصراع الأيديولوجي.

– كان لسياسة "غورباتشوف" الإصلاحية انعكاسات وتحولات داخل الاتحاد السوفييتي ظهرت بدايتها بأزمة سياسية داخل الحزب، حيث أن سياسة الانفتاح سمحت بالتعدد السياسي مما أدى إلى ظهور العديد من الأحزاب، وكان في معظمها مناهض للشيوعية وسياسة الحزب الحاكم،

وحتى أن الحزب نفسه انقسم إلى تيارات فكرية كان أبرزها التيار القومي الديمقراطي... لينفجر معها سخط قومي ناقم على سوء الأوضاع مطالب بالحرية والاستقلال عن الاتحاد. أما الضغط الداخلي على "غورباتشوف" السياسي والاجتماعي والاقتصادي من قبل القوميات فما كان منه إلا ليعلن عن استقلال الجمهوريات السوفييتية.

– شكلت الجمهوريات بعد انفصالها حلف الدول المستقلة ما عدا البلطيق التي قابلت خبر الانفصال وسقوط الاتحاد بالغناء وفضلت أن تكون حيادية ومنعزلة عن مسرح الأحداث السوفييتية.

– كان لبوريس يلسن دور كبير في تفاقم الأوضاع وفلتانها عن السيطرة؛ لتجاوزه لسلطة غورباتشوف واختراقه سيادة الاتحاد ليعلن عن نفسه رئيس روسيا المستقلة، وإقامته علاقات دبلوماسية مع الغرب دون الرجوع للسلطة المركزية.

– انتقل نظام الحكم في الاتحاد السوفييتي من التسيير المركزي مع تفاقم الأزمة ومناداة الشعوب بالانفصال إلى النظام اللامركزي؛ فأصبح للجمهوريات سيادة ذاتية تخولها لعدم العودة لسلطة الاتحاد، حتى أنها أعلنت بأن قوانين الفيدرالية التي تمس قوميتها لاغيه ولا يمكن الاعتماد عليها.

– أصبح "غورباتشوف" رئيسا لسلطة لا وجود لها رغم فشل الانقلاب عليه، ونتيجة لذلك قدم استقلاليته لتتوالى معها إعلانات سقوط الاتحاد.

– إن البداية الفعلية للإعلان عن نهاية الصراع بين الغرب كانت إرهاصاته مع قمة ريكيافيك التي خفضت الأسلحة في أوروبا.

– كان نذير انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الباردة تدريجيا بداية من إعلان سقوط جدار برلين 1989م، ثم إلغاء مبدأ بريجنيف الذي أدى سقوط العديد من الأنظمة الشيوعية بأوروبا الشرقية، وبعدها إعلان بروتوكول براغ وما نتج عنه من زوال الخطر الشيوعي.

– جاء في الإصلاح في غير وقته؛ أين تغلغل الفساد ووصلت الدولة إلى درجة من الضعف لا يمكن الرجوع عنها، ونتيجة لذلك فشلت سياسة الإصلاح مما أدى إلى سقوط الاتحاد السوفييتي.

– حتى وان كان الإصلاح يغير أسلوب الانفتاح والمكاشفة نحو الفكر الغربي ومحاولة التعايش معه كتصحيح الفكر الذي جاء به المؤسسين دون تغييره فالنتيجة نفسها لان ما بني على باطل فنتيجة باطلة والاتحاد السوفييتي بني على أساس قمعي وتعسفي يخالف الفطرة الإنسانية .

–لا يمكن تحميل المسؤولية الكاملة لـ "غورباتشوف" في سقوط الاتحاد؛ لأن سياسته الإصلاحية جاءت في غير وقتها، وفي الوقت نفسه تستلزم التدرج في تطبيقها وأخذ وقت طويل حتى تهيئ فيه الشعوب للاندماج في الفكر الجديد.

– لم يكن إخفاق البيروسترويكا السبب المباشر في التفتت الداخلي، بل هناك أسباب أخرى كدور رئيس روسيا بوريس يلسن الذي تجاوز سلطة وسيادة الاتحاد، والدور الأمريكي أيضا في الضغط على الاتحاد ودفعه نحو المنافسة العسكرية التي أتعبت ثاقله مما ساهم بالدخول في أزمة اقتصادية.

– عجلت المطالبات القومية بالانفصال من تراجع قوة الدولة السوفييتية وتفككها، وقيام دول مستقلة تدير شؤونها الداخلية والخارجية دون الرجوع إلى النظام المركزي.

– منذ أن بدأت الجمهوريات بالتفكك مع 1989م، فقد السوفييت سلطانه عليها وتحولت السلطة من المركزية، حيث كانت تقرر كل شيء عن الجمهوريات إلى لا مركزية تجاوزت فيها الجمهوريات سيادة الاتحاد وقانونه.

– أدى تحكم الروس وتفضيل القومية الروسية على باقي القوميات الأخرى وإقصاء حقوقهم حتى في إدارة شؤونهم القومية فيها إلى ظهور اضطرابات تنادي بالانفصال؛ لذلك نجد أن الاتحاد السوفييتي لم ينجح في ضم الجمهوريات كإتحاد فيدرالي مثل باقي الدول الغربية. خاصة الولايات المتحدة والتي كان في إتحادها برضا وقناعة منها، أما في الدولة السوفييتية فجاء الضم بالقوة عن طريق القوانين الجائزة ولم يترك الجمهوريات أن تختار الاتحاد أو الانفصال.

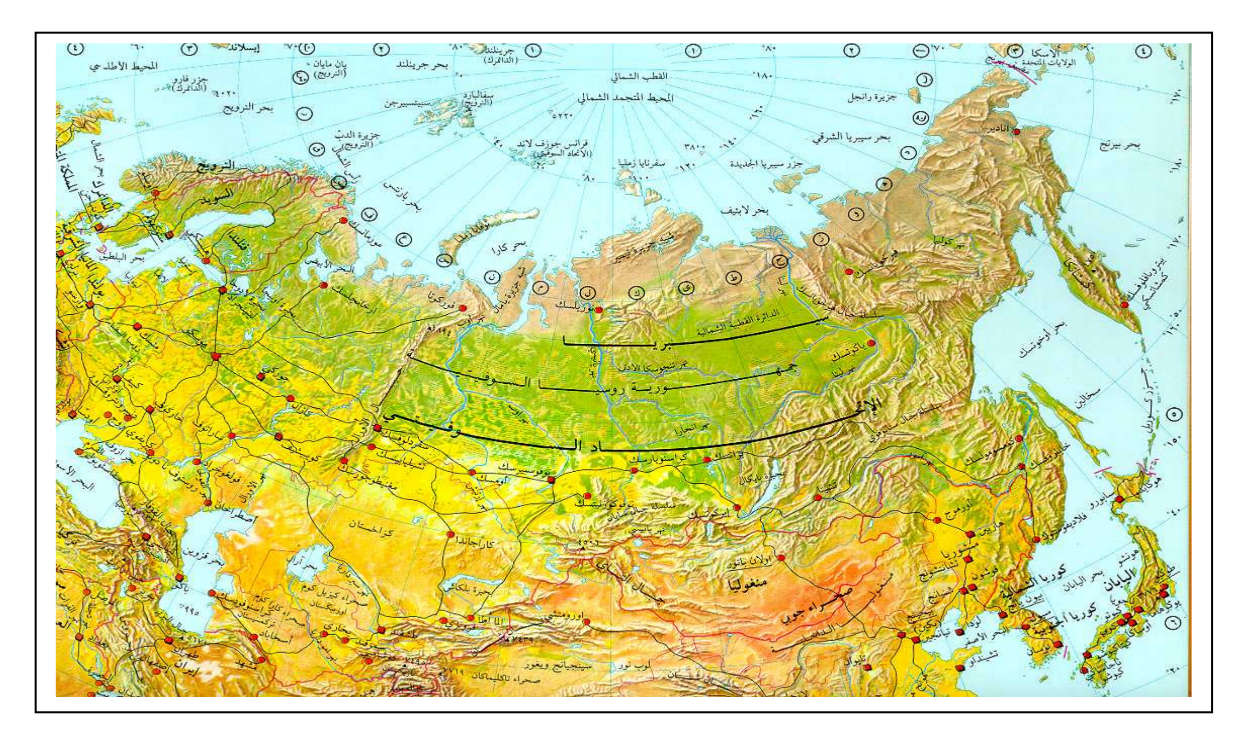
– إن مراسم الحد بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي كانت بجدار برلين وبسقوطه انتهى معه الانقسام والصراع في إطار الحرب الباردة.

–عرفت الدول المنطوية تحت لواء النظام الاشتراكي بظهور العديد من الأحزاب المطالبة بتطبيق الديمقراطية والحرية وإسقاط النظام الحاكم الشيوعي.

– وما يمكن ملاحظته أن شخص الأمين العام لا يتغير إلا بوته، وذلك يعني أن القادة السوفييتي يزاولون المنصب لغاية وفاتهم باستثناء الأمين العام "نيكيتا خروتشوف" الذي جاء بفكرة التعايش السلمي مع الغرب الداعي للانفتاح نحوه ذلك ما يبرز ديكتاتورية النظام رغم أنه عرف إلإنفتاحا وجانبا من الديموقراطية في عهد "خروتشوف".

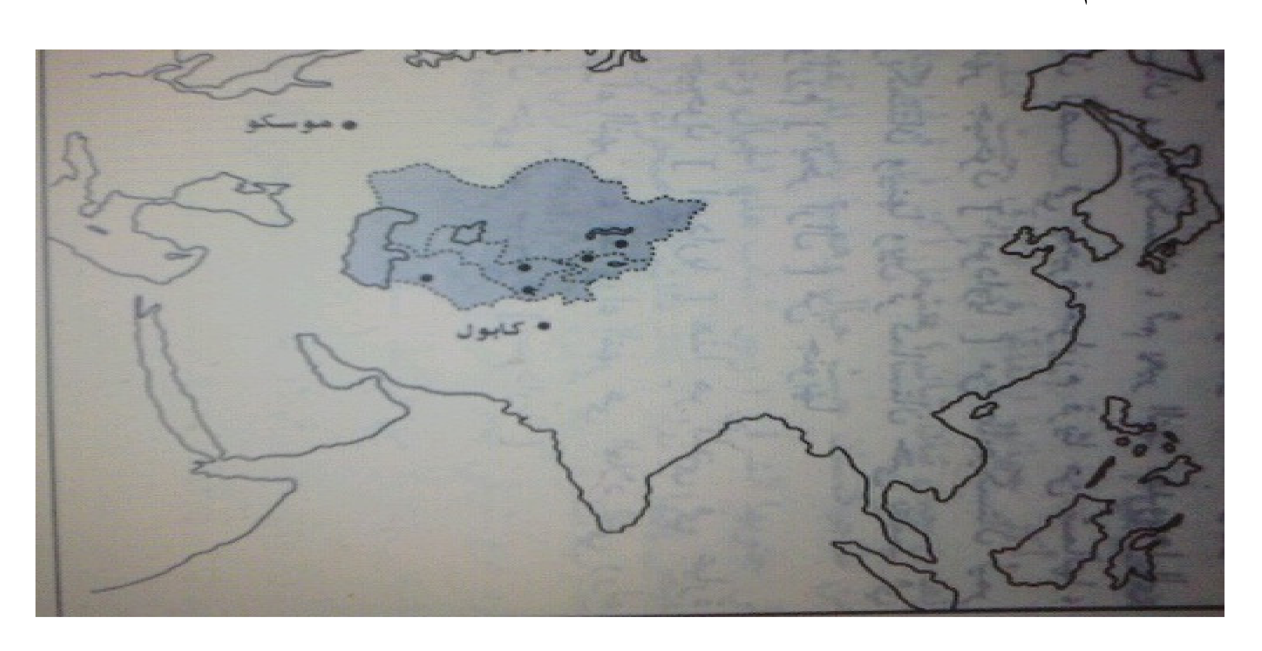
الملاحق

الملحق رقم01



خريطة موقع الاتحاد السوفييتي

الملحق رقم02.



موقع جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية

المصدر:

1. www.Ibtesama.com,07/02/2015,12:03

2 أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص06.



الملحق رقم03.



خريطة توضح جمهوريات أوروبا الشرقية

المصدر: عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق،ص 12.

الملحق رقم04.

الحزب الشيوعي السوفييتي

- مجلس السوفييت الأعلى
  - مجلس الاتحاد
  - مجلس القوميات
- مجلس البريزديوم
  - الرئيس
    - نائب رئيس أول
    - سكرتير
  - نواب
- مجلس الوزراء
  - رئيس
  - وكلاء
  - وزراء

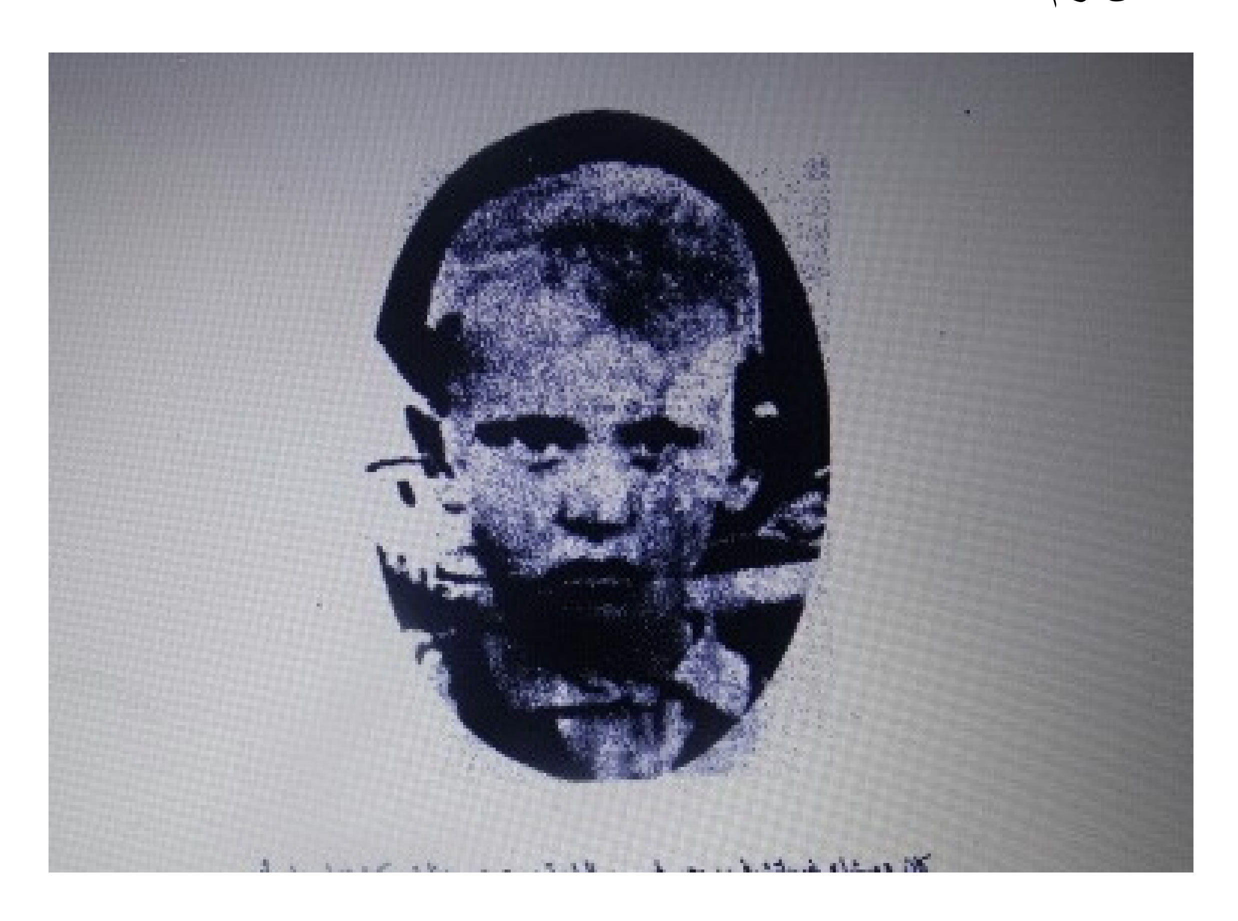
مخطط يمثل أجهزة الحزب الشيوعي السوفييتي

الملحق رقم 05.

السنوات	1917	1926	1933	1945	1945
عدد الأعضاء	240000	1000000	2500000	1900000	4000000

جدول يمثل عدد أعضاء الحزب الشيوعي مابين1917 ونهاية الحرب العالمية الثانية

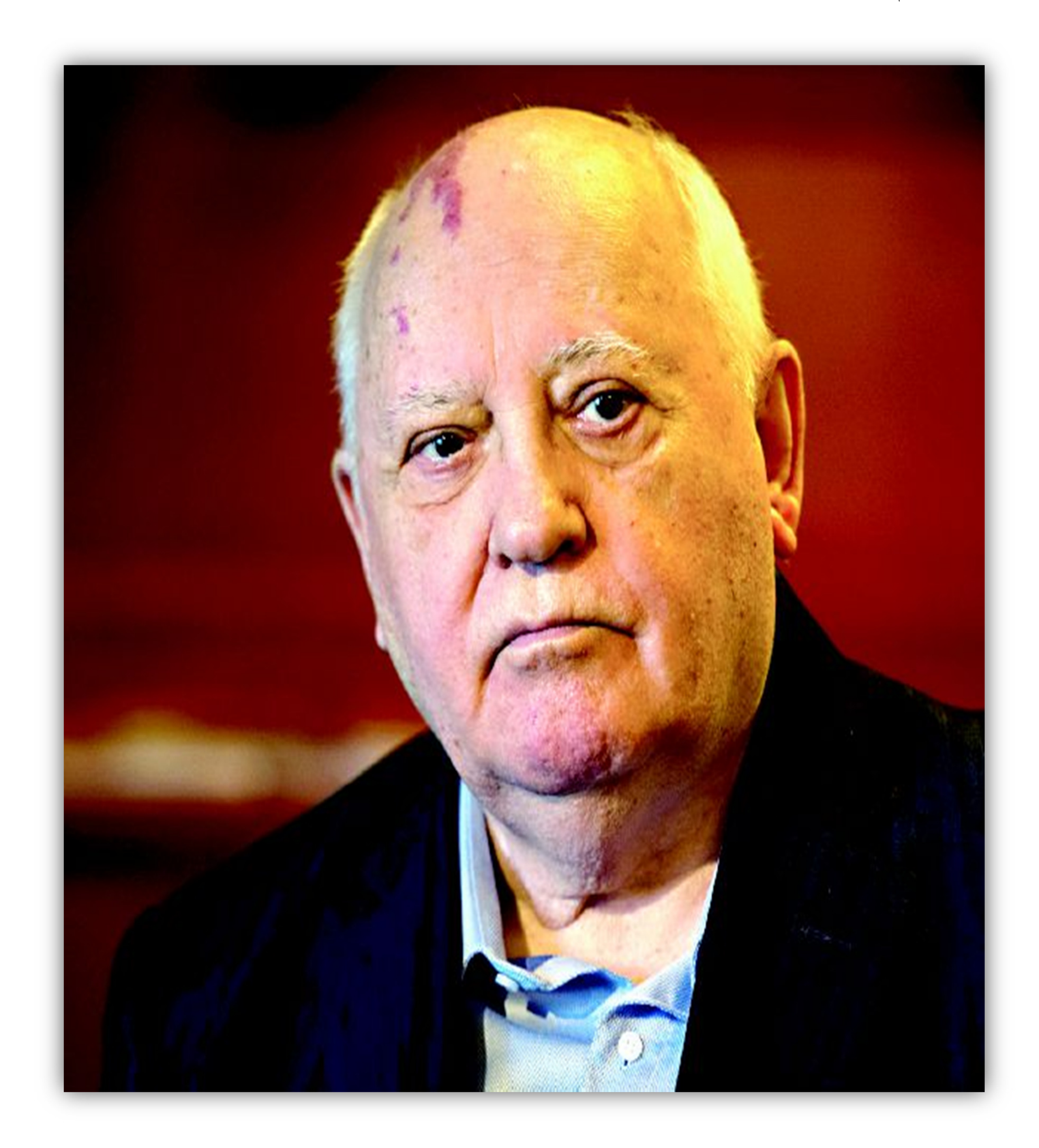
الملحق رقم06



صورة ميخائيل غورباتشوف في سن الرابعة

المصدر:2 محررو مجلة التايم الأمريكية، المرجع السابق،ص 391.

الملحق رقم 07.



الرئيس الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف

االمصدر: http://alhayat.com/getattachment/6bdbcfe5-1f94-4a76-a858-41ac665716ff

الملحق رقم08.

التيار	الأعضاء	الأهداف
الإصلاح الشامل	غورباتشوف ومواليه	-الإصلاح الشامل اقتصادي والسياسي بالتدريج. -تنمية الوعي الجماهيري والديمقراطي. -استمرار الخيار الاشتراكي.
المحافظين	التيارات الأمنية والعسكرية وبعض الكوادر الحزبية:	-تطوير مفهوم الحزب الشيوعي. -يعارض استغلال الديمقراطية كسبيل لتفكك الجمهوريات السوفيتية. -إسقاط حكم ميخائيل غورباتشوف.
الديمقراطي الراديكالي	الأحزاب الليبرالية:يلسن بوريس،ألكسندر بايوف ساشباك...	-تسريح الشرطة السياسية. -الدعوة لاقتصاد السوق. -بلوغ العدالة الاجتماعية في اطار الرأسمالية العصرية. -المطالبة بحق تقرير مصير الجمهوريات السوفيتية.

1-تطور المؤشرات الأساسية للاقتصاد السوفيتي 1985م/1991م.

الملحق رقم09.



رئيس جمهورية روسيا الاتحادية بوريس يلسن

المصدر: https://moudbarthez.files.wordpress.com/2012/02/bores-ylsten.jpg



الملحق رقم10.

المؤشر	1985	1986	1987	1988	1989	1990	1991
ناتج الدخل القومي	2,3	3,3	2,9	5,5	3	2,3−	−
الإنتاج الصناعي	3,4	4,4	3,8	3,9	1,7	1,2−	7,8−
الإنتاج الفلاحي	0,2	3,5	0,6−	1,7	1,3	2,9−	0,7−
التجارة الخارجية	0,4−	2,3	0,6	2,6	4,5	2,7−	−
الصادرات	2,6−	0,6−	0,2−	1,5−	2,5	11,9−	32,9−
الواردات	3/4	4/5	4/5	5/7	7/9	19/21	−

1−تطور بعض المؤشرات الأساسية للاقتصاد السوفيتي مابين 1985م/1991م.

الملحق رقم11.



2−جدار برلين أثناء السقوط

المصدر:1 بلخيرة محمد،المرجع السابق،ص 165

2 Gorbachov,La perestroïka el hundimiento de la URSS, Tuma25, p03



المصادر والمراجع

القائمة الببيليوغرافية:

أولا: المصادر:

1- ميخائيل غورباتشوف، (ت ر)، عبد الجواد حمدي، **البيروسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم**، ط4، دار الشروق، القاهرة.

2-(ـ)، (ت ر)، فؤاد حيطط، **غورباتشوف وحكاية الانقلاب ثلاثة أيام هزت العالم**، ط1، دار عام ألفين، باريس، 1992.

3- هنري كسنجر ،(ت ر)، البد يري، مالك فاضل، **السياسة والدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا**، ط1، الدار الأهلية، الأردن،1995.

ثانيا: المراجع:

1- إبراهيم عبد الطالب، **الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الأخيرة**، ط1، دار غيداء، عمان، 2009.

2-أحمد عادل كمال، **الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم**، ط1، دار السلام، القاهرة، 2009 .

3-ارنست ماندل، (ت ر) بولا الخوري، **الاتحاد السوفييتي في ظل ميخائيل غورباتشوف**، ط1، دار الواحة، لبنان، 1989.

4-الأمين هويدي ، **البيروستويكا وحرب الخليج الأولى**، ط1، دار الشروق، 1997.

5-تركي الحمد، **ويبقى التاريخ مفتوحا أبرز عشرين شخصية سياسية في القرن العشرين**، ط1 ، دار الساقي، بيروت ، لبنان.

6-جمال الفرا، **ثلاثة أيام في بلاد لينين**، ط1، مطبعة الداودي، دمشق،1991.

7-جمال حمدان، **إستراتيجية الاستعمار والتحرر**، ط3، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1983.

8-حازم الببيلاوي، **النظام الاقتصادي العالمي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة**. عالم المعرفة: الكويت، 1990.

9-حلمي القمص اليعقوب، **رحلة إلى قلب الإلحاد، ج2 ، ثمار الإلحاد**، كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر .(دس).

10-حيدر غيبة، **ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية؟** ، ط2، شركة المطبوعات، بيروت،1995.

11-خليل حسين، **النظام العالمي الجديد و المتغيرات الدولية**، ط1، دار المنهل اللبناني ،2009.

12-رياض صوما، **فرص التغيير بعد فشل الليبرالية المتطرفة وسقوط الأحادية القطبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2009.

13-رسلان حسبولاتوف، (ت ر): أبو بكر يوسف، **المواجهة الدامية شهادة للتاريخ عن انهيار الاتحاد السوفييتي**، مركز الأهرام، القاهرة، 1996.

14-روبرت حيه ماكمان، (ت ر) محمد فتحي خضر، **الحرب الباردة**، ط1، مؤسسة الهنداوي، مصر، 2014.

15-سميح عبد الفتاح، **انهيار الإمبراطورية السوفيتية** ، ط1، دار الشروق، فلسطين، 1996.

16-السيد أمين شلبي، **من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد**. الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 2005.

17-عبد التواب أحمد سعيد، **تاريخ أوروبا المعاصر**، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010 .

18-عبد الحميد زوزو، **تاريخ أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية 1914- 1945** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.

19-عبد الخالق عبد الله، **العالم المعاصر و الصراعات الدولية**، عالم المعرفة، الكويت، 1989.

20-عبد الرحمن حميدة، **جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي**، ط1 ، دار الفكر، دمشق، 1984.

21-عبد الرزاق عيد، **نحن و البيروسترويكا.** الدار اللاذقية: سوريا، 1991.

22-عبد العزيز سليمان النوار، عبد المجيد النعنعي، **التاريخ الأوروبي من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**، دار النهضة العربية، بيروت، (د س).

23-عبد العظيم رمضان ، **تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة**، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.

24-علي صبح، **الصراع الدولي في نصف قرن 1245- 1995**، ط2، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006.

25-علي عودة العقابي، **العلاقات الدولية دراسة تحليلية في الأصول و النشأة**، (د ن)، بغداد، 2010.

26-فاضل نعمة حسين، كاظم هاشم، **التاريخ الأوروبي الحديث1815-1939**، ط1، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 2002.

27-فتحي يكن، منى حداد، **البيروسترويكا من منظور إسلامي**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 1991.

28-فؤاد زكريا، **على ماذا يراهن غورباتشوف**، منشورات جريدة أهالي، القاهرة، 1990.

29-فؤاد شاكر، **السياسة والدبلوماسية حصاد القرن العشرين**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ج2، 2001.

30-كريس هيرمان، (ت ر) خليل كلفت، **العاصفة التي تهب حول انهيار النموذج السوفيتي**، دار النهر، القاهرة، مصر، 1995.

30-مثني أمين قادر ،**قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية**، ط1، مركز كردستان للدراسات، السليمانية ، العراق، 2003.

31-مجموعة من الباحثين، **البيروسترويكا**، ط1، مؤسسة عيبال، (د م)، 1991.

32-محررو مجلة التايم الأمريكية ،(ت ر) دار طالاس، **ميخائيل غورباتشوف السيرة الذاتية**، ط1، دار طالاس، دمشق، 1990.

33- محمد بوذينة، **أحداث العالم في القرن العشرين1980- 1989**، ط 1، منشورات محمد بوذينة، تونس، 2000.

34-(_____)، **أحداث العالم في القرن العشرين1990-1999**، منشورات محمد بوذنية، تونس، 2000.

35- محمد بكر إبراهيم ، **أباطرة التاريخ كيف سقطوا**، مركز الراية، (دم)، ج2، 2003.

36-محمد حسين هيكل، **الزلزال السوفيتي**، ط2، دار الشروق، بيروت، 1990.

37- محمد عزيز شكري، **الأحلاف و التكتلات في السياسة العالمية**، عالم المعرفة، الكويت، 2009.

38- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي المعاصر إيران وأفغانستان**، ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، 1995.

39- محمود عبد الرحمن، **تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي**، ط2 ، دارالنفائس، بيروت، لبنان، 2010.

40-ممدوح نصار، أحمد وهبان، **التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815-1991**، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003.

41- موريس دوفرجيه، (ت ر) جورج سعد، **المؤسسات السياسية والقانون الدستوري الأنظمة السياسية الكبرى**، ط1، المؤسسة الجامعية، لبنان، 1992.

42- موسى محمد آل الطويرش، **العالم المعاصر بين الحربين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة 1914-1991**، ط3، دار إينانا، لبنان، 2013.

43- نعوم تشومسكي، **النظام العالمي القديم والجديد**، ط1، دار نهضة مصر، (ت ر)، عاطف عبد معتمد عبد الحميد، 2007.

44- ياسر حسين، **24 شخصية سياسية هزت البشرية**، ط2 ، مركز الراية ، القاهرة، 2000.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم:

1- سفيان الصفدي، **الموسوعة التاريخية لدول العالم و قادتها**، دار أسامة، الأردن، 2005 .

2- عبد الفتاح أبو عيشة، **موسوعة السياسيين عرب أجانب**، دار أسامة، عمان، الأردن، 2002.

3- عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية:(د م)، ج1985،6.

4- محمد عتريس، **معجم بلدان العالم**، الدار الثقافية، مصر، 2000.

5- مسعود خوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، مؤسسة هانياد: بيروت، ج8، 1997.

6- مصطفى أحمد أحمد، حسام الدين إبراهيم عثمان، **الموسوعة الجغرافية**، الدول- الولايات، المقاطعات، ط1، دار العلوم، القاهرة، ج1، 2004.

7- نذير الجزماتي، **الموسوعة الجغرافية السياسية المختصرة**، دار العرب ، دمشق، 2010.

رابعا: المجلات والدوريات:

1-أحمد عباس عبد البديع، الإتحاد السوفيتي من القمة إلى التفكك. **مجلة السياسة الدولية**، ع41، ج8، مصر، جويلية، 1995.

2-أحمد نازلي معوض، اصلاحات غورباتشوف الداخلية والتغير في السياسة الخارجية، **مجلة السياسة الدولية**، ع89، مركز الأهرام ، القاهرة، مصر،1987.

3- أماني محمود فهمي، تجربة دول شرق أوروبا، **مجلة السياسة الدولية**، ع89، مركز الأهرام للدراسات الدولية، القاهرة ، مصر، 1987.

4-جواد صندل، روسيا وجورجيا: النفط والجيواستراتيجية منظور جغرافي سياسي، ع41 ، **مجلة ديالي**، 2009.

5-عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز، (د ن)، القاهرة، 2004، ص ص،09،10.

6- فايز العراقي، سقوط التجربة أم سقوط النظرية. **مجلة الفكر السياسي**، ع4-5، إتحاد العرب، دمشق، 1998- 1999.

7- فلاديمير ميدفيديف ، مذكرة عميل سابق في الـ ك ج ب روسيا دولة الفساد العظمي ،(ت ر) نبيل رشوان ، مجلة العرب ، س 36 ع 9393، (د.م)2003

8- مراد محمد عدنان، الصراع في أفغانستان والعوامل المؤثرة، **مجلة الفكر السياسي**، ع4،5، إتحاد العرب، دمشق، 1998-1999.

9- مفيد نجم، النظام الدولي الجديد. **مجلة الفكر السياسي**، ع4، 5. إتحاد العرب، دمشق، 1998-1999.

10- هيلين كارتر، الإتحاد السوفيتي والأزمة البولندية حدود المقبول، **مجلة السياسة الدولية**، ع63، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، 1981.

خامسا: التقارير

1-موسكو، **الإتحاد السوفياتي اليوم وغدا**، (د ت ر)، مكتبة الكسندرينا، موسكو.

سادسا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

1- أحمد بن عبد الله بن جمعان آل سرور الغامدي، **أسباب سقوط الشيوعية**، م4 ، رسالة شهادة الماجستير في العقيدة، قسم العقيدة، (أم القرى)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1417هـ.

2- بلخير محمد، **التحولات السياسية في الإتحاد السوفييتي و أثرها على الدول العربية الوطنية**، مذكرة شهادة الماجستير في العلوم السياسية، علاقات دولية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. (الجزائر)، جامعة الجزائر، 2004.

3- رسمية محمد، **انهيار الإتحاد السوفييتي و أثره على المنطقة العربية**، أطروحة الدكتوراه في العلوم السياسية: العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية (الدانمارك)، الأكاديمية العربية المفتوحة، 2013.

4- على محمد كشث، **الصراع الداخلي في منطقة القفقاس الشركسية1991-2007**، رسالة شهادة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2009.

سابعا: الجرائد والمجلات اليومية:

1- موري، كريستيان، غورباتشوف في مواجهة ثاتشر...الإتحاد فتن المرأة الحديدية، **مجلة العرب**، س 36، ع9428 ، 2014/01/04.

ثامنا: البيبلوغرافيا المتاحة على خدمة الواب:

- المقالات الالكترونية:

1- أندرو كريستوفر؛ ميتروخين، فاصلي، وصول غورباتشوف للسلطة يقلب المعادلة السوفيتية في العالم الثالث، **مجلة البيان**، تمت الزيارة يوم:2014/12/24 متاحة على الرابط الآتي: www.al bayan.com

2- الشيخ طارق، حكام من عالم الغموض، **الأهرام اليومي**، جويلية 2012، متاحة على الرابط: digital.ahram.org، تمت الزيارة يوم2015/01/03.

3- صاحب جعفر عبد المهدي، **من خفايا البيروسترويكا الغورباتشوفية**، ج1، المتاحة على الرابط: www.iasj.net.

4- حنان أبو سكين، بين الصراع والتعاون، **التنافس الدولي في آسيا الوسطى**، المركز العربي للبحوث، جويلية2014، المتاحة على الرابط: www.acrseg.org، تمت الزيارة يوم2015/02/06، على الساعة،11:01.

5- خالد ممدوح العزي، غورباتشوف : عشرين عاما على انهيار الإمبراطورية السوفيتية أوت 1991، **جريدة رمان الوصل الإلكترونية**، 1011/08/26، على الساعة 00:00.

6- سفر الحوالي، الشيوعية بين السقوط وإعادة البناء، **جريدة الصوتيات**، المتاحة على الخط المباشر: web oudio.islam.net، تمت الزيارة يوم: 2015/02/19، على الساعة10:21.

7- طارق الشيخ، حكام من عالم الغموض، **الأهرام اليومي**، ع2012، ص1، المتاحة على الرابط المباشر: http://digital ahram.org.

8- عبد اللطيف جابر، الغرب متفاؤول من قدوم غورباتشوف، **الشرق الأوسط**، لندن، 2015.

9- مؤلف مجهول، هل خان غورباتشوف لينين، **مجلة الحياة**، موسكو، ع11 مارس2014 04:17.

10- نوار محمد ربيع الخيري، **الأهمية الإستراتيجية لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بين الأوضاع الداخلية والاهتمامات الدولية**، المتاحة على الرابط: www.iasj.net ، تمت الزيارة يوم06/02/2005.

11- نوفو ستيبان أورلوف، تراث الزعيم الأخير، ع2006.

12- جورج بوش لحظة انهيار الاتحاد السوفييتي، المتاحة على الرابط: www.youtube.com، على الساعة 2015-02-12/14:00.

المراجع الأجنبية:

1. Vincent geuysse, cent question et réponses sur l'u r s s , .www.communisme-bolchevisme.net. 12/02/2015
2. www.mounsiour-biographie.com, 21/12/2014,14:00.
3. Steve shelok honov,Mikhail Gorbatchev biographie ,Moscou ,6, Avalable at. web : www.imdb.com,visited Day :02/03/2015 ,h 10 :06.
4. Les ordinateurs de Youri andropov,Moscou,N :20/11/1982
5. Coumba Moussavou ,L'effondrement de L'U R S S,2010 , ppt://hist-Geo .
6. Gérard Bergeron,La guerre froide recommencé,Boréol Express

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات.

الإهداء...

شكر وعرفان ....

قائمة المختصرات ....

مقدمة..أ

الفصل الأول: التعريف بالاتحاد السوفييتي وميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة. 08

المبحث الأول: معطيات حول الاتحاد السوفييتي..................09

المطلب الأول: الموقع الجيو سياسي للاتحاد السوفييتي 09

المطلب الثاني: التركيبة السوسيولوجية لاتحاد السوفييتي 14

المطلب الثالث: طبيعة نظام الاتحاد السوفييتي 19

المبحث الثاني: ميخائيل غورباتشوف قبل وصوله للسلطة 31

المطلب الأول: بيئة نشأة ميخائيل غورباتشوف 32

المطلب الثاني: التعليم و توجهات ميخائيل غورباتشوف......................36

المطلب الثالث: النشاط السياسي لميخائيل غورباتشوف قبل وصوله لسلطة 41

الفصل الثاني: الاتحاد السوفييتي في ظل حكم ميخائيل غورباتشوف.............45

المبحث الأول: وصول ميخائيل غورباتشوف لسدة الحكم 46

المطلب الأول : اختيار ميخائيل غورباتشوف رئيسا للاتحاد السوفييتي............46

المطلب الثاني: تصورات ميخائيل غورباتشوف لازمة الاتحاد السوفييتي 51

المطلب الثالث: مواجهة ميخائيل غورباتشوف لازمة الاتحاد السوفييتي 60

المبحث الثاني: السياسية الداخلية الإصلاحية 63

المطلب الأول :تعريف السياسة الداخلية الإصلاحية 63

المطلب الثاني: مستويات السياسة الداخلية الإصلاحية..............................67

المطلب الثالث: معوقات السياسية الداخلية الإصلاحية..............................74

المبحث الثالث:السياسة الخارجية الإصلاحية 78

المطلب الأول:تعريف السياسة الخارجية الإصلاحية 78

المطلب الثاني:مؤتمرات القمة السوفييتية الأمريكية 83

المطلب الثالث:السياسة الخارجية تجاه دول شرق أوروبا..............................89

المطلب الرابع: السياسة الخارجية تجاه دول العالم الثالث والصين 92

الفصل الثالث: انعكاسات السياسة الإصلاحية على الاتحاد السوفييتي داخليا وخارجيا

...98

المبحث الأول: التحولات الداخلية..99

المطلب الأول:الانشقاق داخل الحزب الشيوعي 99

المطلب الثاني: الأزمة الاقتصادية 106

المطلب الثالث :ظهور مشكلة القوميات 109

المطلب الرابع: تفكك الجمهوريات السوفييتية.................................... 112

المبحث الثاني: التحولات الخارجية 116

المطلب الأول: توتر علاقة الاتحاد السوفييتي الخارجية 116

المطلب الثاني: إعلان تفكك الاتحاد السوفييتي 123

المطلب الثالث:نهاية الحرب الباردة.. 127

الخاتمة 130

الملاحق 138

المصادر والمراجع 146

فهرس المحتويات 155


الحمد لله رب العالمين